هذا هو الطريق إلى الله

أيها المحب

أحمد قنديل أبو سريد

هَـــذَا هُـــوَ الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ

أَيُّهَـــــا المُحِـــــبُّ

إِعْـــــــــــــدَادُ

المهندس/ أحمد قنديل أبو مزيد

قـــام بمراجعته وتدقيقـــه

الأستاذ/ محمد سالم صُـــوَّان

تحت توجيه وإرشاد

عمي الحاج/ مسعد حامد جرير

رضي الله تعالى عنه وأرضاه

فلسطين – غزة

٢٠١٨م – ١٤٣٨هـ

مقـــدمـــة الكتـــاب

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الحمدُ للهِ الذي أرادَ فقدرَ، وملكَ فقهرَ، وخلقَ فأمرَ، وَعُبِدَ فأثابَ وشكرَ، وَعُصِيَ فَعَذَّبَ وَغَفَرَ، وجعلَ مصيرَ الذين كفروا إلي سقر، والذين اتقو ربهم إلي جناتٍ ونهرٍ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى.

*- وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير.

يارب... يا رب... يا رب:-

رضاك خير من الدنيا وما فيها يا مالك النفس قاصيها ودانيها

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملـــي خير إليَّ من الدنيا وما فيهـــا

فليس للنفس آمال تحققها سوى رضاك فذا أقصى أمانيهـــــا

*- وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وكشف الظلمة وأزال الله تعالى به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ﷺ وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين، يا سيدي يا رسول الله:-

أنتَ الذي تَسْتَوْجِبُ التفضيـــلا فَصَلُّوا عليهِ بكرةً وأصيـــــلا

ملأتْ نبوتُهُ الوجودَ فأظهـــرا بِحُسَامِهِ الدينَ الجديدَ فَأَسْفَـــرَا

ومنْ لمْ يصلِّ عليه كانَ بخيلا فَصَلُّوا عليهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمَـــــا

*- اللهم صلِّ عليه وعلي اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

*- اعلموا إخوتي في الله، وأحبتي في رسول الله ﷺ، أن الطريق إلى الله عزَّ وجلَّ، ليس بالأمر الهين اليسير، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، لأنَّ كُلًّا ميسرٌ لما خلق له، كما قال ﷺ، فالطريق إلى الله تعالى عسرة المسالك، ضيقة على السالك.

*- بكى فيها آدم، وناح لأجلها نوح، وابتلي فيها أيوب، ورمي في النار إبراهيم، وأضجع للذبح إسماعيل، ونشر زكريا، وذبح يحيى، وابْتُلِعَ يونسُ في بطن الحوت، ورُمِيَ في الجُبِّ يوسف، ثم أُبْتِلِيَ في عِفَّتِهِ وَطُهْرِهِ وَشَرَفِهِ، ثم أُدْخِلَ السجن، وهام مع الوحش عيسى، وعالج الفقر محمد ﷺ.

*- فهذا والله حال الصفوة المقربين وهم الأنبياء خيرة خلق الله عزَّ وجلَّ، فأول قدم في الطريق بذل الروح، فلا بد من جهاد النفس والهوى والدنيا والشيطان، في طريق سيرك لله عزَّ وجلَّ، فالله تبارك وتعالى خلقك لطاعته، وأمرك بعبادته، وهيأ لك أسباب الراحة، وضمن لك الرزق والأجل، لكي يستريح قلبك، ويطمئن فؤادك، ولا تنشغل عن الله تعالى طرفة عين، كما قال الله عزَّ وجلَّ في حديثه القدسي الجليل:- '' يا اِبنَ آدمَ خَلَقتُكَ لِلعِبَادةَ فَلا تَلعَب، وَقسَمتُ لَكَ رِزقُكَ فَلا تَتعَب، فَإِن رَضِيتَ بِمَا قَسَمتُهُ لَكَ أَرَحتَ قَلبَكَ وَبَدنَكَ، وكُنتَ عِندِي مَحمُوداً، وإِن لَم تَرضَ بِمَا قَسَمتُهُ لَكَ فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي لأُسَلِّطَنَّ عَلَيكَ الدُنيَا تَركُضُ فِيهَا رَكضَ الوُحوش فِي البَريَّةَ، ثُمَّ لاَ يَكُونُ لَكَ فِيهَا إِلا مَا قَسَمتُهُ لَكَ، وَكُنتَ عِندِي مَذمُومًا''.

*- وقد شاء المولى الكريم جَلَّتْ قدرته، وعلت كلمته، أن يحيط الإنسان بمجموعة من الأعداء التي تقطعه عن العبادة، وتعيقه عن الطاعة، للابتلاء والاختبار كما قال تبارك وتعالى:- {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}،(الملك:-٢)، وقوله تعالى:- { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ}،(البقرة:-٢١٤)، ولله در القائل في ذلك:-

إِنّي ابتليتُ بأربعٍ ما سُلِّطوا إِلَّا لشدّةِ شقوتي وعنائـــــي

إِبْلِيْسُ والدنيا ونفسي والهـوى كيفَ الخلاصُ وكلُّهُمْ أعدائي

بمعيةِ الرحمنِ ونـهجِ حبيبـه أبلـغْ بإذنِ اللهِ كلَّ رجـائـــي

*- فعداوة النفس للإنسان أخبر عنها الشارع الكريم جلَّ وعلا فقال:- {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}،(يوسف:-٥٣).

*- وعن عداوة الهوى قال المولى الكريم جلت قدرته محذرًا غاية التحذير من اتباعه:- {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}،(ص:-٢٦).

*- وقال عن عداوة الشيطان سبحانه وتعالى:- {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}،(فاطر:-٦).

*- وقال عن عداوة الدنيا سبحانه وتعالى:- {لَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}، (فاطر:-٥).

*- ولقد أكد فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه على عداوة النفس لنا فقال:- { واحذر النفس وجالدها جلادًا، كم أضلتك نفورًا وعنادًا، كيف ترخيها بسوء تتمادى، واحذر الدخول فيما لا يعنيك، وإلا لقيت ما لا يرضيك}.

*- وحذر من اتباع الهوى رضي الله تعالى عنه وأرضاه فقال:- { واجعل هواك هواهم كيفما كانا، لم ينطوِ في هواهم غير من عانا، وباع من أجلهم مالًا وولدانًا}، وقال أيضًا:- { طرد الهوى بالهوى منهاج دعوتهم، شرفهم الله تعالى في محكم التنزيل، وألزمنا بصحبتهم}، فمعنى قوله رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- هو أن يكون هواك تبعًا لهوى الصالحين، والذين لا يكون هواهم إلا تبعًا لهوى الحبيب المصطفى سيدنا محمد رسول الله ﷺ والقائل:- { لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به}، وهم الذين طردوا هوى نفوسهم بهوى الحبيب سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

*- كما أكد رضي الله تعالى عنه وأرضاه على ضرورة بغض الدنيا وَحَذَّرَ منها فقال:- { الدنيا بنت إبليس فاحذرها كل الحذر، وقلبك خصصه لمحبة الواحد المقتدر، ولا تشرك معه فيه أحدًا فإن في ذلك كل الخطر}.

*- وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه عن عداوة الشيطان:- { عداك هم الشيطان والنفس والهوى }.

*- ويتضح من هذا جليًّا أنه لا بد من المجاهدة للنفس والهوى والدنيا والشيطان، فكما قيل'' من أوقد مصباح الذكر لاحت له الأعلام، ومن تغرب في بادية الشوق ظهرت له الخيام ''، ولله درُّ القائل في هذا المعنى:-

إذا ما الخيامُ البيضُ لاحتْ لِشَيِّـــــقٍ فَعَرِّجْ فَإِنَّا بَعْدَهَا بِقَلِيْـــلِ

تَرَانِيْ عَلَى الأَطْنَابِ صَرْعَى مِنَ الهوى تُكَفْكِفُ دمعًا لافتقادِ خليـلِ

فَكَمْ أَنَّةٍ أَتْبَعْتُهَا بِتَحَسُّـــــــــــــرٍ وَكَمْ زَفْرَةٍ أَتْبَعْتُهَا بِعَوِيْـــلِ

قِفُوا وَانْظُرُوا ذُلِّيْ وَعِزَّ مُعَذِّبِـــــــــيْ تَرَوْا عَجَبًا مِنْ قَاتِلٍ وَقَتِيْلِ

*- فأنت أخيا الحبيب الغالي تعيش في صراعٍ شرسٍ ومريرٍ وعنيفٍ بين جسدك وروحك، فستظل تعيش حالةَ شَدٍّ وجذبٍ، وقبضٍ وبسطٍ، ومدٍّ وجزرٍ، بين «جسدك وروحك في هذه الحياة ».

*- فجسدك:- يفضل النزول إلى الأرض، والاستمتاع بكل لذاتها؛ لأنه خلق منها، وهي أصله، كما قال الله تبارك وتعالى:- {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ}،(ص:-٧١)، وذلك لأن الفرع يشد إلى الأصل دائمًا.

*- وروحك:- تريد أن تسمو بك وتعلو إلى مركزها الحقيقي، ومنبعها الأصلي، كما قال الله تبارك وتعالى:- {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }،(الإسراء:-٨٥).

*- وكل منهما غذاؤه من «منبعه»، وحياته من مصدره.

*- فالجسد:- يحتاج إلى الأكل والشرب والنوم ليعيش.

*- والروح:- تريد ما نزل من السماء من ذكرٍ وقرآنٍ وإيمانٍ، وتسبيحٍ وتهليلٍ وتقديسٍ، وصلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وعمرةٍ وصدقةٍ، وصلاةٍ على النبي ﷺ، لكي تعيش وتطمئن وترتاح وتسعد وتبقى.

*- فشعورك بالجوع والعطش والتعب... إشارات جلية لحاجة غذاء «جسدك».

*- وشعورك بالهم والضيق والملل والاكتئاب... دليل صادق على حاجة غذاء «روحك».

*- وهنا ندرك خطأنا أحيانًا، فحين نشعر «بالضيق والاكتئاب» نخرج إلى نزهة أو مطعم فاخر أو جولة سياحية أو ... أو ...، ومع ذلك نجد أنه لم يتغير شيء فالضيق باقٍ كما هو، والاكتئاب مازال كما هو.

*- عفوًا:- أنت أخي الحبيب الغالي:- حينما خرجت إلى نزهة أو مطعم فاخر، أو إلى ما شاكل ذلك، فإنك في الحقيقة بهذا تلبي حاجات جسدك، بينما روحك هي التي في الحقيقة بحاجة ماسة للغذاء، ولم تُلَبِّ من طلباتها شيء، وَلَمْ تُعْطِهَا غذاءها الكافي لها من الذكر والطاعات والعبادات، وما شاكل ذلك، لكي تستمر وتسعد وتعيش عيشة سعيدة هنية ودون عناء وتعب وضيق واكتئاب وهمٍّ وحزنٍ.

*- وحتى يتضح هذا المعنى جليًّا، تذكر معي أخي الحبيب الغالي قول حبيب قلوبنا الذي لا ينطق عن الهوى ''النبي ﷺ'' وهو يقول لسيدنا بلال بن رباح رضي الله تعالى عنه وأرضاه عن الصلاة:-

«أَرِحْنَـــا بِهَـــا يَـــا بِـــــلَالُ»

*- لنفهم جميعًا، ولنتيقن معنى كلام الحبيب ﷺ:- إذن، فلنعد الاستماع إلى حديثه العظيم الجليل الشامل الجامع المانع النافع؛ '' **أَرِحْنَـــا بِهَـــا يَـــا بِـــــلَالُ** ''.

*- وقوله ﷺ في الحديث الصحيح:- '' **وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيْ فِيْ الصَّلَاةِ** ''.

*- فقلبك إذا عطش، فلا تسقه إلا بالقرآن، وإذا استوحش، فلا تشغله إلا بالرحمن، وإذا ضاق صدرك فَعِلَاجُهُ في ذكرِ الملك الواحد الديان، لأنه كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه المبين:- { الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }،(الرعد:-٢٨)، وقوله تعالى:- { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }،(الأنفال:-٢).

*- فكل شيء في هذه الدنيا؛ إما أن تتركه وإما أن يتركك، *إلَّا الله سبحانه وتعالى*، فكن دائمًا مع الله تبارك وتعالى، ولا تنسه حتى لا ينســاك.

*- فطوبى لمن ترك الدنيا قبل أن تتركه.

*- وطوبى لمن بنى قبره قبل أن يدخلــه.

*- وطوبى لمن أرضى ربه قبل أن يلقاه.

*- فأكثروا من التفكّر والتدبر والتأمل في قوله تعالى:- { يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي }،(الفجر:- ٢٣).

*- لتعلموا أن الحياة الحقيقية ليست هنا في هذه الدنيا الزائلة الفانية التافهة الحقيرة، فهناك حياة أبدية سرمدية دائمة باقية، ونحن في الطريق إليها سائرون شئنا أم أبينا... فماذا أعددنا لها... !!؟؟.

*- والحقيقة أنه كلما زاد جانب الروح وقوي، سمت الروح وعلا الإنسان بروحه إلى الملأ الأعلى، لذلك قيل في هذا المعنى البديع الجميل اللطيف:-

يا خادمَ الجسمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِـــهِ أَتَطْلَبُ الربحَ فِيْمَا فِيْهِ خُسْـَرانُ

أَقْبِلْ على النفسِ واستكملْ فضائلَهَا فأنتَ بالنفسِ لا بالجسمِ إنسـانُ

*- وسمو النفس للملأ الأعلى ما هو في الحقيقة إلا تأهيل لها للعروج والتَّرَقِّي في مدارج الكمال، ومراتب الجمال، حتى تصل إلى مقام الولاية العظمى في سُلَّمِ هرم الولاية المحمدي، فالنفس لها سبع مراتب، كما ذكرها الله عزَّ وجلَّ في كتابه المبين:-

*- أولها:- النفس الأمارة، مصداقًا لقوله تعالى:- {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي }،(يوسف:-٥٣).

*- ثانيها:- النفس اللَّوَّامة، مصداقًا لقوله تعالى:- { لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}،(القيامة:-١-٢).

*- ثالثها:- النفس الملهمة، مصداقًا لقوله تعالى:- {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا }، (الشمس:-٧-٨).

*- رابعها:- النفس المطمئنــة.

*- خامسها النفس الراضيـــة.

*- سادسها:- النفس المرضية.

*- ومصداق ذلك من كتاب الله عزَّ وجلَّ:- {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً }،(الفجر:-٢٧-٢٨).

*- سابعها:- النفس الكاملة، مصداقًا لقول الحبيب ﷺ:- { كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ:- إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ).

*- ورواه عن شعبة بن الحجاج - باللفظ السابق أو نحوه - جمعٌ من الثقات، ينظر:- "المسند المصنف المعلل" (٦٣٥/٢٩)، "المسند الجامع" (٤٥١/١١).

*- وبلوغ مقام الولاية العظمى ليس بالعبادات، لأن ذلك مقام العُبَّادِ، والعُبَّادُ لهم أجرهم عند الله رب العالمين يوم القيامة، ويزيدهم الله أضعافًا مضاعفة عند لقائه يوم القيامة في جنات النعيم.

*- لكن بلوغ المرام الحقيقي هو أن يبلغ الإنسان مقامًا من مقامات البلوغ، وَأُوْلَى هذه المقامات مقام:-

*- مقام وراثة الكتاب، كما قال الله عز وجل:- { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }،(فاطر:-٣٢)، فهذا هو مقام وراثة الكتاب.

*- أو أن يبلغ مقامًا أعلى يُعَلِّمُهُ فيه ملكُ الإلهام كما قال الله عزَّ وجلَّ:- { آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا }،(الكهف:-٦٥).

*- أو يصل إلى مقام أعلى من سابقه لم يصل إليه ملك الإلهام، وهو أن يُعَلَّمَهُ الله تبارك وتعالى فورًا:- { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ }،(البقرة:-٢٨٢).

*- أو يصل إلى أعلى المقامات، وهو مقام البصيرة النورانية النبوية المحمدية المصطفوية، أي مقام وراثة الحضرة المحمدية الشريفة الجليلة، كما قال ﷺ:- { العلماء ورثة الأنبياء }، وكما قال الله تبارك وتعالى:- { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ}،(يوسف:-١٠٨).

*- ولم يقل أنا ومن آمن بي... لماذا؟

*- لأن هناك فرق كبير وبون شاسع بين من ''آمن بي''، وبين ''من اتبعني''، فمن اتبعني هو '' مقام خاصة المؤمنين ''، ومن '' آمن بي '' هو مقام '' عامة المؤمنين ''.

*- لذلك يقول الله عزَّ وجلَّ لخاصة المؤمنين على لسان نبيه الحبيب المصطفى ﷺ:- { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ }،(آل عمران:-٣١).

*- فأنت في مقام المتابعة الحقيقية لسيد الخلق وحبيب الحق سيدنا ومولانا رسول الله محمد ﷺ تنل درجة المحبوبية عند خالقنا وبارئنا رب البرية تبارك وتعالى، وفي هذا المقام تصل حقيقة لدرجة الحب المتبادل بينك وبين الحق تبارك وتعالى كما قال سبحانه عزَّ وجلَّ:- { يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ }،(الماءدة:-٥٤)، والرضا المتبادل كما قال سبحانه وتعالى:- { رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ }،(البينة:-٨)، والذكر المتبادل كما قال سبحانه وتعالى:- {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ }،(البقرة:-١٥٢)، وفي هذا المقام العظيم يعطيهم المولى تبارك وتعالى كل ما يطلبوه قبل أن يسألوه كما قال سبحانه وتعالى:- { لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ }،(الزمر:-٣٤)، كما أخبر بذلك أيضًا سيدنا ومولانا رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام:- {رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٌ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ}،(رواه مسلم).

*- والمتابعة لا بد أن تكون متابعة جامعة شاملة كاملة وافية كافية شافية، أما المتابعة في الشكل والمظهر فهي متابعة ناقصة، لأنها في المظهر والشكليات لا غير، وذلك لأن المتابعة في المظهر العام هي خاصة بالعبادات والأخلاق والمعاملات، وأما المتابعة الكاملة الجامعة الشاملة الحقيقية فهي خاصة بجميع العبادات، والأخلاق، والمعاملات، بالإضافة إلى مراقبة حركات تقلبات القلب، وخطرات النفس.

*- فالأصل في المتابعة اقتفاء أثره في جميع أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته، فوالله الذي لا إله هو ليس كمثله مخلوق من إنس أو جن أو ملائكة، فهو سيد الجميع على الإطلاق عليه الصلاة والسلام، فكمال محبة الله تبارك وتعالى للعبد تكمن في كمال متابعة العبد لهديه ﷺ، فلقد علمنا حبيبنا ﷺ وضرب لنا أروع الأمثال في البذل والإيثار حتى في أحلك الظروف وأصعب الأوقات، ففي يوم القيامة يوم الحسرة والندامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله تعالى بقلب سليم، في ذلك اليوم العصيب يوم تدنو

الشمس من الرؤوس، ويشتد الهول ويستمر، وينشغل كل مخلوق بنفسه، يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.

*- في هذا اليوم العصيب يقول جميع الأنبياء والمرسلون:- { نفسي نفسي }، وتقول الملائكة الكرام:- { سبحانك سبحانك... ما عبدناك حق عبادتك... سبحانك سبحانك.. ما أطعناك حق طاعتك... اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ }، إلا حبيب قلوبنا نور عيوننا ﷺ لا يقول إلا:- { أمتي أمتي }، والله الذي لا إله إلا هو صدق من سماك بالمؤمنين رؤوف رحيم.

*- فلقد روي أن الرسول ﷺ عندما وصل إلى العرش ليلة الإسراء والمعراج أراد أن يخلع نعليه تأدباً مع الله عزَّ وجلَّ، لأنه وصل إلى بساط الأنس في حضرة القدس، إلى بساط القرب في حضرة الرب جلَّ وعلا، إلى بساط النور في حضرة الملك الغفور، وفي هذا المعنى البديع الجليل السامي يقول بعض الصالحين يصف هذا المشهد العظيم:-

وَأَرَدْتُ تَخْلَعُ نَعْلَ رِجْلِكَ هَيْبَـــــــةً ... فَأَتَى النِّدَا لَا تَخْلَعَنْ نَعْلَاكَـــا

دُسْ يَا حَبِيْبِيْ عَلَى البِسَاطِ وَلَا تَخَفْ ... أَنْتَ الحَبِيْبُ وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ دَنَا

فَوْقَ البِسَاطِ دَنَا وَنُوْدِيَ بِاسْمِـــــــهِ ... دُسْ يَا حَبِيْبِيْ لَا تَخَفْ إِرْعَابَـــا

أَنْتَ الحَبِيْبُ وَمَنْ يُطِعْكَ أَطَاعَنِـــيْ ... يَا أَشْرَفَ الخَلَقِ الجَمِيْعِ خِطَابَا

لَا أَنْتَ جَبَّارٌ وَلَسْتَ بِكَاهِـــــــنٍ ... لَا كُنْتَ نَمَّامًا وَلَا مُغْتَابَـــــــا

لَا أَنْتَ كَذَّابٌ وَلَسْتَ بِشَاعِـــــــرٍ ... لُعِنَ الَّذِي لَكَ فِيْ الوُجُوْدِ أَعَابَا

*- فنودي لماذا تخلع نعليك ؟ فقال:- إلهي خشيتُ عاقبةَ الطردِ، ومرارةَ الردِّ، وَأَنْ يُقَالَ لي كما قيل لأخي موسى، فنودي يا محمد:- ''إن كان موسى أراد فأنت المراد، وإن كان موسى أحبَّ فأنت المحبوب، وإن كان موسى طلب فأنت المطلوب''، ''وأنت القريب وأنت الحبيب''، ''فسلني ما تحب فإني سميع مجيب''.

*- فقال الرسول الكريم ﷺ:- إلهي إني لا أسالك آمنة التي ولدتني، ولا حليمة التي أرضعتني، ولا فاطمة ابنتي، وإنما أسالك أمتي فقيل له:- '' يا نبي الرحمة، ما أشفقك على هذه الأمة، أمتك خلق ضعيف، وأنا رب لطيف، وأنت نبي شريف، ولا يضيع الضعيف بين اللطيف والشريف''.

*- فوعزتي وجلالي لأقسمن القيامة بيني وبينك شطرين:- '' أنت تقول أمتي أمتي، وأنا أقول رحمتي رحمتي ''.

*- صلوا على البدر المنير والسراج الوهاج، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فهل تأسينا بهذا الخلق العظيم، والنهج النبوي الكريم في البذل والإيثار، لنكون على منهاجه وسبيله ﷺ.

*- وحتى نصل إلى هذا المقام العظيم من القرب والأنس بحضرة الحبيب المصطفى سيدنا محمد رسول الله ﷺ، ونكون في كنف الله عزَّ وجلَّ ورضاه سبحانه وتعالى، ونحظى بقوله تعالى:- {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }،(التوبة:-١٠٠)، أي إلي مقام البصيرة النورانية المحمدية المصطفوية، أي مقام وراثة الحضرة المحمدية الشريفة الجليلة.

*- فهذه المتابعة الحقة الصادقة للحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد رسول الله ﷺ لا تتأتى إلا بتخلية القلب وتطهيره من:- { الغل، والحسد، والحقد، واحتقار الآخرين، ونبذ الآنا، والغيبة، والنميمة، والكذب، وشهادة الزور، وحب الذات، وحب الرئاسة، والكبر، والتعالي، والغرور، والصلف، والاعتزاز بالذات، والمكر، والخداع، والغش، والتحايل على الآخرين، .....}.

*- وتحلية القلب بصفات الجمال والكمال من:- { الصدق، والإخلاص، والصبر، والرضا، وحسن الخلق، والتواضع، والخشوع، والخضوع، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإيثار، والبذل، والعطاء، والحياء، والسخاء، والجود، والكرم، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، وإكرام الجار، وإفشاء السلام، والطهر، والعفة، والسماحة، والحلم،.....}.

*- وبمعنى شامل جامع نافع مانع:- '' أن يكون خلقنا القرآن''... لقول رسول الله ﷺ:- { تخلقوا بأخلاق الله }.

*- فإذا ذلك كذلك كنا أهلًا لأن يتجلى الحق بارك وتعالى على قلوبنا، لأن القلب الطاهر هو محل نظر الباري جلَّ في علاه، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح:- { إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }، وفي هذا المعنى السامي البديع يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- ''{ ولا يوحد العبد ربه حقًّا إلا تدبر القرآن وعمل بما يقول، وسار على نور من هدي الرسول، وطهر بيت الحق مما يفنى ويزول }''.

*- فلا بد أن يمر العبد الصادق في طريق سيره لله تبارك وتعالى بهذه المراحل الثلاثة:- { التَّخَلِّي، ثُمَّ التَّحَلِّي، ثُمَّ التَّجَلِّي}، ومقام التَّجَلِّي هو مقام متابعة رسول الله ﷺ.

*- لذلك كان واجبًا علينا وحريًّا بنا أن نقوم بإعداد وتجهيز هذا الكتاب الذي بين يديك أخي الحبيب، أخي المحب، أخي المتشوق للوصول إلى حضرة الحق تبارك وتعالى، لتنعم برضاه، وتحظى بمعية حبيبه ومصطفاه سيدنا ومولانا رسول الله محمد ﷺ، فإن أصبنا في ذلك فمن توفيق الله تبارك وتعالى وتسديده للخطا على طريق الحق والرشد والصواب، ثم ببركة مدد شيخي الجليل رضي الله تعالى عنه وعنا به الذي لا يخبو ولا ينقطع عن أحبابه ومريديه ومتبعي منهاجه، وسالكي طريق بكل صدق وعزيمة وثبات ويقين، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والهوى وتقصيري والشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

*- لأنه من الواجب علينا أن نأتي البيوت من أبوابها، فمن أراد الوصول والسلوك إلى حضرة ملك الملوك، فلا بد له من البحث والتفتيش عن أيسر الطرق وأقربها للوصول، عسى أن نبلغ المطلوب، ورضا المحبوب جلَّ وعلا، وأن ننعم بمعية حبيبنا رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

‘‘البـــاب الأول’’

‘‘بـــَابُ الـدُّخُــولِ،وَسُلَّمُ الوصولِ’’

إلـــى طـريـــق الله تبارك وتعالى

{باب الدخول، وسلم الوصول إلى الطريق إلى الله تعالى} هو:-

أولًا:- ‘‘اتخاد شيخ عارف بالله تعالى’’

*- الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، الحمد لله على نعمة محبة الصالحين، والانضواء تحت رايتهم، والسير على منهاجهم، فهم عيون الله في أرضه، ورحمة الله في بلاده، وأمناء الله على عباده، فهم أهل التمكين والتصريف، نعم والله هم أهل التصريف أي بمعنى أن الواحد منهم له جاه عظيم، وقدر رفيع عند الله رب العالمين سبحانه وتعالى، فإذا أقسم على الله أبره، كما قال ﷺ:- { رب أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره }، لأن العبد الرباني إذا كان لله تعالى كما يريد، أعطاه الله تعالى فوق ما يريد، وهم في الحقيقة لا يتصرفون إلا بأمر الله، وكما يريد الله تبارك وتعالى.

*- كما قال سيدنا الجنيد رضي الله تعالى عنه وأرضاه في وصف العبد المحب الصادق:- { هو عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله }.

*- وإننا دومًا نحاول بين الفينة والأخرى، وبين الحين والآخر أن نقف وقفةً لتنبيه النفوس من غفلتها لتعود لحضرة الملك العزيز القدوس عزَّ وجلَّ، خاصة مع كثرة مشاغل الحياة، وتزاحم الشواغل الكونية في النفس البشرية، وهذا بالتالي يؤدي إلى شغل البصيرة بالكلية ونسيانها على الأقل أو عماها عن المهمة الأصلية التي خلقت لها، وجبلت عليها، وهي المعرفة البصيرية للذات العلية.

*- وإن أهم عنصر لاقتلاع هذا الداء، أن يكون الإنسان دائمًا وأبدًا مع الصالحين والأولياء، والصفوة الأتقياء، وأحبته الكرام الأنقياء الأصفياء، وأن يتذكر دائمًا أن الله عزَّ وجلَّ أوضح لنا تبارك وتعالى سبب وقوع سيدنا آدم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم في الخطيئة فقال تعالى:- { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا }،(طه:-١١٥).

*- ومن هنا يتضح لنا جليًّا أن أهم أسباب الوقوع في الخطيئة والبعد عن طريق الصالحين يكمن في أمرين اثنين لا ثالث لهما وهما:- النسيان، وقلة العزم.

*- لذلك فإنه يلزم الإنسان حتى لا يقع في البعد عن الله تبارك وتعالى، والتولي عن طريق الصالحين، والانشغال بالدنيا الدنية عن النعم القلبية، والتجليات الربانية التي اختارها الله تبارك وتعالى له، فلا بد له من علاج هذين الأمرين وهما:-

*- النسيان ولا بد من مذكر، كما قال الله تبارك وتعالى:- { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ }،(الغاشية:-٢١)، والمذكر إنما هو حبيب الله ومصطفاه ومجتباه رسول الله ﷺ، أو من ينوب عن حضرته الشريفة بإذن صريح منه عليه الصلاة والسلام، وهو العالم الرباني، والوارث المحمدي، أي فضيلة الشيخ المربي المأذون من قبل الحبيب المصطفى ﷺ بالتربية إذنًا صريحًا، وتكليفًا رسميًّا منه عليه الصلاة والسلام، وليس بإشارة من حضرته عليه الصلاة والسلام، فمن أجل هذا كانت ضرورة حتمية اتخاذ المريد الذي يبغي الوصول لحضرة الحق تبارك وتعالى للشيخ المربي، أي للعالم الرباني، والوارث المحمدي.

*- وأما العزيمة فإنها تحتاج إلى من يقويها، وتقوية العزيمة لا يكون إلا بمجالسة الأخيار، وصحبة الأبرار، وتجنب مجالسة الأشرار، وتذكير النفس دومًا بما ورد عن السلف الصالح من السنن والآثار.

*- فالصالحون رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين ما جعلوا مجالسهم وحلق الأذكار عندهم إلا من أجل هذه النعم القلبية العظيمة.

*- فدوام التذكر ودوام الاستحضار في معية الصالحين والفوة المقربين، يُعَلِّيْ الهمة، ويشحذ العزيمة، ويجعل قلبه دومًا معلقًا بحضرة الحبيب المصطفى المختار ﷺ.

*- فطريق الصالحين طريق انتقاء واصطفاء واجتباء واختيار، وهذا الانتقاء والاصطفاء والاجتباء والاختيار منذ الأزل، فالله تبارك وتعالى خلق أرواحًا وَأَهَّلَهَا للتمتع بشهود جمال حضرته، وخلق تبارك وتعالى أرواحًا أخرى وجعل كل نصيبها من فضله عزَّ وجلَّ هو الجنة، وخلق نفوسًا لا أرواح لها، وجعل كل واحد منهم مشغولًا بشهوته وحظه من نعيم الدنيا الزائل الفاني، فتجده دومًا يتخبط في حيرته.

*- ثم قال تبارك وتعالى:- هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، أما الذين اصطفاهم لمحبته، واجتباهم لذاته، فلم يذكرهم في هذا المقام، لأنهم أهلُ المقامِ العليّ، والمكانِ الزكيّ، والقدرِ السَّنِيّ، وهم الصفوة المقربون الذين ذكرهم في كتابه المكنون فقال:- { فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩)}،(الواقعة"-٨٨-٨٩)، وفي قراءة أخرى:- { فَرَاحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ }.

*- فإذا كان العبد من المقربين، فقد أُهِّلَ لشرب الراح من يد الحبيب المصطفى ﷺ بغير قداح، كما أُهِّلَ لشمِّ نسيم الأصفياء، ورحيق الأتقياء، ونسمات الحق عزَّ وجلَّ والتي يتجلى بها على قلوب كُمَّلِ الأولياء في ساعات الصفاء، والنعيم لهم في هذا المقام:- هو التنعم بمشاهدة حضرته، والأنس بطلعته، أو بأسماء عزته، أو برؤية وجه حبيب حضرته ﷺ، وهذا نعيمهم الذي يبحثون عنه، اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

*- وهؤلاء القوم هم الذين علمهم الله تبارك وتعالى من قبل فقال تعالى:- { إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ}،(الإسراء:-١٠٧)، أي من قبل، { إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ } أي اليوم في دار الدنيا، { يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا}، أي سَلَّمُوا جميع أمورهم لله تعالى، فالسجود هنا هو التسليم، لأنه سمعوه في الأزل.

*- فالله عزَّ وجلَّ جعلهم من أهل الشهود لجمال حضرته، وأهَّلهم لسماع خطاب عظمته، فقال تعالى:- { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ }،(الأعراف:-١٧٢)، فكلمة مِنْ هنا للتبعيض، أي فليس كلهم ولكنه انتقاءٌ واصطفاءٌ واجتباءٌ واختيارٌ من قبل المولى الكريم جَلَّتْ قدرته، وعلت كلمته، ومضت مشيئته، { مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ }، أي أهل الظهور في حضرة الملك العزيز الغفور، { وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا }، فهم لم يقولوا سمعنا، بل قالوا شهدنا!

*- فلو تدبرنا إخوة الحق والإيمان، وأحببتي في الله تعالى، في محكم الآية لوجدنا سر العناية، فالله تبارك وتعالى يقول:- { وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ }، ولم يقل على ربهم، فالمدار كله على النفس، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه، { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } فالربُّ هنا هو التربية، أي المربي، { قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ }،(الأعراف:-١٧٢).

*- فالصالحون منذ نزولهم إلى هذه الحياة الدنيا وهم في شوق شديد إلى هذا الجمال الأبدي الأزلي السرمدي الذي شاهدوه في ذلك اليوم، وفي هذا المعنى الجميل يقول العارف بالله تعالى سيدي أبو العزائم رضي الله تعال عنه وأرضاه:-

مِنْ ألستُ لم ننسَ ما قد شهدنـــــــا من جمال الحبيب إذا خاطبنـــــــــا

*- لم ننسَ الجمال، ولم ننسَ الخطاب، ولم ننسَ الوصال، فالنفس ما دامت في مقام الصفاء، والقلب في مقام النقاء، فهما يحنان دومًا إلى هذه المشاهد العلية في عالم الطهر والبهاء.

أبـــــدًا تحـــــــن نفوسنـــــــا وحنينهـــــا دومًا لأول منـــــــــزل

*- فالنفس دومًا تحنُّ لأولِ منزلٍ كانت فيه، فتجد حنينًا يدفعها لهذه المشاهدة، وهذه العناية، وهذه الرعاية، فلم يختر أحد منا هذه المشهد وهذا الجمال، ولكنها عناية الله ورعاية الله لخاصة أحبابه، رضي الله تعالى عنهم وعنا بهم.

*- إنها عناية إلهية، والنفس مجهزة لهذه المشاهد العلية، ولكنها نزلت إلى الدنيا الدنية، ووحلت في الكون وما فيه من العالم الكثيف، بعد أن كانت عالم اللطف، وحضرة الملك اللطيف، ويزيد في كثافتها طلبات النفس التي لم تكن هناك، بل لم يكن هناك سوى طلبات القلب والسر والروح والفؤاد، وكل هذه الطلبات هي المعاينة والمشاهدة والمجالسة لحضرة الملك تبارك وتعالى، والمسامرة والمؤانسة، فالقلب والسر والروح والفؤاد لا يطلبون طعامًا، ولكن جاءت النفس ففتحت الشهوات، ولله در القائل:-

والنفس شهوة مطعم أو مشرب أو منكح أو ملبس فاحذر بها الداء الدفيـــــــــن

*- وهذه نفس من النفوس وهي النفس الشهوانية، وهناك النفس الإبليسية وهي التي تريد الجاه والسلطة والرياسة، وتريد الظهور في الدنيا ولو على حساب الآخرين، ولله در العارف بالله تعالى سيدي أبي العزائم إذ يقول:-

جاهد نفوسًا فيك بالشرع الأميـــــــــن واحذر قوى الشيطان في القلب كميـــــن

*- والمجاهدة لا تكون إلا على يد شيخٍ عارفٍ باللهِ تعالى مأذونٍ منْ قِبَلِ الحبيبِ المصطفى الهادي سيدنا رسول الله محمد ﷺ بالتربية والإرشاد والتوجيه، حتى لا يضل المريد ولا ينحرف عن طريق الجادة، عن طريق الحبيب المصطفى ﷺ.

*- وبناءً على ما سبق ذكره فإن الدخول إلى طريق الأولياء والصالحين، وسلوك الطريق الموصل إلى مرضاة الله رب العالمين، يكمن في اتخاذ شيخ عالم بالله تعالى، أي أن يكون شيخك عالمًا ربانيًّا، ووارثًا محمديًّا، وأن تكون دومًا في معيته وزمرته وتحت رايته، لأنه كما قيل في ذلك ''من لا شيخ له فالشيطان شيخه ''.

*- لأن مشيئة الله جلَّت قدرته، وعلت كلمته، اقتضت بألا دخول عليه إلا من باب الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كما ورد في الحديث القدسي الشريف، فقد قال الإمام ابن القيم في جلاء الإفهام:- وقال الجنيد رحمه الله:- يقول الله عزَّ وجلَّ لرسوله ﷺ:- ''وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق، واستفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك''.

*- وقال الإمام ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين:- ''وقال شيخ الطريقة وإمام الطائفة الجنيد بن محمد قدس الله روحه:- الطرق كلها مسدودة، إلا طريق من اقتفى آثار النبي ﷺ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول:- ''وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق، واستفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك''.

*- كما أنه لا دخول على الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد رسول الله ﷺ إلا من باب العارف بالله تعالى، كما قال فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { ولقد مضت مشيئة الله بألا دخول عليه إلا من باب الحبيب سيدنا محمد أفضل منيب والفرج القريب، ولا دخول على محمد إلا من باب العارف بالله تعالى، ولا دخول على العارف إلا بمفارقة النفس وهواها، وما أنت بقادر على ذلك إلا بالتسليم ومحبة من يقودك في الطريق ابتغاء مرضاة ربه والصادق المصدوق، ويرعاك بجاهه عند مولاه، ويرجو لك التوفيق}.

*- وفي هذا المعنى السامي البديع يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه أيضًا:- { حسن التوفيق اختيار الرفيق، والمشي مع الطريق، طريق أهل التحقيق، الموصل إلى باب الحبيب عليه

الصلاة والسلام، طريق حقيقته ضد لمحبة الدنيا التي قال الله لها:- ‘‘ يا دنيا اخدمني من خدمني، واستخدمي من خدمك‘‘، أي اخدمني من خدمني، وأفنى وجوده في وجودي، ولم يسكن في سويداء قلبه أحد غيري، واستخدمي من خدمك، لأنه أقبل على النعمة، وأدبر عن المنعم، وانشغل بالخلق الزائل عن الخالق الباقي}.

*- لأن الله عزَّ وجلَّ خلق الإنسان في أحسن تقويم وأوضح له طريقه المستقيم، ونهجه القويم، وبين له سبل النجاة، وحذره من اتباع الهوى والجدال، والنفس والشيطان، والركون إلى الدنيا دار الزوال، فاحتاج الإنسان إلى الصحبة، نعم احتاج إلى الصحبة الصالحة النافعة التي تدله على الله عزَّ وجلَّ وتقربه منه سبحانه وتعالى.

*- ولله در شيخنا إذ يقول:- "فاتخذ لم يا فتىً قبل الموت خليلًا صالحًا يدلك على باب الشفيع المشفع"،

*- ولله در القائل:-

صادق صديقًا صادقًا في صدقه فصدق الصداقة في صديق صادق

*- ورحم الله فضيلة شيخنا إذ يقول:- "جالس الرجال الذين لا يخطر على بالهم سوى محبة الله والمصطفى، وبع نفسك لهم وكن لركبهم خادمًا، وانصت وامتثل وداو قلبك وافتح ينابيع صدرك وانظر البصيرة ترَ ما تحب أن ترى، واملأ قلبك من موائد الرضا، وارفع صوتك مع الركب حاديًا، خذ قولي لك راحلةً وماءً وزادًا، تسلم من فتنة الدنيا فبئست مرادًا، واحذر النفس وجالدها جلادًا، كم أضلتك نفورًا وعنادا".

*- والقائل أيضًا:- "والزم مجالس رجاله، وتمسك بعقيدتهم، وتوسل بمددهم، يحشرك الله مع سيد البشر، وطهر نيتك بالصفا والإخلاص، واقرأ قل أعوذ برب الناس، وصلِّ وسلم على من أخرج الله من قلبه حظ الشيطان والوسواس، وغاب في حب مولاه تعالى عن الحواس".

*- ويقول أيضًا:- ‘‘ فما أحوجك لدخول مدرسة المحبة في كنف الصالحين، وما أفلحك إن سلمت لهم وأطعتهم في إقامة الدين، كيف تمنعك الدنيا وهل متاعها مضمون، ماذا تقول غدًا لمولاك إن هي شغلتك

عنه بزخرف وشئون، وقد وصفها لك حيث قال:- '' لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء''، وهي الحاصل منها ضائع فيها، فاجعلها في يدك كالعصا في السفر، إنها بنت إبليس فاحذرها كل الحذر، وقلبك خصصه لمحبة الواحد المقتدر، ولا تشرك معه فيه أحدًا فإن في ذلك كل الخطر، فهو تعالى أغنى الشركاء عن الشرك،و لا يقبل من عبده تشتتًا في النظر''.

*- ومن هنا تتبين أهمية الصحبة الصالحة.

*- لذلك يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين:- (من لا شيخ له فالشيطان شيخه)، لأن الإنسان بحاجة ماسة إلى من يُقَوِّمُ سيره، ويصحح نهجه، ويعدل اعوجاجه، وينير طريقه.

*- ولله در شيخنا إذ يقول:- (ولما تبين لي الطريق احتجت للصحبة).

*- ويقول:- (وصن قلبك بحب من يخاللك في دينك).

*- ويقول:- "وإنك لن تفلح إلا بصحبة من أفلح وإنك لن تصيب إلا بإتباع المنيب".

*- اسمع قوله تعالى:- { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}،(لقمان:-١٥)، وقوله تعالى:- { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)}،(الكهف:-٢٨).

*- فالشيخ الرباني، أعني العالم الرباني، والوارث المحمدي، والمربي المصطفوي، أي العلماء بالله تعالى، فهم والله نُوَّابُ حضرة النبي ﷺ، تأدب معهم، وخذ عنهم، وجالسهم، واصبر نفسك معهم، تفلح وتكن واحدًا منهم، واعلم أن ذلك فرض عليك لا عليهم، أما سمعت قوله تعالى:- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين}،(التوبة:-١١٩).

*- فالعارف بالله تعالى، صحبته هي الترياق المجرب، والخير النافع، إذ هو الدليل على الله عزَّ وجلَّ، لأنه سلك الطريق إلى الله سبحانه وتعالى وعرفها وذاق حلاوة حبه، وأنسه وقربه، ولذة وصاله، وتمتع بلذيذ خطابه وجماله، ولله در القائل-

قالوا تسلى عن هواه بغيـــــــره واعشق سواه فقلت لا وحياتـــــــه

*- فهو قد سلك الطريق ثم عاد، ليخبر الناس بما استفاد، ولله در القائل:-

مَا الفضلُ إلَّا لِأَهْلِ العلمِ إنهـــمُ على الهدى لمن استهـــدى أَدِلَّاءُ

وقيمةُ كلِّ امرئٍ ما كان يحسنــه والجاهلون لأهلِ العلمِ أعـــــداءُ

فَفُزْ بعلمٍ ولا ترضَ بهِ بـــــدلًا فالناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحيـــاءُ

*- لذلك ورد في الدعاء المأثور:- (اللهم دلني على من يدلني عليك)، وها هو الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه على عُلُوِّ قدره ورفعة منزلته، وهو الذي قال في حقه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:- " عالم قريش يملأ طباق الأرض علمًا" يقول:- (لولا المربي ما عرفت ربي)، فكل من لا مربي له كان الشيطان إمامه وقائده، لأن حكمة الله عزَّ وجلَّ اقتضت أن يوجد في هذا الكون أَدِلَّاءَ ليدلوا العباد على رب العباد رحمة منه عزَّ وجلَّ، وكرمًا وفضلًا منه سبحانه وتعالى، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}،(السجدة:-٢٤).

*- فهم والله أئمة الخير والهدى، والفضل والتقى، والصلاح والفلاح، والسعادة والرباح، والفوز والنجاح.

*- وفي هذا المعنى يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "إذا أردتَ العلا وخوضَ بحرِ المعارفِ، وأردتَ أنْ تعبرَ الحسَّ إلى المعاني اللطائفِ، فلا بُدَّ لكَ منْ خليلٍ كبيرِ القلبِ عارفٍ، خبيرٍ بالطريقِ بصيرٍ بأغواره والمشارف، يريكَ مهالك السير ويقيك شر المخاوف، فاعتنق منه ربقة العهد فيصلًا بين آت وسالف، واعتقد واتبع ولا تنتقد أو تخالف".

*- فما أعذبه من كلام، وما أجله من تعبير، وما أعظمها من بلاغة، إنها فيض من الحضرة النبوية "حبال الحضرة ممدودة لمن في حب محمد انطوى، لأنه زينة خلق الرحمن وقائد ركب الهدى، ولا دخول على الله إلا من بابه وخاسر من بغيره اقتدى".

*- فتعالوا بنا لنقف على هذه المعاني البديعية الجميلة الجليلة التي تخالط شغاف القلوب، وتقرب المحبَّ من المحبوب.

*- يقول فضيلة شيخنا:- " إذا أردت العلا وخوض بحر المعارف"، نعم يا أخي في الله ويا حبيبي في رسول الله ﷺ إذا أردت أنْ تعلوَ في سلك المحبين، في سلك المجتهدين، وأنْ ترتفعَ إلى أعلى عليين، وأنْ ترتقيَ في سلم الإيمان، وأنْ تبلغَ مقام الإحسان، وأنْ تقفَ على بساط أنسه في حضرة قدسه، وأنْ تقفَ على بساط حبه في حضرة قربه، وأنْ تقفَ على بساط الشهود في حضرة شاهد ومشهود، نعم إذا أردت العلا وخوض بحر المعارف، إذا أردت خوض بحار النور، لتتكشف لك الحجب والستور، إذا أردت خوض بحار المجاهدة، لتحظى بالمشاهدة، إذا أردت خوض بحار مخالفة النفس والهوى، لتحظى بالقرب والهنا، إذا أردت خوض بحار محاربة الشيطان، لتحظى برضا الرحمن، والفوز بمعية الحبيب المصطفى العدنان ﷺ.

*- ثم يقولُ قَدَّسَ الله تعالى سره:- "وأردت أنْ تعبرَ الحسَّ إلى المعاني اللطائف"، نعم إذا أردت أن تخترق جدر الأواني لتسقى من ماء الأواني، إذا أردت أن تعبر الحس إلى المعاني اللطائف، لأن التعبير بالإشارة أبلغ من التعبير بالعبارة، ولأن التعبير بالمعاني أبلغ من التعبير بالمباني.

*- وصدق فضيلة شيخنا إذ يقول:- " واعبر من علم العبارة بهم إلى علم الإشارة والمعاني، ولا تقنع معهم بعلمك وإلا ذهب حلمك وبؤت بالخسران، وأخذك الغرور عن النور وأورثك تكبر الشيطان ".

*- فإذا أردت يا أخي أن تعبر الحس إلى المعاني اللطائف، فلا بُدَّ لكَ منْ خليلٍ كبيرِ القلبِ عارفٍ، " أي لا بد لك من شيخٍ جليلٍ، حكيمٍ حليمٍ تقيٍّ نقيٍّ صوامٍ قوامٍ، عالي القدر والهمة، له مواصفات محمدية وسمات إيمانية.

*- وقد جمعها فضيلة شيخنا بقوله:- " انظر إلى من يدعوك إلى سبيل ربك فإن وجدته مخالفًا للشرع في قليل أو كثير فانفر منه حتى لا يفسد عليك دينك ويضلك السبيل، فإن كان تاركًا للصلاة فقد قاطع الرب الجليل، وإن كان مانعًا للزكاة فبئس الرجل ذلك البخيل، وإن كان لا يصوم رمضان دون عذر فما له عند الله من قبول، وإن كان تاركًا للحج وهو قادر عليه فقد خالف هدي الرسول، وإن أحبك وقربك من أجل شيء من حطام الدنيا فاعلم أن دعايته كذب وتضليل، أما إذا وجدته يدعوك لله لا يريد منك جزاءً

ولا شكورًا، ووجدته يحبك في الله ويحذرك من يوم كان شره مستطيرًا، ووجدته يؤدي فرائض ربه وَسُنَّةَ من أرسله الله مبشرًا ونذيرًا، فعليك وجب اتباعه وتأييده وإلا كان قلبك بورًا، وكيف لا تفعل ما أمرك الله به حيث قال:- { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}،(الكهف:-٢٨).

*- فهذه والله هي صفات الشيخ العارف بالله تعالى، صفات العالم الرباني، صفات الوارث المحمدي، كبيرٌ قلبُه، عظيمٌ شأنُه، جليلٌ قدرُه، غزيرٌ علمُه، سريعٌ فهمُه، رحيمٌ طبعُه، كثيرٌ كرمُه، جوادٌ نهجُه، متأسيًا برسول الله ﷺ في كل حركاته وسكناته، ولفتاته ونظراته، في نومه ويقظته، في غضبه ورضاه، في فقره وغناه، في وصله وقطعه، في ضره ونفعه، في عطائه ومنعه، في خفضه ورفعه، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}،(الأحزاب:-٢١).

*- ثم يقول فضيلة شيخنا وقدوتنا قَدَّسَ الله تعالى سره:- " خبيرٍ بالطريقِ بصيرٍ بأغوارِهِ والمشارفِ، يريكَ مهالكَ السيرِ ويقيكَ شرَّ المخاوفِ " نعم والله إن هذا العالم الرباني، والوارث المحمدي، علمه الله عزَّ وجلَّ ببركة اقتدائه المطلق برسول الله ﷺ، مصداقًا لقوله تعالى:- {وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}،(البقرة:-٢٨٢)، فهو قد خبر الطريق ووعاها، وعرفها وسلكها ودراها، بصير بأغوارها، وأوديتها، ومهالكها، وأماكن خطرها، وكذلك بصير بوهادها ومشارفها، وجبالها وتلالها ومرتفعاتها، فإذا صحبت هذا الخبير العارف فإنه يريك مهالك السير، ويقيك شر المخاوف، لعلمه القاطع بهذه المفاوز، وتلك المخاطر، وأماكن الأشرار، فيجنبك جميع ذلك، حتى تصل إلى بغيتك آمنًا، وإلى وجهتك مطمئنًا، وإلى قصدك سالمًا غانمًا، لأن الطريق إلى الله عزَّ وجلَّ ليس بالأمر الهين اليسير، (وإنه ليسير على من يسره الله عليه)، ولله در شيخنا إذ يقول:-

أم قد حسبت المعالـــــي عجزًا وعزمًا رديـــــــــــا

أو أن تباهي قرينـــــــًا بفضل مولاك غَيَّـــــــــا

أم نالها من رآهـــــــا نومًا وعيشًا طريًّـــــــــا

أو ظاهرا من حيـــــاة أو مطمعا سفليًّـــــــــا

كلا وتلك السجايـــــا لا تستقيم لديًّـــــــــا

فارحل إلينا وهاجـــــر تكن بوصل حريًّـــــــا

واهرع إلينا وعاقـــــر في الوصل كأس الحميًّـــا

*- فالطريق إلى الله عز وجل عسرة المسالك، ضيقة على السالك، بكى فيها آدم، وناح لأجلها نوح، ورمي في النار إبراهيم، وأضجع للذبح إسماعيل، وابتلي أيوب، وبيع يوسف، ونشر زكريا، وذبح يحيى، وَابْتُلِعَ يونسُ في بطنِ الحوتِ، ورُمِيَ في الجُبِّ يوسف، وَابْتُلِيَ في عرضه، وأدخل السجن مع طهارته وعفته ونزاهته وسمو شرفه وعلو مكانته، وهام مع الوحش عيسى، وعالج الفقر محمد ﷺ.

*- فأول قدم في الطريق هي بذل الروح، فمحبة الشيخ تقيك من كل سوء، لأنه هو دليك على الله عزَّ وجلَّ وهو الراعي المسئول عن رعيته.

*- كما قال ﷺ- " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ".

*- ولهذا يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "وصن بحبه قلبك من خواطر العدا، عداك هم الشيطان والنفس والهوى".

*- ويقول أيضًا:- "وداوِ قلبك بحب الداعي إلى باب المصطفى وعن كل ما يخالف كتاب الله فارجع"، وذلك لأن حبَّ الداعي إلى الله ورسوله ﷺ هو من حب الله ورسوله " اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك والعمل الذي يقربني إلى حبك "، وعلى هذا فحب الداعي إلى الله وباب نبيه ﷺ هو من ذكر الله عزَّ وجلَّ، وذكرُ اللهِ سبحانه وتعالى دواءٌ للقلوب، وجلاءٌ للأبصار، وشفاءٌ للأجسام، وذهابٌ للهموم، وصدق القائل:-

تواضع لرب العرش علك ترفـع ما خاب عبد للمهيمن يخضـــــع

وداوِ بذكر الله قلبك لأنـــــه أشفى دواء للقلوب وأنفـــــــع

*- ويقول أيضًا:- "واملأ قلبك بحب من يرشدك إلى طريق الحق وباب النبي ﷺ لأن الحب في الله واجب، والبغض في الله واجب".

*- ثم يقول قدس الله تعالى سره:- "فاعتنق منه ربقة العهد فيصلًا بين آتٍ وسالفٍ، واعتقد واتبع ولا تنتقد أو تخالف"، نعم والله إذا منَّ الله تبارك وتعالى عليك بصحبة الشيخ الرباني، والوارث المحمدي، والعارف بالله، فبادر بأخذ البيعة المحمدية منه لتكون في معية الصالحين، فهذه هي الأصول، ومن ترك الأصول حرم الوصول، ومن ترك الآداب حرم من صحبة الأحباب، ومن صحبهم بلا حب، طرد من حضرة القرب، فحبهم والله هو باب الوصول، وسلم الدخول، ومفتاح القبول، وكيف لا يكون ذلك كذلك وحبهم والله عين الفلاح، ولا تقبل الصلاة التي هي عماد هذا الدين إلا بذكرهم، وأنعم بذكرهم من رجال، فالتشهد ركن من أركان الصلاة، وإذا ترك الركن عمدًا أو سهوًا بطلت الصلاة إن لم يتم تدارك ما ترك، ومن التشهد "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين".

*- فالوليُّ يكفيه شرفًا وفخرًا أن الله تعالى نسبه إلى ذاته الشريفة فقال:- { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}،(يونس:-٦٢)، واسمُ الوليّ مكون من ثلاثة أحرف هجائية.

*- فالواو هي "قسم من الحق تبارك وتعالى"، أي وعزتي وجلالي، واللام هي لام "لأوالين مَنْ"، والياء هي "يواليك".

*- فكأن الحق تبارك وتعالى يقول:- "وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي لأوالين من يواليك، ولأعادين من يعاديك"، وعلى هذا فإنه لا بد من أخذ البيعة المحمدية منهم حتى لا تمت يا أخي في الله ويا حبيبي في رسول الله ﷺ ميتة جاهلية.

*- كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ والذي لا ينطق عن الهوى ﷺ حيث قال:- "من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"، وكما تعلمون أن حب الشيخ العارف بالله تعالى سبب لحصول الخيرات والبركات والنفحات، بل وسبب لحصول التجليات الربانية والفيوضات الإحسانية والعلوم اللدنية.

*- اسمع قول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "مررت يومًا بقوم حبهم صلاني، ووجدتهم يفسرون حرف الصاد لهم مدة من زمان، ولم يفسروه إلا بعدما اجتمعوا على جمر المحبة والتفاني، وقدم كل واحد منهم نفسه لشيخه فدية بحسه والمعاني، وقال أين بحر المحبة يا من لا مسرى إلى العلا بغيركم".

*- فالواضح أنه لم يُفْتَحْ عليهم بالتفسير إلا بعدما تفانوا في محبة بعضهم بعضًا وقدم كل واحد منهم نفسه لشيخه فديةً بحسه والمعاني، لأن العارفين بالله تعالى هم نُوَّابُ حضرة النبي ﷺ وأحباب الحبيب المصطفى ﷺ، وأحب إلينا من أنفسنا وأهلينا وأموالنا، بل ومن الناس أجمعين.

*- والشيخ هو نائب حبيبنا المصطفى سيد المرسلين ﷺ، فحبه والله عين الفلاح والنجاح والصلاح والرباح، فالصالحون وكما تعلمون ينقسمون إلى أقسام عديدة، حسب حبهم واجتماعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وحسب قربهم من الحضرة الإلهية، من حضرة الحق تبارك وتعالى، فمنهم النقباء والأبدال، ومنهم النجباء والرجال، ومنهم الأقطاب الأخيار، ومنهم الغوث الذي يسقى به الغيث وتستدر ببركته الضروع والزر وع والثمار، فالنقباء سبعون، والأبدال أربعون، والنجباء ثلاثمائة، والرجال عشرة، والأقطاب سبعة، والغوث واحد، فهؤلاء ورثة سره المصون، وعلمه المكنون، أمناؤه على عباده، ورحمته في بلاده، فهم بأمره يتصرفون وعن طوع إرادته لا يخرجون.

*- واعتقد يا أخي في الله ويا حبيبي في رسول الله ﷺ في عظمة الشيخ وقدرته على قيادتك والأخذ بيدك إلى طريق الحق عزَّ وجلَّ، والدخول على حضرة الحبيب المصطفى ﷺ ولا تخالفه ما دام على طريق الحق سائرًا، فهم أحباب الله وَنُوَّابُ رسول الله ﷺ، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، اللهم انفعنا بحب الصالحين، واحشرنا في زمرة سيد المرسلين ﷺ.

*- فشيخنا الجليل قَدَّسَ الله تعالى سره، وَطَيَّبَ الله ثراه كان غوث أهل زمانه، وها هو يقول رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- "وجعلني لا شك غوثًا لمن أحبني ولاذ بيا"، اللهم انفعنا بحب شيخنا، واجعل حبه أحب إلينا من انفسنا وأهلينا وأموالنا وذرارينا، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير.

*- وبناءً على ما سبق فالواجب على كُلِّ واحد منا أن يتخذ له شيخًا عالمًا بالله تعالى، أي عالمًا ربانيًّا، ووارثًا محمديًّا، وأن يعاهده على الصدق والتصديق، وأن يسير على منهاج لطريق الصحيح الصادق الذي لا اعوجاج فيه، وأن يبادر بأخذ البيعة المحمدية من الشيخ المربي، ليدخل في زمرته ومعيته، وليندرج تحت رايته، وليكون فردًا من رعيته، لأن كل راعٍ مسئول عن رعيته، هذا أمر قدوتهم عليه الصلاة والسلام، هو نبع مددهم وبركتهم، ومن هنا ننتقل إلى موضوع البيعة المحمدية، لأهميتها البالغة في حياة المريد المحب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين.

ثانيًا:- ''أخذ البيعة المحمدية من الشيخ المربي''

*- الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، الحمد لله الذي اصطفى سيدنا محمداً ﷺ على سائر البشر، فجعله إنسان عين الوجود، والسبب في كل موجود، لولاه ما خلق الأكوان خالقها، أو جاء بالغيب رسل الله لولاه.

*- فكل الخلق خلق لأجل الحبيب المصطفى ﷺ، فقام حبيبنا ﷺ بالعبودية المخلصة الصادقة لله عزَّ وجلَّ خير قيام، فكان نعم الأسوة الحسنة، والقدوة العظيمة الجليلة الصالحة، والمثل الأعلى لجميع الإنس والجنِّ حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}،(الأحزاب:-٢١).

*- فقام ﷺ وبايع أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين على طاعة الله ورسوله، واقتفاء أثره ﷺ، وأن يبذلوا النفس والنفيس والغالي الرخيص، راضية به نفوسهم، مطمئنة به قلوبهم، سخية به أيديهم، ابتغاء مرضاة الله عزَّ وجلَّ، دون ضجر، أو ملل، أو صخب، أو تأخر، أو توانٍ، امتثالًا لقول الله عزَّ وجلَّ:- { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}،(الفتح:-١٠).

*- وامتثالًا لقوله تعالى:- { وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ}، (التوبة:-١١١).

*- وامتثالًا لقوله تعالى:- { الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)}،(الرعد:-٢٠).

*- وامتثالًا لقوله تعالى:- { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١)}،(النحل:-٩١).

*- وامتثالًا لقوله تعالى:- {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)}،(الإسراء:-٣٤).

*- وذلك لأن صِلَةَ المريدِ بشيخه هيَ صِلَةٌ روحيةٌ، لا تفصلها المسافات ولا الحواجز المادية، وإذا كانت الجُدُر والمسافات لا تفصل أصوات الأثير فكيف تفصل بين الأرواح المطلقة؟! لذا قالوا:- (شيخك هو الذي ينفعك بُعدُه كما ينفعك قربُه).

*- ولقد كانت البيعة المحمدية تتخذ في السنة المطهرة أشكالًا عديدة، جامعة بين بيعة الرجال، وتلقين الجماعات والأفراد، ومبايعة النساء، بل وحتى من لم يحتلم، فأما بيعة الرجال.

*- فقد أخرج البخاري في صحيحه عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال:- {بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وَفَّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عفا وإن شاء عاقب عليه، فبايعناه على ذلك}.

*- وأما تلقين الجماعة، فعن يعلى بن شداد قال حدثني أبي شداد بن أوس رضي الله عنه، وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال:- {كنا عند رسول الله ﷺ فقال:- هل فيكم غريب يعني من أهل الكتاب، فقلنا:- لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب فقال:- ارفعوا أيديكم وقولوا:- "لا إله إلا الله"، فرفعنا أيدينا وقلنا:- "لا إله إلا الله"، ثم قال ﷺ:- " الحمد لله اللهم إنك أمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد " ثم قال ﷺ:- "ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم"}.

*- وأما التلقين الإفرادي، فإن عليًّا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وكرم الله تعالى وجهه سأل النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:- يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عنده تعالى، فقال النبي ﷺ:- {عليك بمداومة ذكر الله سرًّا وجهرًا}، فقال علي:- "كل الناس ذاكرون فخصني بشيء" فقال رسول الله ﷺ:- "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله، ولو أن السماوات والأرضين في كفة "ولا إله إلا الله" في كفة، لرجحت بهم ولا تقوم القيامة وعلى وجه الأرض من يقول:- "لا إله إلا الله"، ثم قال علي:- فكيف أذكر، فقال النبي ﷺ:- {غَمِّضْ عينيك واسمع مني "لا إله إلا الله" ثلاث مرات، ثم قلها ثلاثًا وأنا أسمع، ثم افعل ذلك برفع الصوت}.

*- وأما بيعة النساء فعن سلمى بنت قيس رضي الله عنها وكانت إحدى خالات النبي ﷺ وقد صلت معه القبلتين وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار قالت:- " جئت النبي ﷺ فبايعته في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا:- ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، قال:- "ولا تغششن أزواجكن"، قالت:- فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن:- ارجعي فسلي رسول الله ﷺ ما حرم علينا من أزواجنا، قال:- فسألته فقال:- "تأخذ ماله فتحابي به غيره"، وأما بيعة من لم يحتلم ".

*- وقد أخرج الطبراني عن محمد بن على بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين:- أن النبي ﷺ:- بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وهم صغار ولم يبقلوا"، أي لم يحتلموا.

*- فكانوا والله نعم الرجال الذين يدعون إلى الله وباب نبيهم ﷺ، وهم الذين طلقوا الدنيا ثلاثًا وباعوا لله أنفسهم، هم الذين يشترون ويبيعون عطر المحبة في سوق توحيد مولاهم، فرضي الله تبارك وتعالى عنهم وعن أفعالهم هذه وأثنى عليها في قرآن يتلى إلى يوم الدين، إلى يوم أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها فقال:- { لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}،(الفتح:-١٨).

*- فقام الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين وسطروا أروع صفحات التاريخ بما قدموه من أعمال، وبما بذلوه من تضحيات، ممتثلين قول الحق تبارك وتعالى في كتابه المبين:- { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ}،(التوبة:-١١١).

*- فو الله الذي لا إله إلا هو لو كتب ما قدموه من أعمال وتضحيات بماء الذهب على صفحات من نور لكان ذلك في حقهم قليلًا، فهم والله قد أذهلوا العدو والصديق بأعمالهم العملاقة، وتضحياتهم البناءة.

*- فها هي قريش قد أسرت سيدنا خبيبًا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وساوموه، هل يرضيك يا خبيب أن تكون آمنًا مطمئنًا معافى في سربك وأهلك، وأن يكون محمد ﷺ مكانك، فقال:- لا والله، لا والله، لا أرضى أن أكون آمنًا مطمئنًا معافى في أهلي ومالي وولدي وأن يشاك محمد ﷺ بشوكة في قدمه، ولله در القائل في هذا المعنى:-

أسرتْ قريشٌ مسلمًا في غـــــزوةٍ فمضى بِلَا وجلٍ إلى السَّيَّـــافِ

سألوهُ :- هلْ يرضيكَ أنكَ سالـــمٌ ولكَ النبيُّ فدًا منَ الإتـــــلافِ

فأجابَ:- كَلَّا لا سلمتُ مـنَ الردى ويصابُ أنفُ محمدٍ برعـــــافِ

*- فبالله عليكم أي حبٍّ كان أعمق من هذا الحب لهذا النبي الحبيب المصطفى العدنان ﷺ.

*- لهذا يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره متأسيًا برسول الله ﷺ في تناقل العهد والبيعة المحمدية لأتباعه ومريديه، حتى يضيئ لهم ما أظلم من جوانب نفوسهم، ويرشدهم إلى طريق الحق والصواب.

*- فيقول:- {خذ منهم البيعة المحمدية وحافظ على شروطها، قلت:- وما شروطها، فقال:- أول شروطها:- التوبة والندم والبكاء على الذنوب، وثاني شروطها:- رد المظالم والحقوق، وثالث شروطها:- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المذموم، ورابع شروطها:- أن يكون الله ورسوله أحب إليك من نفسك ومن كل محبوب، وأن تخدم لأجلهما إخوانك ووطنك إن ذلك واجب مطلوب}.

*- فهذه شروط البيعة المحمدية جملة، أما شروطها تفصيلًا، فقد أوضحها مولانا في قوله رضي الله تبارك وتعالى عنه:-

أفلا دخلت لهم بالعهد ميدانـــــــا لكن للعهد أحكامًا وأركانـــــــــا

فاضبط على الشرع والتحقيق ميــزانا وسلم الأمر إيثارًا وإذعانـــــــــا

وقدم النفس للتوحيد قربانـــــــــا واجعل غياب السوى للحال عنوانـــا

ولا توهم له حولًا وسلطانـــــــــا وارجع لمولاك كل الأمر عرفانـــــا

وارض به معطيًا أو شاء حرمانـــا ولذ بأهل التقى حسًّا ووجدانـــــــا

واجعل هواك هواهم كيفما كانـــــا لم ينطوِ في هواهم غير من عانـــا

وباع من أجلهم مالًا وولدانـــــــا وذاق نار الهوى سهدًا وأشجانـــــــا

وصاغ من عنفوان الوجد ألحانـــــا وجاءهم من ثياب الفرق عريانـــــــا

فاصبر على محن التمحيص حسبانا تنل عطايا الرضا من فضل مولانـــا

وتحظ بالفوز إن الفوز سرعانـــــا ما يقتفي الصبر والإقبال سرعانـــــا

*- فهذه والله هي شروط البيعة المحمدية كما ذكرها فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره ونفعنا وجميع المسلمين ببركاته وأسراره، ففي أول شروطها مجتمعة يقول:-

*- {أول شروطها التوبة والندم والبكاء على الذنوب، وثاني شروطها:- رد المظالم والحقوق}، وهذه هي شروط التوبة كما ذكرها ساداتنا من أكابر العلماء، فالذنوب إن كانت بين العبد وربه فشروط صحتها ثلاثة:-

*- أولها:- الإقلاع فورًا عن الذنـــــب.

*- وثانيها:- الندم على فعل هذا الذنــب.

*- وثالثها:- العزم على ألا يعود إليه أبدًا.

*- وأما إن كانت الذنوب بين العبد وإخوانه من المسلمين فصحة شروطها أربعة.

*- وهي الثلاثة السابقة الذكر بالإضافة إلى أن يستحل هذا التائب أخاه المسلم مما تكلم به في حقه، وأن يرد له جميع المظالم والحقوق، فإن كان قد اغتابه فلا بد له من أن يستسمحه من ذلك، وإن كان قد أخذ له مالًا فلا بد من إرجاعه، وإن كان قد آذاه في عرضه أو ماله أو أهله فليمكنه في دار الدنيا من القصاص قبل أن يؤخذ في دار الآخرة بالنواصي، وإن علم أن هذا الاستحلال من أخيه قد يسبب مشاكلًا بين الأخوة فعليه ألا يعلمه بذلك، وأن يكثر الدعاء والاستغفار لأخيه بظهر الغيب، سائلًا الله تبارك وتعالى بقلب منكسر ودمع منهمر أن يتوب عليه وأن يغفر له ما قد سلف.

*- ثم يقول فضيلة شيخنا:- { وثالث شروطها:- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المذموم}، وهذه هي صفة أمة الحبيب محمد ﷺ، كما قال الله تعالى مثنيًا على هذه الأمة المحمدية ومادحًا إياها:- { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }،(آل عمران:-١١٠).

*- وهذا من شروط البيعة المحمدية أن تأتمر بالمعروف وأن تأمر به، وأن تنتهي عن المنكر المذموم وأن تنهى عنه، فلا يليق بك يا أخي المسلم أن ترى أخاك يتخبط في ظلمة الجهل ورؤية الأغيار ظانًّا أنه على الجادة وطريق الحق والصواب دون نصيحة منك أو توجيه وإرشاد له، فأخوك والله أمانة في عنقك سيسألك الله عنه يوم القيامة، هل نصحته، هل وجهته، هل أخذت بيده للصواب، وهو أحوج ما يكون لنصيحتك، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

*- ثم يقول فضيلة شيخنا رضي الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه:- {ورابع شروطها:- أن يكون الله ورسوله أحب إليك من نفسك ومن كل محبوب، وأن تخدم لأجلهما إخوانك ووطنك إن ذلك واجب مطلوب}.

*- لذلك يقول ﷺ:- "لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما"، فلا بد من أن تفدي شريعة الله عزَّ وجلَّ وأن تفدي رسول الله ﷺ بنفسك وأهلك ومالك وولدك وجميع الخلق، ولله در فضيلة شيخنا إذ يقول:- ''اللهم إني فديت بروحي محمداً وأنت على ما أقول وكيل''، ولله در القائل:-

روحي بها لك إنني متقـــــرب فعسى علي بنظرة تتصـــــــــــــدق

من مات فيك صبابة نال المنـا طوبى لمن في نار حبك يا حبيبي يحرق

العشق فني والصبابة مذهبـــي لا خير فيمن لا يحب ويعشـــــــــق

ولله در القائل أيضًا:-

قلبي يحدثني بأنك متلفـــــي روحي فداك عرفت أم لم تعـــرف

لو أن روحي في يدي ووهبتها لمبشري بقدومكم لم أنصـــــــف

مالي سوى روحي وباذل روحه في حب من يهواه ليس بمســـرف

فلئن رضيت بها فقد أسعفتنـي يا خيبة المسعى إذا لم تسعـــف

*- فإذا استقر الحب في شغاف القلوب فإن المؤمن يقدم نفسه وما تملك يمينه طيبةً بها نفسه مطمئنًا بها قلبه، سخيةً بها يده، فداءً للمحبوب، وطلبًا لرضا المحبوب ﷺ.

*- ولله در شيخنا إذ يقول:- {عيوني لا تكف عن البكاء من أثر حبي لمولاي رب الأرباب، وحبي لحبيبه سيدنا محمد زعيم الأحباب ﷺ.

*- أما شروط البيعة المحمدية بالتفصيل، فيقول فيها فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:-

أفلا دخلت لهم بالعهد ميدانـًا لكن للعهد أحكاما وأركانـًا

*- فيوضح قائلًا:- بأنه لا دخول إلى ميدان الصالحين، وزمرة المتقين، ومعية المقربين، إلا بأخذ العهد من المربي، بأخذ البيعة من الشيخ، فهي إذن الدخول، ومفتاح الوصول، وتذكرة القبول، لكن هذا العهد العظيم له أحكام تضبطه، وأركان تحدده، وقوانين تنظمه، وهي:-

*- " فاضبط على الشرع والتحقيق ميزانًا"، فلا بد أن تلتزم بالشرع ظاهرًا وباطنًا".

*- فالشرع ظاهرنا والحقيقة ضمائرنا"، فلا بد من المحافظة على جميع قواعد الإسلام الحنيف، من صلاة وصيام وزكاة وحج إلى بيت الله الحرام حين الاستطاعة، مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على الجمع والجماعات بقدر الاستطاعة، والتوبة والندم والبكاء على الذنوب، ورد المظالم والحقوق.

*- ثم تحقق بمحبة كوكب النور سيدنا محمد خير من تفتحت له الحجب والستور، وأن تتحقق بحب الصالحين وطاعتهم، وأن تراقب الله عزَّ وجلَّ في كل حركاتك وسكناتك، "فراقبه في كل تدبير أراده لك واعلم أنه خلقك لنفسه حيث قال:- { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}،(الذاريات:-٥٦).

*- واتخذ يا فتى خليلًا في الله صالحًا، إذا نسيت ذكرك، وإذا هويت في هوى نفسك رفعك، وإذا ضللت الطريق إلى باب المصطفى أرشدك، فإنك لن تفلح إلا بصحبة من أفلح، وإنك لن تصيب إلا باتباع المنيب، اسمع قوله تعالى:- {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، (المجادلة:-٢٢).

*- ثم يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "وسلم الأمر إيثارًا وإذعانًا، وقدم النفس للتوحيد قربانًا"، نعم لا بد من تسليم الأمر لأهل الخبرة من رجال الصوفية.

*- كما قال فضيلة شيخنا:- "اللهم بحق اسمك الخبير ارزقنا حسن التسليم لأهل الخبرة من رجال الصوفية"، لأن الحبيب ﷺ يقول:- "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به"، ولله در فضيلة شيخنا إذ يقول:- "طرد الهوى بالهوى منهاج دعوتهم".

*- فهم قد طردوا هوى نفوسهم بهوى الحبيب المصطفى ﷺ، فحب الله عزَّ وجلَّ وحبه ﷺ وحب الصالحين فرض من الله تعالى في القرآن الكريم أنزله، اسمع قوله تعالى:- { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}،(المائدة:-٥٥).

*- وقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "وزنت الدنيا فما وجدت فيها خيرًا سوى حب الله ونبيه ورجاله".

*- ثم يقول:- "وقدم النفس للتوحيد قربانا"، فالنفس وما تملك يقدمها المؤمن قربانًا لله عزَّ وجلَّ، فهذا سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام قدم نفسه للنيران، وابنه للقربان، وماله للضيفان، فاستحق رضا الرحمن، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ}،(التوبة:-١١١).

*- فما أرخص ذلك كله عند المؤمن ابتغاء مرضاة الله عزَّ وجلَّ.

*- ثم يقول فضيلة شيخنا قدس الله سره:- "واجعل غياب السوى للحال عنوانًا، ولا توهم له حولا وسلطانًا"، نعم يجب أن يكون عنوان حالك يا أخي هو غياب السوى، أي أنك غائب في حب مولاك تعالى عن الحواس، عن جميع السوى، ليس في القلب موضع لغير الله تبارك وتعالى، وليس فيه تفكر وتدبر لغير قدرة الله وعظمته، ولا توهم أن لك حولًا وقوة وسلطانًا مع الله عزَّ وجلَّ، فالأمر أمره، والتدبير تدبيره، ولله در القائل:-

لا تدبر لك أمـــرًا فأولي التدبير هلكـــى

سلم الأمر تجدنـــا نحن أولى بك منـــــك

والقائل أيضًا:-

أيها المعرض عنـــا إن إعراضك منـــــــا

لو أردناك جعلنـــا كل ما فيك يردنـــــــا

*- اللهم إنا نسألك رضاك، ولا تشغلنا بسواك حتى نلقاك.

*- ثم يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "وارجع لمولاك كل الأمر عرفانًا، وارض به معطيًا أو شاء حرمانًا"، نعم إن الأمر كله لله، فاعلم ذلك علم اليقين، وفي كل الأمور سلم الأمر لله، ولله در القائل:-

سَلِّـمْ تَسْلَـــمْ واعلم أن المقضي كائن

وإنْ لـمْ تـرضَ سوف ترى وتعايـــــن

*- ثم عليك بأن ترضى عن الله عزَّ وجلَّ في الوصل والقطع، والضر والنفع، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، يجب عليك أن تعلم أن كل قضاء قضاه الله عزَّ وجلَّ لك هو عين الخير والصواب.

*- ثم يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "ولذ بأهل التقى حسًّا ووجدانًا، واجعل هواك هواهم كيفما كانا"، نعم لذ بأهل التقى والصلاح، والفلاح والخير والرباح، من لاذ برجال الله العارفين لا يضام، "يا كلمة التوحيد من لاذ برجالك العارفين لا يضام"، والقائل أيضًا:- "وإذا كانت لي حاجة رفعت طرفي

إلى سماء العارفين فيحضر بين يدي ما خاطر على بالي"، والقائل:- "واجعل هواك هواهم كيفما كانا"، لأن هواهم هو متابعة الحبيب المصطفى ﷺ في أمره ونهيه واقتفاء أثره عليه الصلاة والسلام، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}،(لقمان:-١٥).

*- فطرد الهوى بالهوى منهاج دعوتهم، فتمسك يا أخي بعقيدتهم وتوسل بمددهم يحشرك الله مع سيد البشر.

*- ثم يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "لم ينطوِ في هواهم غير من عانى، وباع من أجلهم مالًا وولدانًا"، نعم والله لا ينطوي في هواهم غير من عانى وقاسى، وجاهد النفس والهوى وخالف الشيطان، وأطاع الرحمن وتابع سنة النبي المصطفى العدنان ﷺ، وباع من أجلهم مالًا وولدانًا، نعم لا بد من أن يبيع الإنسان كل ما يملك من أجل محبة الله ورسوله ومحبة الصالحين، لأن القلب بيت لله عزَّ وجلَّ، فقلوب أحبابه خالية من السوى.

*- كما قال فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- ''ونظر إلى قلوبهم فما وجد فيها سوى محبته ساكنًا، ووجدهم يسيرون به وله عسى أن يكون عنهم راضيًا، وما وجد عبادتهم طمعًا في الجنة أو خوفًا من نار بل وجد بالهم من ذلك خاليًا''.

*- ثم يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "وذاق نار الهوى سهدًا وأشجانًا"، فمخالفة الهوى نار تسهر العيون، وتورث الشوق الشديد إلى الله عزَّ وجلَّ، لأنهم أحبوه وعرفوا أن الحبيب لا يحرق أحبابه بالنار، بل كفاه أنه أشعل محبته في سويداء قلبه ونار المحبة فوق كل النيران.

*- ثم يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "وصاغ من عنفوان الوجد ألحانًا"، أي أنه من شدة الشوق والوجد والهيام بهم والحنين إليهم صاغ من ذلك الوجد ألحانًا، "وجاءهم من ثياب الفرق عريانًا"، أي جاءهم عارٍ من حظِّ النفس واتباع الهوى والشيطان، ومن حب الدنيا وحب الذات، بل وجد نفسه فقيرًا لهم محتاجًا إليهم.

*- ثم يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "فاصبر على محن التمحيص حسبانًا، تنل عطايا الرضا من فضل مولانا"، فالتمحيص لا بد منه في الطريق إلى الله عزَّ وجلَّ مصداقًا لقوله تعالى:- { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢)}،(آل عمران:-١٤٢).

*- فلا بد من الصبر على محن التمحيص لتحظى برضا الله عزَّ وجلَّ، فإذا صبرت على ذلك ابتغاء مرضاة الله عزَّ وجلَّ نلت عطايا الرضا من المولى جلَّ وعلا.

*- ثم يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "وتحظ بالفوز إن الفوز سرعانًا، ما يقتفي الصبر والإقبال سرعانًا"، نعم تحظ بالفوز العظيم والخير العميم، والرضا من المولى الكريم في الدنيا والآخرة، ما يقتفي الصبر والإقبال سرعانا، أي أنه بمجرد أن تصبر راضيًا محتسبًا كل ما أصابك ابتغاء مرضاة الله عزَّ وجلَّ مطمئناً به قلبك، راضية به نفسك، يُقْبِلُ الله عزَّ وجلَّ عليك جزاء هذا الصبر والرضا دون إبطاء أو تأخر من الحق جلَّ وعلا. فالله تعالى نسأل أن يجعلنا من أحبابه وأتباع نبيه ﷺ.

*- هذا وبعد أخذ البيعة المحمدية والالتزام بشروطها، ننتقل إلى ضرورة ملازمة الشيخ، والأخذ عنه وهو ما يسمى بأركان الطريق:- { وهي كما يقول أهل الله الصالحون:- الاجتماع، والاستماع، والاتباع، حتى يحصل الانتفاع}، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباب الثاني

أركـان الطريــق ثلاثــة

‘‘اجتمــاع* واستمـــــاع* واتبـــاع‘‘

‘‘حتى يحصل الانتفـــاع‘‘

*- الركن الأول من أركان السير في طريق أهل الله الصالحين، الموصل لمرضاة الله رب العالمين:- هو ''الاجتمـــــــــــــــــاع''

*- إن للعلماء في شريعتنا منزلة عالية، ومكانة رفيعة، فهم ورثة الأنبياء، وهم العلماء الربانيون، وحملة الشريعة، بل وروح الطريقة الطريقة والحقيقة، وهم روح الأمة وحياتها وفيهم – بعدَ الله – أملها ورجاؤها.

*- لذلك كان من الواجب على جميع المسلمين توقيرهم، واحترامهم، وإكرامهم، والتأدب معهم في جميع شؤونهم، ويجمع ذلك قول الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد رسول الله ﷺ:-(لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ) رواه أحمد (٣٢٣/٥) وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" (٥٤٤٢) .

*- والحقيقة التي لا شكَّ فيها ولا مراء ولا جدال أن مجالسة العلماء لتلقي العلم الشرعي، كذلك علوم الحقيقة، وكيفية إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى هامة جدًّا، للسالك في طريقه إلى الله تبارك وتعالى.

*- هذا وإن الاجتماع بالصالحين أمر كله خير، وقد حثَّ عليه الشارع الحكيم جَلَّتْ قدرته، وعلت كلمته، فلقد أمرنا أن نكون في صحبتهم صباحًا ومساءً، بالغداة والعشي، فقال تعالى:- {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}،(الكهف:-٢٨).

*- كما أمرنا باتباع منهاجهم فقال تعالى:- {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ}،(لقمان:-١٥).

*- كما أمرنا أن نكون في معيتهم فقال تعالى:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}،(التوبة:-١١٩).

*- كما أخبرنا سبحانه وتعالى بأنه أحبهم قبل أن يحبوه فقال:- {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}،(المائدة:-٥٤).

*- وأنه رضي عنهم قبل أن يرضوا عنه فقال تعالى:- {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}،(التوبة:-١٠٠).

*- وأنه تاب عليهم قبل أن يتوبوا إليه فقال تعالى:- {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ}،(التوبة:-١١٩).

*- وأنه تبارك وتعالى أعطاهم قبل أن يسألوه فقال فقال:- {لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ}،(الزمر:-٣٤).

*- فهم والله في ذكر متبادل بينهم وبين خالقهم كما قال تعالى:- {اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}،(البقرة:-١٥٢).

*- فصحبتهم والله هي الترياق المجرب، للوصول إلى الله تبارك وتعالى من أقصر الأبواب، وأيسرها، وهم والله معدن الأخلاق الكريمة وجميع الصفات الحميدة المذكورة في الكتاب والسنة.

*- وفي هذا المعنى البديع الجليل يقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { كُنْتُ فِيْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ وَرُؤْيَةِ الأَغْيَارِ ❁ وَبِفَضْلِهِ أَخْرَجَنِيْ اللهُ مِنْهَا بِصُحْبَةِ الأَخْيَارِ ❁ وَكَشَفَ لِيَ الطَّرِيْقَ شُعَاعُ مَعْرِفَةِ أَهْلِ الأَنْوَارِ ❁ فَطَوَيْتُ سِرِّيْ فِيْ مَجْمُوعَةِ الأَسْرَارِ ❁ وَاتَّبَعْتُ مَا أُنْزِلَ عَلَى سَيِّدِ الأَبْرَارِ ❁ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِيْ صَاغَهُ اللهُ مِنْ خُلَاصَةِ الأَنْوَارِ ❁ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالسَّادَةُ الأَبْرَارُ ❁ فَلَبِسْتُ ثَوْبَ الْحِمَى بَعْدَ مَا تَجَرَّدْتُ مِنْ حُبِّ الْفَانِيَةِ ❁ وَتَبَيَّنَ لِيْ أَنَّ الْعِزَّةَ جَمِيْعاً للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ ❁ بَعْدَ مَا قَضَيْتُ دَهْراً مِنْ حَيَاتِيْ تَائِهاً حَيْرَانَ ❁ أَتَخَبَّطُ فِيْ ظُلْمَةِ الْحِجَابِ وَخِدْعَةِ الأَوْهَامِ ❁ وَمَا خَرَجْتُ مِنْ حِيْرَتِيْ إِلَّا بِرَحْمَةِ الْمَنَّانِ ❁ فَسَاقَ لِيْ عَبْداً مِنْ عَبِيْدِهِ أَسْقَاهُ كَأْسَ الْحُبِّ وَالْعِرْفَانِ ❁ فَاتَّخَذْتُهُ لِيْ دَلِيْلاً وَمُرْشِداً لِحَضْرَةِ الرَّحْمَنِ ❁ فَسَأَلْتُهُ بِلِسَانِ الأَدَبِ عَنْ طَرِيْقِ الْخَلَاصِ وَالإِحْسَانِ ❁ عَمَلاً بِقَوْلِهِ فِيْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ :- ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ❁ فَأَجَابَ عَنْ سُؤَالِيْ بِسُؤَالٍ فَقَالَ :- هَلْ نَطَقْتَ الشَّهَادَتَيْنِ شَهَادَةَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ؟ هَلْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ ؟ هَلْ أَدَّيْتَ الزَّكَاةَ ؟ هَلْ صُمْتَ رَمَضَانَ ؟ هَلْ حَجَجْتَ الْبَيْتَ حِيْنَ الاسْتِطَاعَةِ ؟ ❁ فَقُلْتُ لَهُ نَعَمْ لِهَذَا وَفَّقَنِيَ اللهُ ❁ فَقَالَ هَلْ عَمِلْتَ الْوَاجِبَ ؟ فَقُلْتُ وَمَا الْوَاجِبُ ؟ فَقَالَ :- الوَاجِبُ كُلُّ الوَاجِبِ أَنْ تُوَالِيَ لِلهِ وَلِيّاً ، وَأَنْ تحُبَّ حِيْنَ تُحِبُّ لِلهِ ، وَتُبْغِضَ حِيْنَ تُبْغِضُ لِلهِ ❁ فَقُلْتُ هَذَا شَيْءٌ لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ ❁ وَكَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى تِلْكَ الْمَعَانِي ؟ ❁ فَقَالَ :- اِزْهَدِ الدُّنْيَا تَأْتِ إِلَيْكَ خَادِمةً ، وَيَكُنْ فِرَاقُهَا عَلَيْكَ هَيِّناً ❁ وَلَازِمْ أَهْلَ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ يَغْفِرْ لَكَ اللهُ خَطَايَاكَ ❁ وَالْزَمْ مَجَالِسَ أَهْلِ القَنَاعَةِ يَمْلَأِ اللهُ بِالْغِنَى حَنَايَاكَ ❁ وَادْخُلْ فِيْ حِمَى الأَخْيَارِ ❁ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَهُمْ بِالْعَزْمِ وَالإِصْرَارِ ❁ يَفْتَحِ اللهُ عَلَيْكَ وَتَعْرِفِ الأَسْرَارَ ❁ أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ

أَخْفَى ثَلَاثاً فِيْ ثَلَاثٍ :- أَخْفَى الْمَغْفِرَةَ فِيْ الطَّاعَةِ ، وَأَخْفَى الْغِنَى فِيْ القَنَاعَةِ ، وَأَخْفَى أَسْرَارَهُ فِيْ أَهْلِ الضَّعْفِ وَالْوَدَاعَةِ ❁ الَّذِيْنَ اُسْتُضْعِفُوا لَهُ دُونَ سِوَاهُ ❁ فَجَعَلَهُمْ بَيْنَ خَلْقِهِ أَهْلَ العِزِّ وَالْجَاهِ ❁ وَأَلْبَسَهُمْ ثَوْبَ عِنَايَتِهِ وَحَفِظَهُمْ فِيْ أَرْضِهِ وَسَمَاهُ ❁ وَرَغْمَ أَنْفِ كَلِّ مُكَابِرٍ جَعَلَهُمْ لِلْخَلْقِ مُرْشِدِيْنَ هُدَاةً ❁ فَقُلْتُ لَهُمْ مَنْ هُمُ الَّذِيْنَ تُشِيْرُ إِلَيْهِمْ ؟ ❁ فَقَالَ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ الَّذِيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ ❁ وَجَاهَدُوا فِيْهِ حَقَّ جِهَادِهِ فَقَرَّبَهُمْ وَأَدْنَاهُمْ ❁ وَقَالَ فِيْ حَقِّهِمْ فِيْ مُحْكَمِ التَّنْزِيْلِ :﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِيْ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِيْ الآخِرَةِ لَا تَبْدِيْلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيْمُ ﴾ ❁}.

*- فكان لزامًا على السالك أن يصحب الشيخ على الدوام ليتعلم منه الصدق، والأمانة، والكرم، والإخلاص، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء، وصلة الرحم، وحب الآخرين، والإحسان إلى من أساء إليك،... وهكذا.. فهذه رؤوس الأخلاق اللازمة لكل من يبغي الوصول لحضرة المولى تبارك وتعالى.

*- ولا شك في أن الكتاب والسنة قد فَصَّلَا كل ما يحتاج إليه المسلم من أدب وخلق، فمن عمل بالقرآن والسنة فقد جمع الأدب والخلق الحسن؛ ولكن المحب الذي يريد الوصول إلى رضا الله عزَّ وجلَّ لا بد له من شيخ يُقَوِّمُ سيره، ويأخذ بيده ليدله على الله تعالى بكل يسر وسهولة، ولذلك لما وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه خلق النبي ﷺ، قالت:- ''بأن خلقه كان القرآن''.

*- عن سَعْد بْن هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، أنه سئل عائشة رضي الله عنها، فقال:- (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ! أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

*- قَالَتْ:- أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ:- بَلَى، قَالَتْ:- فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ) رواه مسلم (٧٤٦).

*- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:- (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) رواه البخاري في "الأدب المفرد" (٢٧٣) والإمام أحمد في "المسند" (١٤ / ٥١٢ – ٥١٣)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢٣٤٩) .

*- قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى:- " وهذا الحديث يتصل من طرق صحاح، عن أبي هريرة وغيره عن النبي ﷺ " انتهى، "التمهيد" (٢٤ / ٣٣٣).

*- روى الخطيب البغدادي بسنده عن سفيان بن عيينة، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:- " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمِيزَانُ الْأَكْبَرُ، فَعَلَيْهِ تُعْرَضُ الْأَشْيَاءُ، عَلَى خُلُقِهِ وَسِيرَتِهِ وَهَدْيِهِ، فَمَا وَافَقَهَا فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ الْبَاطِلُ " انتهى من "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (١ / ٧٩).

*- لكن؛ كون الأخلاق والآداب مصدرها الكتاب والسنة، لا ينافي هذا أن للعالم دورًا كبيرًا في تأديب طلابه، فالشيخ ليس أساسًا للأدب والخلق لكنه وسيلة فعّالة لاكتساب ذلك؛ ولهذا أوصى أهل العلم الطالب أن يختار في تعلمه الشيخ العامل بعلمه، الذي يظهر عليه خلق الكتاب والسنة.

*- قال ابن مفلح رحمه الله تعالى:- " وعن إبراهيم النخعي قال:- كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وإلى صلاته وإلى حاله، ثم يأخذون عنه وقد روي هذا المعنى عن جماعة " انتهى من "الآداب الشرعية" (١ / ٤١٨).

*- قال ابن جماعة رحمه الله تعالى:- " ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه، وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته، وعرفت عفته، واشتهرت صيانته.

*- ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين، أو عدم خلق جميل، فعن بعض السلف:- إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، " انتهى من " تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم" (ص ٩٦).

*- إن المعضلة الكبرى:- ليست هي مجرد "معرفة" الفضائل والرذائل، كما يظن البعض منا؛ فعامة الناس يعلمون:- أن الصدق حسن، والكذب قبيح، وكم من الناس من يكذب، وكم من الناس من يخون، وكم، وكم.

*- إن المعضلة حقًّا والفارق بين "الصدق" والدعاوى، إنما تكمن في "العمل" بهذا العلم، والصبر عليه، ومجاهدة النفس على هواها، وما تشتهي.

*- وهذه وظيفة العالم الرباني؛ أن يربي الناس على ذلك، ويؤدبهم به.

*- قال الله تعالى:- { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ }،(آل عمران:-٧٩).

*- قال البغوي رحمه الله، في تفسير "ربانيين":- " وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، قَالَ عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ:- كُونُوا فُقَهَاءَ علماء، وقال قتادة:- حكماء علماء، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ:- الْعَالِمُ الَّذِي يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:- فُقَهَاءَ مُعَلِّمِينَ.

*- وَقِيلَ:- الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كباره .

*- وقال عطاء:- حكماء علماء نُصَحَاءَ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ .

*- قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:- سَمِعْتُ رَجُلًا عَالِمًا يَقُولُ:- الرَّبَّانِيُّ الْعَالِمُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ والأمر والنهي العارف بِأَنْبَاءِ الْأُمَّةِ، مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ.

*- وَقِيلَ:- الرَّبَّانِيُّونَ فَوْقَ الْأَحْبَارِ، والأحبار فوق الْعُلَمَاءُ، وَالرَّبَّانِيُّونَ الَّذِينَ جَمَعُوا مَعَ الْعِلْمِ الْبَصَارَةَ بِسِيَاسَةِ النَّاسِ.

*- وَقَالَ الْمُبَرِّدُ:- هُمْ أَرْبَابُ الْعِلْمِ سُمُّوا بِهِ لِأَنَّهُمْ يُرَبُّونَ الْعِلْمَ، وَيَقُومُونَ بِهِ وَيُرَبُّونَ الْمُتَعَلِّمِينَ بِصِغَارِ الْعُلُومِ قَبْلَ كِبَارِهَا، وَكُلُّ مَنْ قَامَ بِإِصْلَاحِ الشيء وَإِتْمَامِهِ فَقَدْ رَبَّهُ يَرُبُّهُ، " انتهى، من "تفسير البغوي" (٤٦٣/١)، وينظر:- "تفسير الطبري" (٥٤٤/٦) .

*- وحاصل ذلك:- أن هذه هي وظيفة العالم الرباني:- أن يقوم في الناس بالعلم الذي علمه الله؛ يعلمهم إياه، ويسوسهم، ويربيهم ويصلح أمرهم بمقتضى ذلك.

*- ثم مع ذلك، وربما فوق ذلك:- أن يسير فيهم بعلمه الذي علمه الله، حتى إنهم ليرون فيه:- واقعًا عمليًّا، لذلك العلم الذي تعلموه.

*- يرُوى أنَّ الأحنف بن قيس قال:- " كنا نختلف إلى قيس بن عاصم نتعلم منه الحلم، كما نتعلم الفقه".

*- وكان أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرحلون إليه، فينظرون إلى سمته، وهديه، ودَلَّه، قال:- "فيتشبهون به" .

*- وقال ابن سيرين:- " كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم".

*- قال القاضي أبو يعلى رحمه الله:- روى أبو الحسين بن المنادي بسنده إلى الحسين بن إسماعيل قال:- سمعت أبي يقول:- " كنا نجتمع في مجلس الإمام أحمد زُهاء على خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون منه حُسنَ الأدب، وحسن السمت" .

*- وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد لابنه:- "يا بني، إيت الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إليَّ لك من كثير من الحديث" .

*- وقال الأعمش:- كانوا يأتون همام بن الحارث يتعلمون من هديه وسمته.

*- ينظر:- "موسوعة الأخلاق"، لخالد الخراز، ص (٨١) وما بعدها .

*- إن الأصحاب يؤثر بعضهم في أخلاق بعض، والقوي يسحب الضعيف إلى طباعه، والكريم يسحب البخيل، والمُشَمِّرُ يسحب المُقَصِّرَ، والطائع يسحب العاصي، وهكذا، فلهذا حث الشرع على ملازمة صحبة أهل التقوى وحذر من صحبة أهل السوء.

*- عن أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:- (مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ:- إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ:- إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)،رواه البخاري (٥٥٣٤) ومسلم (٢٦٢٨) .

*- قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:-

*- " فيه تجنب خلطاء السوء ومجالسة الأشرار وأهل البدع والمغتابين للناس؛ لأن جميع هؤلاء ينفذ أثرهم إلى جليسهم، والحض على مجالسة أهل الخير وتلقى العلم والأدب، وحسن الهدى والأخلاق الحميدة " انتهى من " اكمال المعلم" (٨ / ١٠٨).

*- فإذا صاحب الطالب شيخًا عاملًا بعلمه فإنه سيتأثر بهذه الصحبة ويتخلق بأخلاق شيخه؛ فلهذا نجد في كتب التراجم والسير أن فلًانا كان كشيخه في الأدب والخلق والهيئة والسيرة.

*- قال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمهما الله تعالى:- " حدثني أبي قال حدثنا عثمان بن عثمان قال:- سمعت البتيَّ يقول:- كان يقال:- ما رأينا رجلًا قط أشبه هديًا بعلقمة من النخعي، ولا رأينا رجلًا أشبه هديًا بابن مسعود من علقمة، ولا كان رجل أشبه هديًا برسول الله ﷺ من ابن مسعود " انتهى من " العلل ومعرفة الرجال" (٢ / ١٩٤).

*- والنخعي تلميذ علقمة، وعلقمة تلميذ ابن مسعود رضي الله عنه، وابن مسعود صاحب رسول الله ﷺ.

*- وقال الذهبي رحمه الله تعالى:- " قال أبو بكر بن إسحاق الصبغي، وقيل له:- ألا تنظر إلى تمكن أبي علي الثقفي في عقله؟

*- قال:- ذاك عقل الصحابة والتابعين من أهل المدينة.

*- قيل: وكيف ذاك؟

*- قال:- إن مالك بن أنس كان من أعقل أهل زمانه، وكان يقال:- إنه صار إليه عقول من جالسهم من التابعين، فجالسه يحيى بن يحيى النيسابوري، فأخذ من عقله وسمته، حتى لم يكن بخراسان مثله، فكان يقال:- هذا عقل مالك وسمته.

*- ثم جالس يحيى محمدُ بن نصر سنين، حتى أخذ من سمته وعقله، فلم ير بعد يحيى من فقهاء خراسان أعقل منه.

*- ثم إن أبا علي الثقفي جالس محمد بن نصر أربع سنين، فلم يكن بعده أعقل منه " انتهى من "تاريخ الإسلام" (٦ / ١٠٤٦ - ١٠٤٧).

*- وهناك من الآداب والأخلاق ما يحتاج إلى تحقيق وعلم وحكمة لإصابة وجه الحق فيها، كالتفريق بين أوقات اختيار العزلة وأوقات مخالطة الناس، بين حالات استعمال خلق الحياء والحلم وبين حالات استعمال الجرأة والغضب، وكفهم حد الحلم وحد الضعف، وفهم حد البخل وحد الجود، ونحو هذا من المسائل التي قد يغنيك العالم بعلمه وحكمته وتجربته عن التيهان ومكابدة التجارب الخاطئة.

*- وهناك من الآداب والأخلاق، ما هو داخل في دائرة المباح، لكنها مما يناسب تركها أو فعلها كمال المروءة وحسن السمت، ومثل هذه الآداب والأخلاق إنما تعرف وتكتسب بمعاشرة أهل المروءة، وأهل العلم العاملين بعلمهم هم أهلها وأولى الناس بها.

*- قال ابن مفلح رحمه الله تعالى:- " عن الأعمش قال:- كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء حتى لباسه ونعليه ... وقال عبد الرحمن بن مهدي:- كنا نأتي الرجل ما نريد علمه ليس إلا أن نتعلم من هديه وسمته ودله، وكان علي بن المديني وغير واحد يحضرون عند يحيى بن سعيد القطان ما يريدون أن يسمعوا شيئًا إلا ينظروا إلى هديه وسمته.

*- وقال عبد الله بن أحمد سمعت ابن علي بن المديني يقول:- رأيت في كتب أبي ستة أجزاء مذهب أبي عبد الله وأخلاقه، ورأيت أحمد يفعل كذا ويفعل كذا وبلغني عنه كذا وكذا " انتهى من "الآداب الشرعية" (٢ / ١٤٩).

*- وحاصل الأمر:- إن المسألة:- ليست قاصرة على " كبار الأخلاق" وتعلمها، فهناك من تفاصيل الوقائع، ودقائق الأمور، في أبواب الخلق، والورع، والتربية والسلوك، يحتاج من الناصح لنفسه، البصير بأمره، أن يتخذ شيخًا، أو صديقًا صالحًا، يستشيره، ويتعلم منه ما يحتاج إليه.

*- بل في كثير من الأحكام المتعلقة بكبار المسائل، من الصدق والكذب، والأمانة والخيانة، والغيبة والنميمة:- ما يحتاج إلى بصر العالم، وفقهه، وإرشاده.

*- وفي هذا المعنى البديع الجميل يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { احضر في مجالس الهوى، واطلب من سيد الجلسة بلسم الدوا، وَتَلَقَّ قوله بالتصديق والطاعة تسلم من البلا، خذ دواءك من عروق الصبر، وضعها في قدر الحكمة، وأوقد عليها نار الاشتياق لهم، وارضَ بخفض جناحك وكن معهم بقواك، وارو لحيتك بدمع الرجوع والندم، وانسَ كل ما سواهم، وَتَلَقَّ قتلهم على بساط المحبة، ولا تفغل عمن يرشدك على باب الهداية، واهجر الحياة التي تسوقك إلى حب المادة، وإياك أن تفعل شيئًا على عاتق نفسك تُرَدّ إلى الثبور، ثم تحقق بمحبة كوكب النور، سيدنا محمد ﷺ خير من تفتحت له الحجب والستور، ابذل جهدك وافنَ عن بشريتك المظلمة، وادخل في نورهم ﷺ حتى يكون لك شافعًا يوم يكون القدم فوق القدم، ويوم لا ينفع الناس الندم}.

*- ثم إن شيخنا الجليل أوصانا بخدمة هذا الجمع الطيب المبارك:- { كن خادمًا وحاملًا لشعلتهم، واحفظ عنقك في ربقتهم، هم عيون الله في أرضه لا يألفهم إلا الذي قدر على حرمتهم وخدمتهم، هم الذين أحبهم الله وأحبوه وقذف من نوره في قلوبهم، وألبسهم ثوب ولايته وعنايته، وبه زينهم وشرفهم، هم الذين بشرهم في كتابه العزيز فقال:- {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)}،(يونس:-٦٢-٦٤).

*- ولله در القائل في هذا المعنى الجميل:-

ما لذة العيش إلا صحبة الفقـــــرا هم السلاطين و السادات والأمـــرا

فاصحبهم وتأدب في مجالسهـــــم وخلِّ حظك مهما قدمـــــــوك ورا

واستغنم الوقت واحضر دائمًا معهم واعلم بأن الرضا يختص من حضرا

ولازم الصمت إلا إن سئلت فقـــل لا علم عندي وكن بالجل مستتـــرا

*- ولله در شيخنا إذ يقول أيضًا:-

وصـــل الأحبـــة فـــــــرض بعشيـــــــــة وغـــــــــــداة

وجليسهـــــــــم فـــي حـــــرز من صاحـــــــب الهمـــــــــزات

بـــل إنـــــه فـــــي ذكـــــر وتعبـــــــــد وصـــــــــــــلاة

*- فالواجب الإنصات إلي فضيلة الشيخ المربي إذا حدث، وعدم مقاطعته، وتعظيمه، وتوقيره، وتبجيله، لإن العلم شعيرة من شعائر الله:- { ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }،(الحج:-٣٢).

*- وبناءً على ما سبق فإن الاجتماع بالصالحين وحضور مجالسهم فيه الخير كله، والسعادة كلها، لأنه كما قيل:- ''الصاحب ساحب''، وكما قيل من '' من جالس جانس''.

*- كما أنه يجب الإصغاء إليه بكل جوارحك، واستماع ما يقول، ففي قوله الخير والسعادة والهناء، والفوز في الدنيا والآخرة، وهنا ننتقل إلى الركن الثاني من أركان الطريق وهو الاستماع.

*- الركن الثاني من أركان السير في طريق أهل الله الصالحين، الموصل لمرضاة الله رب العالمين:- هو ''الاستمـــــــــــــــــاع''

*- إن الاستماع إلى قول الشيخ المربي، وإرشاداته، وتوجيهاته فرض عين في حق المريد المحب الصادق الذي يبغي الوصول إلى حضرة المولى تبارك وتعالى، فالصالحون هم والله ورثة الأنبياء كما قال حبيب قلوبنا ونور عيوننا ﷺ:- {العلماء ورثة الأنبياء}.

*- فمن فضائل حضور حلقات الذكر، والاستماع إليها، وإلى المواعظ الإيمانية، التي تحرك القلب، وتؤثر فيه:-

أحبتي الكرام:- إن الله سبحانه وتعالى شرع لنا كثيرًا من العبادات والطاعات التي نتداولها حتى نزيد في حظنا من الآخرة، ولا نَكِلُّ من العبادة، لأن الإنسان مفطورٌ على أن يَمِلَّ من عمل شئ واحد باستمرار.

*- ولهذا فقد حدثنا نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم عن فضل الذكر وهو إحدى العبادات التى يتقرب العبد إلى ربه يبتغى مرضاة الله عزَّ وجلَّ، حيث يقول المولى تبارك وتعالى:- { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم}،(البقرة:- ١١٥).

*- وقال تعالى:- { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }، (الزمر:-٩)، ويقول أيضًا:- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير}،(المجادلة:-١١).

*- إخوتى في الله، وأحبتي في رسول الله ﷺ:- إن المداومة على عقد حلقات الذكر في المساجد، أو الاجتماع على موعظة دينية، أو درس فقهي، أو توجيه إيماني لتربية النفوس، وتطهير القلوب، وتزكية الجوارح لتذعن منقادة راضية ملبية لجميع أوامر الله تبارك وتعالى، حتى تبلغ مرضاته عزَّ وجلَّ، ومحبته ومحبة حبيبه المصطفى ﷺ، لهي والله من أجلِّ الفوائد، وأعظم المنن التي امتنَّ الله تبارك وتعالى بها على عباده المؤمنين الموحدين الصادقين القانتين.

*- فحضورُ حلقةٍ في كُلِّ يومٍ منْ حلقاتِ الذكرِ، والاستماع إليها بإنصات وخشوع وخضوع وتضرع، وتدبر وحضور قلب، يعود على صاحبها بالأجر العظيم، والفضل الجزيل، اسمع قول الحبيب سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وهو يقول في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري رضى الله عنه قال :- قال رسول الله ﷺ:- { مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحيِّ والميت}، رواه البخاري.

*- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:- قال رسول الله ﷺ:- { سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم ..... ورجل ذكر الله خاليًا ففضت عيناه}، متفق عليه.

*- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:- قال رسول الله ﷺ:- { سبق المفردون، قالوا:- وما المفردون يا رسول الله؟ قال:- الذكرين الله كثيرًا والذاكرات }، روه مسلم.

*- والأحاديث الواردة في فضل طلب العلم، وأهميته البالغة في حياة المريد الصادق، فطالب العلم، يحرص دومًا على الاستماع لمواعظ فضيلة شيخه الجليل العالم الرباني، والوارث المحمدي، الذي أكرمه الله عزَّ وجلَّ بعلمه اللدني، وفيضه الإحساني، وكرمه الرباني، فكانت كل علومه { نفحات نورانية، وعلوم لدنية، ووداد في المعية }، وكذلك الاستماع إلى أحاديث القوم الصالحين، والصفوة المقربين التي ترقق القلب، وتدمع العين، وترتقي بالعبد إلى أعلا المراتب الإيمانية، بل وتقرب العبد من الرب جلَّ وعلا، فكان حريًّا بنا، ولزامًا علينا الحرص كل الحرص على حضور هذه المجالس، والاستماع للمواعظ البليغة ففيها والله الخير والهناء والفوز والسعادة في الدارين العاجلة والآجلة.

*- لأنه كما قال ﷺ في الحديث الصحيح:- { من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة }، وفضل التماس العلم لا يقتصر على العلم الدينى فقط، بل حتى على العلوم النافعة لحياة الناس، ومنها الطب والحساب وعلم الفلك النافع، وخلافه، ولله در الإمام الجليل سيدنا الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو يقول:-

شَكَوتُ إلى وَكيعٍ سُوءَ حِفظي فَأَرْشَدَنِي إلى تركِ المعاصي

وَأَخْبَرَنِي بأنَّ العلمَ نُـــــورٌ ونورُ اللهِ لَا يُهْدَى لعاصـــي

*- فجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون شيئًا من حطام الدنيا، والله تعالى لم يأمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالاستزادة من الأموال، ولا عرض الدنيا والسعي والكسب منها، وإنما أمره في أن يطلب العلم والاستزادة منه، فقال تبارك وتعالى:- {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}،(طه:-١١٤).

*- وحيث أن جُلَّ وقتِ النبي ﷺ كان مع سيدنا جبريل عليه السلام يدارسه القرآن، ويعلمه أمور دينه، كافة الشرائع والأحكام، ويبن له كافة طرق الخير، وأكثر أوقات حضور سيدنا جبريل عليه السلام مع الرسول ﷺ في رمضان.

*- ومجالس الذكر هي الأماكن الذى يكرهها الشيطان ولا يريد الحضور مع من يتدارسون في هذه الحلقات، حتى قيل إن مجالس الذكر أفضل من صلاة النوافل والصيام، وكل عمل آخر من أعمال الخير والبر من العبادات والطاعات غير المفروضة! أتدرون لماذا؟

*- لأن الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه يقول:- { من يرد الله به خيرًا يفقهْهُ في الدين }.

*- ويقول المولى جلَّ في علاه:- {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}،(البقرة:-٢٦٩).

*- فلماذا كان كل هذا الفضل والخير الجزيل لمجالس الذكر؟

*- لأنها مجالس تحضرها الملائكة وفيها تتم المغفرة من المولى الكريم وتغشى جالسيها الطمأنينة والسكينة، وتحفهم الملائكة بأجنحتهم ويذكرونهم عند المولى عزَّ وجلَّ.

*- حيث يقول الحبيب المصطفى ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلًا يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله عزَّ وجلَّ، وهو أعلم بهم:- من أين جئتم؟ فيقولون:- جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال:- وماذا يسألوني؟ قالوا:- يسألونك جنتك، قال:- وهل رأوا جنتي؟ قالوا:- لا أي رب! قال:- فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا:- ويستجيرونك، قال:- وَمِمَّ يستجيرونني؟ قالوا:- من نارك يا رب! قال:- وهل رأوا ناري؟ قالوا:- لا، قال:- فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا:- ويستغفرونك، قال فيقول:- قد غفرت لهم، فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال فيقولون:- رب! فيهم فلان عبد خطاء، إنما مَرَّ فجلس معهم، قال فيقول:- وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم }.

*- ولا يعني هذا الكلام أن نترك السعي في الدنيا ونتفرغ للجلوس في المساجد والاعتكاف فيها والدعوة إلى الله لأن هذا يخالف السنة، لحديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه عندما قيل له أن شخصًا انقطع عن الدنيا وتفرغ للعبادة، فقال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { ومن يطعمه، قالوا:- أخاه، فقال:- أخوه خير منه }.

*- والدعوة إلى الله تعالى واجبة على كل مسلم يدعو الناس إلى الله تعالى بشرط أن يعلم ما يدعوا إليه، وأن يكون مُلِمًّا بأمور دينه، ومتفهمًا للأحداث الجارية حوله، وألا يفتي في ما لا يعلم، ولا يقول فيما لا يفهم، ولا يتعرض لمسألة إلا وهو متمكن منها حتى لا يقع في المحظور.

*- وأما الجاهل فليس مكلفًا بالدعوة لقصر الفهم عنده، ووقوعه فى الخطأ آكد من وقوعه في الصواب، فالأفضل أن يترك هذا الباب حتى يعلم، ولكن عليه أمر شرعى وهو طلب العلم الشرعي لقول النبي عليه الصلاة والسلام:- (مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرًا يفقهْهُ في الدينِ).

*- وفي قوله ﷺ:- (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ).

*- وفى قوله ﷺ أنه قال:- { إِذا مَرَرْتُمْ بِرِياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا قالُوا:- وَمَا رِياضُ الجَنَّةِ؟ قالَ:- حِلَقُ الذِّكْر، وفي رواية مجالس الذكر }.

وأختم قولي بما روي عن أحد السلف الصالح أنه قيل له:- { إذا بقي من عمرك ساعةٌ واحدةٌ ماذا أنت عامل بها؟ فقال لهم:- ساعةٌ واحدةٌ فقط، قالوا:- نعم، قال:- أحضرُ مجلسَ ذكرٍ.

*- قالوا:- لماذا والصلاة هي أعظم الشعائر من العبادات، والطاعات، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله، الصلاة وهي قرة عين نبينا سيدنا محمد ﷺ حيث يقول:- '' وجعلت قرة عيني في الصلاة ''، الصلاة وفيها راحة حبيبنا ﷺ حيث يقول:- '' أرحنا بها يا بلال''، والصلاة وهي آخر وصايا نبينا ﷺ وهو على فراش الموت حيث قال :- '' الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ''؟!، الصلاة والتي قال فيها حبيبنا ﷺ:- ''الصلوات الخمس،

والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارات لما بنينهما إذا اجتنبت الكبائر ‘‘، الصلاة التي قال عنها النبي ﷺ:- ‘‘ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر‘‘، والصلاة التي قال عنها سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- ‘‘ أما إنه والله لا حظَّ لأحدٍ في الإسلامِ أضاع الصلاة‘‘

*- ولماذا لا تقرأ القرآن، والقرآن يُحَاجُّ لك عند الله تعالى يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، القرآن الذي قال عنه حبيبنا ﷺ:- ‘‘ خيركم من تعلم القرآن وعلمه، القرآن الذي يشفع للعبد يوم القيامة، كما قال ﷺ:- ‘‘الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ:- أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ:- مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ:- فَيُشَفَّعَانِ ‘‘؟.

*- ولماذا لا تتصدق والصدقة تطفئ غضب الرب سبحانه وتعالى كما في قوله ﷺ:- ‘‘ إن صدقة السر تطفىء غضب الرب تبارك وتعالى ‘‘، كما أنها تمحو الخطيئة، وتذهب نارها كما في قوله ﷺ:- ‘‘ والصدقة تطفىء الخطيئة كما تطفىء الماء النار ‘‘، كما أنها وقاية من النار كما في قوله ﷺ:- ‘‘ فاتقوا النار، ولو بشق تمرة ‘‘، كما أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة كما في حديث عقبة بن عامر قال:- سمعت رسول الله ﷺ يقول:- ‘‘ كل امرىء في ظل صدقته، حتى يقضى بين الناس ‘‘.

*- فقال:- إن الصلاة إذا أقمتها فيجب عليك أن تكون مستحضرًا كل جوارحك لله تعالى، متفرغًا عن الدنيا، مقبلًا على الله تبارك وتعالى وهذا قد لا يحدث مني خلال الساعة المتبقية من عمري، كما أنني لا أعلم هل قُبِلَتْ صلاتى كلها أو نصفها أو أقلَّ من ذلك، أو قد تُطْوَى ثُمَّ تُقْذَفُ فى وجهي، وتقول:- ‘‘ضيعك الله كما ضيعتني‘‘.

*- وأما قراءة القرآن فإننى قد أخطئ في بعض كلماته، لأن الوقت لا يسعني وأنا في انتظار منيتي.

*- وأما الصدقة فإنها قد تتحول إلى رياء إذا أُعْطِيَتْ بشكل غير لائق فتذهب ويذهب أجرها.

*- لكن مجلس الذكر يتجاوز كل ذلك، حيث أن الملائكة تحضره وتحفك بأجنحتها، وتذكرك عند الرب تبارك وتعالى فيقول الله عزَّ وجلَّ لكم عند الانتهاء من مجلس الذكر لك:- ''قوموًا مغفور لكم قد بُدِّلَتْ سيئاتكم حسنات''، اللهم اجعلنا منهم يارب العالمين.

*- وأختم حديثي بفوائد عن فضيلة المداومة على الذكر، فمن فوائد الذكر:-

*- أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، وأنه يرضي الرحمن عزَّ وجلَّ، وأنه يزيل الهمَّ والغمَّ عن القلب، وأنه يجلب للقلب الفرح والسرور، وأنه يقوي القلب والبدن، وأنه ينير الوجه والقلب، وأنه يجلب الرزق، وأنه يحط الخطايا، وأنه سبب نزول السكينة، وأنه غراس الجنة.

*- وفي المداومة على استماع الذكر يقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { وأنت أيها المريد يا من تطلب الرشد والهدى، عليك أن تقتحم عقبات النفس ومحبات السوى، جالس الرجال الذين لا يخطر على بالهم سوى محبة الله والمصطفى، وبع نفسك لهم، وكن لركبهم خادمًا، وانصت وامتثل، وداوِ قلبك، وفارق الهوى، وافتح ينابيع صدرك، وانظر بعين البصيرة ترَ ما تحب أن ترى، واملأ قلبك من موائد الرضا، وارفع صوتك مع الركب حاديًا، خذ قولي لك راحلة وماءً وزادًا، تسلم من فتنة الدنيا فبسئت مرادًا، واحذر النفس وجالدها جلادًا، كم أضلتك نفورًا وعنادًا، كيف ترخيها بسوءٍ تتمادى }.

*- اللهم اجعلنا من الذاكرين، وممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم آمين يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ومن هنا ننتقل بمشيئة الله تعالى إلى الركن الثالث من أركان السير في الطريق وهو '' الاتباع ''.

*- الركن الثالث من أركان السير في طريق أهل الله الصالحين، الموصل لمرضاة الله رب العالمين:- هو ''الاتبـــــــــــــــــــــــاع''.

*- إن اتباع منهاج الصالحين، واقتفاء آثارهم، والسير على منهاجهم فرض عين على كلِّ مسلمٍ مكلفٍ بالغٍ عاقلٍ، وذلك امتثالًا لقوله تعالى:- {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}،(لقمان:-١٥).

*- فأصحاب الصالحين يخاطبهم الله رب العالمين بقوله تعالى:- {يَا أَيُّهَا الذِّيْنَ آمَنُوا}، فخاطبهم بخطاب الإيمان أولًا، ثم قال لهم:- {اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}،(التوبة:-١١٩).

*- أي أن الإنسان إذا أراد النفع والانتفاع بما جعله الله عزَّ وجلَّ في قلوب الصادقين من معارفهم الإلهية، وأنوارهم الربانية، وأحوالهم النبوية، تجلياتهم الربانية، وأخلاقهم القرآنية، فلا بد أن يصحح الإيمان أولًا، ثم يرتقي بعد ذلك إلى تقوى الله تبارك وتعالى ثانيًا، ثم بعد ذلك يصحب الصالحين، والعارفين، والصادقين، كل هذا لمن أراد الانتفاع بما جَمَّلَهُمْ اللهُ عزَّ وجلَّ به من بضاعةٍ إلهيةٍ عظيمةٍ، وتجلياتٍ ربانيةٍ جليلةٍ، ومعارفَ نورانيةٍساميةٍ بليغةٍ، ووداٍ في المعيةِ.

*- أما من أراد الانتفاع بما حولهم من منافع دنيوية، فهذا لا يراعي هذه الحيثية، ولا يطبق هذه الشروط القرآنية.

*- فكل من أراد أن يبلغ مبلغ الرجال، فعليه أنْ يَحْمِلَ نفسه بالأحوال التي صار بها الرجال رجالًا، وأن يُجَمِّلَ أعضاءه وجوارحه بالأعمال التي وصل بها الرجال إلى مقام الرجال.

*- وأما من أراد أن ينتفع بما حول الرجال فقط لا غير، فيأخذ ما حولهم وما في أيديهم، ولكنه مُحَرَّمٌ عليه أنْ يأخذَ ذرةً واحدةً مما في قلوبهم، لأنَّ بضاعةَ القلوبِ لأهلِ القلوبِ، وبضاعةَ الأنسِ والطاعةِ والقربِ، لأهلِ القربِ والأنسِ والحبِ، فإنَّ لكلِّ قومٍ مطلبَهُمْ، ولكلِّ قومٍ مشربَهُمْ.

*- وأما الطالبون للبضاعة الإلهية، والتنزلات الربانية، والإفاضات المحمدية، والتجليات النورانية، فلا بد أولًا أن يطهروا طور التجليات الإلهية فيهم من الأدران الدنيوية، والشهوات النفسانية، والأهواء الإبليسية، وجبل الطور فيَّ وفيك هو القلب، فهو موضع التجليات الإلهية، وموضع نظر الرب سبحانه وتعالى.

*- فإن الله عزَّ وجلَّ عندما يتنزل لعبد من عبيده بعطاياه أين ينزلها، اسمع قوله تعالى:- {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ}،(الفتح:-٤)، وقوله تعالى:- {أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}، (الرعد:-٢٨).

*- وفي هذا المعنى الجميل يقول بعض العارفين:-

أنتمْ فروضـــي ونفلـــــي أنتمْ حديثي وشغلـــــي

يا قِبْلَتي فـــي صَلاتـــي إذا وَقَفْتُ أُصَلّـــــي

جَمالُكُمْ نَصْبُ عَينـــــي إليهِ وجَّهتُ كُلِّـــــي

وسِرّكُمْ في ضَميـــــري والقَلْبُ طُورُ التّجَلّـــي

آنَسْتُ في الحَيّ نـــــاراً ليلاً فَبَشَّرْتُ أهلـــــي

قلتُ امكثوا فلعلِّـــــي أَجِدْ هُدايَ لَعَلّـــــي

دَنَوْتُ مِنْها فكانَـــــتْ نارُ المُكَلَّمِ قَبلـــــي

نُودِيتُ مِنها جِهـــــاراً رَدّوا لَياليَ وَصلـــــي

حتّى إذا ما تَدانَى الـــــ ميقاتُ في جمعِ شملـي

صارتْ جباليَ دكّـــــاً منْ هيبةِ المتجلِّـــي

ولاحَ سِرٌّ خَفيٌّ يَدْريـــهِ مَن كانَ مِثْلـــــي

فالمَوتُ فيهِ حياتـــــي وفي حَياتي قَتلـــي

أنا الفقيرُ المُعَنّـــــى رِقُّوا لِحَالي وذُلّـــي

*- وفي هذا المعنى يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-

وإذا أردت مـــــــــرادًا نظرت في مرآتـــــي

فإذا الذي أهـــــــــواه قد جاد بالبركـــــات

فأخصه بتحيـــــــــة وأزيده بصـــــــلاة

وصل الأحبة فـــــرض بعشية وغـــــــداة

وجليسهم في حـــــــرز من صاحب الهمزات

بل إنه في ذكـــــــــر وتعبد وصـــــــلاة

*- فالعطايا الإلهية، والمنح الربانية المخصوصة للمخصوصين '' للقلوب''، أما عطايا الجيوب فقد يأخذ منها المعيوب أكثر من الصالح المحبوب، لأنها فتن تجري على الناس في الدنيا، اختبارًا من حضرة علام الغيوب، اسمع قول سيدنا سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا سيدنا محمد أفضل السلام وأتم التسليم، عندما آتاه الله عزَّ وجلَّ من الملك والسلطان الظاهر ما لم يؤتِ قبله أحدًا من العالمين:- {قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}،(النمل :-٤٠).

*- أما عطاء القلوب فلا يكون إلا للمحبوب، لأنه دليل على الحُبِّ له من عَلَّامِ الغيوبِ، وليس فيه اختبار ولا فتنة ولا امتحان، إنه عطاء مخصوص للمخصوصين.

*- فأول ما يفعله مريد الالتحاق بالأولياء والصالحين والصادقين هو:- '' تطهيرُ ماعونِ قلبِهِ من الدنيا الدنية، والشهوات النفسية، والأهواء المردية''، حتى لا يجعل فيه موضعًا لغير مولاه جلَّ علا، لأن الله تبارك وتعالى لا يتنازل عن ذلك، ولا يقبل إلا بذلك، اسمع قوله سبحانه وتعالى:- {أنا أغْنَى الشُّركاء عن الشِّرك، مَن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه}.

*- فعلى سبيل المثال، إذا كان الله عزَّ وجلَّ يقول:- { إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ}،(النمل:-٣٤)، فهؤلاء ملوك الدنيا العاديين، فما بالكم بملك الملوك تبارك وتعالى إذا دخل مدينة القلب جعل أعزة أهلها من النفس وهواجسها، والشياطين ووساوسها، وحب الدنيا

الدنية، والهوى وجنوده وما يتبعه أذلة، وأعزَّ القلبَ والروحَ والسرَّ والخفا والأخفى، وكل ما يريد الله، ولا يريد غير وجه مولاه جلَّ في علاه.

*- وفي هذا المعنى البليغ الجميل يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { فالمحبة إذا تملكت قلب المؤمن أفسدت وأزالت كل ما سوى الله منه، وما يعقل شيئًا من يكون بمحبة الشيء الزائل، فغاية أمره أن ينال هذا الزائل، وهيهات ويكون الثمن الباهظ ضياع حياته في متاهات الدنيا، وأوحال الغفلة ورجس الضلال، أما الذي تملكت قلبه محبة الواحد جلَّ شأنه، فرضي به ربًّا، بالإسلام دينًا، وبالقرآن هاديًا، وبسيدنا محمدٍ ﷺ نبيًا وقائدًا، فهو حقًّا سعيد الدارين، والفائز صدقًا بالحسنيين، فكيف نترك محبة الرب الكامل، وننشغل بمحبة الشيء الزائل، والله إن ذلك لا يليق بأمة قال الله في حقها:- { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ }، وأكبر منكر عند الله أن تجذبنا محبة الشيء الزائل، ونترك محبة الكامل جلَّ شأنه، كم والانا بالفضل الشامل، ونحن نقابل ذلك منه بالإعراض والفعل الشائن، يا بني أنصحك الحذر كل الحذر، بل الخوف كل الخوف من محبة الشيء الزائل، يا بني لا غيرة من زائل، ألا كل ما سوى الله لا شكَّ زائل، يا بني فَرِّغْ قلبك لمحبة الواحد الكامل، ورسوله الأعظم العامل، واحرسه حتى لا يعقل سواها، وعندها لك البشرى، فقد تولى الله أمرك، وعلى طريق الحق حفظ سيرك، وكفاك هموم الدنيا وسخر لك غيرك، وناداك للقائه فقال:- { من كان همه يوم لقائي، كفيته شرَّ ما أهمَّ، وجعلت له الدنيا خادمة }.

*- فيطهر المريد المحبُّ الصادقُ القلبَ لمولاه حتى يصل في هذا التطهير ألا يكون في قلبه مَحِلًّا، ولا موضعًا ولا ذرةً لغير مولاه، لهذا يقول سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- {ذرة من محبة الله تعالى ترفع أهل الجهالة إلى أعلا مقامات القربى}.

*- ويوضح ذلك فضيلة الشيخ العارف بالله تعالى أبو العزائم فيقول:- { وإلا فمن كان هو بلال الحبشي، ومن كان هو صهيب الرومي، ومن كان هو سلمان الفارسي }، ما الذي رفعهم؟؟.

*- الحقيقة أن الذي رفعهم إيمانهم الفعلي، وتصديقهم الحقيقي وتطبيقهم العملي لقوله تعالى:- {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}،(المائد:-٥٤)، فامتلأت قلوبهم من محبة محبوبهم وهو '' الله عزَّ وجلَّ'' كما قال سبحانه وتعالى:- {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ}،(البقرة:-١٦٥).

*- والحب لله تبارك وتعالى لا يرضاه الله سبحانه وتعالى ولا يقبله إلا إذا كان خالصًا، ولا يرضى بالشريك، أو الشركة معه، فإذا أشرك في حبه الأولاد أو المال، أو الزوجة، أو الوظيفة، أو الشهرة أو غير ذلك، فلا يقبل الله عزَّ وجلَّ هذا الحب مصداقًا لقوله تعالى:- {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}،(الكهف:-١١٠).

*- فلا بد أن يكون العمل خالصًا مخلصًا لله رب العالمين.

*- وعليه فلا بد من الامتثال الكامل، وتطبيق كل ما نسمعه ونعيه ونعقله من أقوال الصالحين، ونشهده من أفعالهم وأحوالهم، وحركاتهم وسكناتهم، فبهذا كله بمشيئة الله تعالى وإرادته وتوفيقه ومدده وتأييده يتم الانتفاع، وهذا والله هو عين القصد من ذلك كله، '' فالطريق عندهم.. اجتماع.. واستماع.. واتباع '' وبهذا يتم الانتفاع، فاللهم اجعلنا من القوم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم آمين، اللهم آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

*- أحبائي الكرام، إخوتي في الله، وأحبتي في رسول الله ﷺ، إننا بعد البحث عن الوارث المحمدي، والشيخ الرباني، والمرشد المصطفوي، وأخذ البيعة المحمدية منه، والالتزام بمداومة الاجتماع معه، والتأدب بين يديه، ومراقبته في حضوره وغيبته، وحفظ حرمته، لأنه كما قيل:- '' اجعل من رآك يدعو لمن رباك'' والاجتماع مع الأحباب صباحًا ومساءٍ، والاستماع إلى أقوالهم، واتباع منهاجهم، واقتفاء آثارهم، والسير على سبيلهم، وتطبيق إرشاداتهم بقدر المستطاع، فلا بد لنا بعد ذلك من شحذ الهمة، وبذل أقصى الجهد في مجاهدة النفس وهواها، ومجالدتها ومكابدتها، لأنه كما قيل:- '' جاهد تشاهد.. كل الفوائد''، وها نحن ننتقل بعد هذا كله إلى أصول السير في الطريق، لأن كل طريق لها أصول لكيفية السير فيها، واتباع منهاجها، لأنه كما قيل:- '' مَنْ تَرَكَ الأُصُولَ حُرِمَ الوُصُولَ''، فلا بد من اتباع أصول الطريق،

ومنهاجها وأسسها، لنصل إلى الله عزَّ وجلَّ من أقرب الطرق، وأيسرها، ليصل المحب المريد الصادق بلا عناء، ولا تعب، ليصل إلى مقصوده، ويحظى برؤيته محبوبه، وينعم بمعية الحق تبارك وتعالى وهو القائل جلَّ في علاه:- {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}،(النحل:-١٢٨)، والله تعالى من وراء القصد، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

الباب الرابع

‘‘أصـــول السيـــر في الطريـــــق للوصـــول إلـــــــــى الله تبـــارك وتعـــالـــــى’’

*- الأصـــل الأول:- ''عليـــــك البـــــداية وعليـــــــه التمـــــام''

*- اعلم أخي في الله، حبيبي في رسول الله ﷺ... أخي الكريم الحبيب السائر إلى الله تبارك وتعالى:-

*- أن الله تبارك وتعالى أراد برحمته عزَّ وجلَّ وهو الحكيم العليم والخبير البصير أن يحكم هذا الكون بسننٍ ربانيةٍ غايةٍ في الدقةِ والثباتِ فقال تعالى:- { فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}،(فاطر:- ٤٣)، تِلْكُمُ النقطة الأولى.

*- وأما الثانية:- فإن الإنسان خلق مبتلىً في هذه الدنيا، كما قال تبارك وتعالى:- { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }،(الملك:- ٢).

*- وثالثهما:- أن الله العزيز الكريم خلق الخلق وهو أعلم بهم، فقال سبحانه وتعالى:- { هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ }، (النجم:- ٣٢)، وقال سبحانه وتعالى:- { وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا }،(الإسراء:- ١٧).

*- وقد أراد الله سبحانه وتعالى ابتلاءً واصلاحًا، أن يبتلى عباده بتكليف هو غاية في الخطورة وهو أنه سبحانه وتعالى أناط بهم البداية، فأحال عليهم بداية الشروع إليه والقصد نحوه ، فقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي:- '' عبدى قم إلىَّ.. أَمْشِ إليك ''، وهذا رعايةٌ لجلالِ العزةِ، وحمايةٌ لجنابِ العظمةِ:- وهو أَنْ يُكَلِّفَ العبدَ أَنْ يأتيَ سيدَهُ، ثُمَّ يكونَ منَ السيدِ القبولُ والإكرامُ.

*- فقال سبحانه وتعالى:- {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }،(غافر:- ٦٠)، وقال سبحانه وتعالى:- { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ }،(البقرة:- ١٨٦).

*- وقال تبارك وتعالى في الحديث القدسي:- '' يا ابن آدم قم إلىَّ.. أمشِ إليك، وامشِ إلىَّ.. أهرول إليك ''.[صححه الألبانى]

*- وقال سبحانه وتعالى أيضًا:- '' من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ''،[متفق عليه].

*- إذًا فابدأ .. ابدأ ولا تخف... فبداية الطريق خطوة، ابدأ خطوة إلى الله تعالى، والله يبارك ويتم، فهو سبحانه كريم، ويعطي الكثير دون حساب ولا سؤال، ولا يسأل عما يفعل، وهو يسألون، فتبارك الله جلَّ في علاه .. فابدأ ولا تَشْتَكِ.

*- إن كثيرًا منا يشكو الفتور وينام .. إذا أُصِبْتَ بالفتور فعليك بالتفكير فورًا في عمل تقوم به، اعمل والله يرفع عنك البلاء .. ابدأ والله يأخذ بيدك .. اعمل .. تحرك لله عزَّ وجلَّ.

*- إن كثيرًا من الإخوة ينتظر نصر الله بمعجزة، ينتظر إصلاح فساد قلبه بمعجزة في لحظة دون أن يصنع شيئًا .. وهذا لا يكون.

*- أخي الحبيب الكريم:- إن القضية تحتاج إلى عمل كما قال رسول الله ﷺ:- '' بل اعملوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له ''،[متفق عليه] .. اعملوا .. ولا بد من عمل.

*- إن بعض الناس يعيش هذه الدنيا على أنها " ضربة حظ "، يعيش الحياة على أنها " ظروف " فيعيش كيفما اتفق، تمامًا كالذى يدخل إلى الصلاة ولا يدري ماذا صلى؟؟، لأنه في الأصل لا يعبأ بالخشوع، ويترك نفسه هكذا، فالمهم عنده أنه أدى الصلاة فقط .. المهم عنده أن يعيش، والأمر ليس كذلك.

*- وتأمل معي أخيا الحبيب الغالي:- قصة سيدنا عكاشة بن محصن فى حديث السبعين ألفًا، قال رسول الله ﷺ:- '' عُرِضَتْ عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفِعَ لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي:- هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي:- هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ''، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم:- فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم:- فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياءَ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال ﷺ:- هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ''، .. فقام عكاشة فقال:- يا رسول الله، أُدْعُ اللهَ أن يجعلني منهم قال:- '' أنت منهم ''، قال:- ثم قام رجل آخر فقال:- ''أُدْعُ اللهَ أن يجعلني منهم، فقال:- '' سبقك بها عكاشة ''،[متفق عليه].

*- وقد يبدو للناظر أن عكاشة خطف " الجنة " بغير حساب، أو أدركها بكلمةٍ بضربةِ حظٍّ، ولكنك أخي تنظر إلى التشطيبات النهائية ولا ترى ما وراء ذلك، إنك تنظر إلى اللقطة الإخيرة، ولم ترَ أصل الموضوع وتقدير الأرزاق.

*- إن عكاشة سار إلى الله طويلًا، وعمل كثيرًا، وتعب في سيره إلى الله تعالى كثيرًا وكثيرًا وكثيرًا، حتى بلغ هذه المنزلة، بعد جدٍّ واجتهادٍ، وتعبٍ، ومشقةٍ، وعناءٍ، ومكابدةٍ للنفسِ، وكبحٍ لجماحها، فلما بلغها أوحى الله تبارك وتعالى إلى رسوله الكريم، ونبيه العظيم ﷺ بقبول عكاشة في ركب السبعين المفردين، وأجرى على لسانه ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى، ''هذا الكلام''، ثم أنطق عكاشة بالطلب في لحظتها، ''وهذا دليلُ تَرَقِّيْهِ لها، واستحقاقه إياها، فَأُعْطِيَهَا'' .. وهذه حقيقة الأمر .. فليس عكاشة قد خطفها في لحظة .. لا، لا والله .. فالله تعالى عليم حكيم.

*- فالله العليم الحكيم تبارك وتعالى يعلم أن عكاشة تعب في السير إليه، فكان هو الأولى بها، ''وهو أحق بها وأهلها''، ولما فُتِحَ البابُ، وَقَلَّدَهُ آخرون مُنِعُوا، ولا يظلم ربك أحدًا، كما قال الله تبارك وتعالى:- {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }،(يونس:-٤٤).

*- إن سيدنا عكاشة بدأ السير إلى الله تعالى في هذه الطريق، فلما وصل تلك المنزلة وأراد الله أن يمنحه إياها، أجرى الله تعالى هذا الكلام على لسان رسول الله ﷺ، وأحضره في المكان فأسمعه ثم أنطقه، فبشره الرسول ﷺ هذه البشرى، فهذه هي القضية، وهذه هي الحقيقة، فليست هي خطفة في لحظة، افهم ذلك جيدًا رعاكم الله أخيا وحبيبي الكريم الغالي.

*- موقف آخر يفسر لك الموضوع:-

*- أمسك سيدنا جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه وأرضاه بغلام له ليعاقبه، فقال الغلام:- يا سيدي أتعاقب من ليس له شفيع عندك غيرك؟

*- فقال له سيدنا جعفر رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- انطلق إذًا، فلما انطلق الغلام إلتفت إليه وقال:- يا سيدي أعلم أنك لست الذي أطلقتني، إنما أطلقني الذي أجراها على لساني، فقال:- اذهب فأنت حُرٌّ لوجه الله تعالى.

*- وقفت أيها الإخوة الأحباب الكرام مع هذا الموقف مليًا أقول:- سبحان الله! هذا كلامُ عبدٍ لعبدٍ، فأعتقَ العبدُ عبدَهُ، فكيف إذا جرى هذا الكلام مع السيد الكريم مع ''الله تبارك وتعالى''؟! .. اللهم أعتق رقابنا من النار .. آمين آمين.

*- نعم:- والله لو جرى هذا الكلام على لسانك لربك لتحررت من العبودية لغيره، ولكن من الذي يجريه على لسانك، وماذا قدمت لكي يجريه؟! لابد أن تبدأ أنت أولًا، .. إن الله إذا أراد عبده لأمرٍ هَيَّأَهُ له وأجراه على لسانه فهو سبحانه وتعالى الذي ينطق لسانه، أما سمعت قوله تعالى في كتابه المبين:- { أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ }،(فصلت:- ٢١)، .. هو الذي أنطق كل شيء .. سبحانه وتعالى.

*- ولذلك قال الله تبارك وتعالى:- { فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }، (البقرة:- ٣٧)، فالله تبارك وتعالى هو الذي أجرى على لسان آدم كلمات التوبة وَمَنَّ بقبولها، فكان الفضل منه أولًا وآخرًا.

*- نعم:- وفقه الله تبارك وتعالى للتوبة فتاب، وقبل توبته، لأنه تبارك وتعالى تواب رحيم.

*- أيها الإخوة الكرام، والأحبة في الله تعالى، إن هذه القضية تحتاج إلى وقفة كبيرة، فالإيمان لا يأتي طفرة وإنما له مقدمات وتمهيدات تحتاج منك إلى استعانة بالله تعالى وعمل، اللهم ثبت على الإيمان قلوبنا، وارزقنا فهمًا في الدين يرضيك عنا يا رب العالمين، اللهم آمين، اللهم آمين.

*- إن الذي ينظر في قصة السحرة، سحرة فرعون مع سيدنا موسى عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام، هؤلاء الذين آمنوا في لحظة، وتعرضوا لأقصى أنواع التهديد:- ''لأقطعن، ولأصلبن، ولأفعلن، ولأفعلن''، فثبتوا وقالوا كما أخبرنا المولى الكريم تبارك وتعالى:- { فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ }، (طه:- ٧٢).

*- إن الناظر إلى هؤلاء يظن أنهم حصلوا على الإيمان في لحظة، لم ينظر لقدر الله كيف عمل في هؤلاء السحرة سنين ليعدهم لتلك اللحظة، لِمَ اخْتِيْرَ هؤلاءِ السحرةُ بالذاتِ؟ وَلِمَ وُجِدُوا في هذا المكانِ بالذاتِ؟! والجواب:- لأنهم سعوا، واجتهدوا وعملوا، .. نعم أخيَّا الحبيب الغالي:- إن القضية تحتاج منك إلى سعي حثيث، وجهد طويل، وتوكل على الله عظيم.

*- وفي قصة الثلاثة أصحاب الغار، لما نزلت صخرة فسدّت عليهم باب الغار، توسل الأول بعمل صالح فانفرجت الصخرة شيئًا يسيرًا حتى رأوا النور، فلما توسل الثاني انفرجت أكثر حتى رأوا السماء، فلما توسل الثالث انفرجت الصخرة حتى خرجوا يمشون، فعلى قدر عطائك تُعْطَ، وعلى قدر سعيك تُمْنَحْ.

*- '' كان رسول الله ﷺ يجلس في حلقة من أصحابه فدخل ثلاثة نفرٍ، فأما الأول:- فوجد فرجة فجلس فيها، وأما الثاني:- فاستحيى فجلس خلف الحلقة، وأعرض الثالث فمشى، فقال رسول الله ﷺ:- أو أخبركم بخبر الثلاثة نفر، فقالوا بلى يا رسول الله، فقال ﷺ:- أما الأول:- فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني:- فاستحيى فاستحيى الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه '' [متفق عليه].

*- فإن أويت إلى الله تعالى آواك، وإن أعرضت عنه أعرض عنك وطردك وألقاك.

*- قال الله جَلَّ جلاله عن سيدنا يونس عليه السلام:- { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) }،(الصافات:- ١٤٣-١٤٤).

*- أخي الحبيب الغالي:- هذا سيدنا يونس عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام، وهو نبي عزيز كريم على الله تبارك وتعالى، لولا أنه كان من المسبحين، للبث في بطن الحوت إلى يوم يبعثون، نعم:- فلا أحد عزيز على الله مهما بلغت منزلته إن لم يأوِ إلى الله تعالى، ويرجع إلى الله تعالى، .. فأوِ إلى الله تعالى ولا تعرض عنه عزَّ وجلَّ.

*- قال ابن القيم رحمه الله تعالى:- ''وأيما جهة أعرض الله عنها أظلمت أرجاؤها ودارت بها النحوس''.

*- فأوِ إلى الله تعالى أخيا الحبيب الغالي وابدأ .. ابدأ خطوة .. اعمل .. اتعب .. تحرك .. اسعَ، وسوف يُتِمُّ الله عليك بخير.

*- ودائمًا معلوم أن نقطة البداية هي الأشقُّ، وانطلاقة البداية هي الأصعب، وهذا هو عين الابتلاء من الله سبحانه وتعالى، كما قال الله عزَّ وجلَّ:- { فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ }، (محمد:- ٢١) فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل، فصدق العزيمة جمعها وجزمها وعدم التردد فيها بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوّم.

*- فإذا صدقت عزيمته بقي عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه، وأن لا يتخلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه، فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور.

*- " ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره، وهذا الصدق معنىً ينبثق من صحة الإخلاص وصدق التوكل، فأصدق الناس من صح إخلاصه وتوكله ".

*- فيا أخى الحبيب الغالي، أنت مبتلىً بأن تبدأ، وممتحنٌ بأن تصدق، فإذا بدأت كما يحب أتم لك كما تحب.

*- والانقطاع سببه البداية الضعيفة، فإن السائر إن فتر عزمه استمر سيره بقوة الدفع الأولى، فأين بدايتك أيها الحبيب؟ أعطني الدفعة الأولى واترك الأقساط على الله تعالى.

*- وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ }، (التوبة:-١٠٥).

*- وصدق فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه إذ يقول في هذا المعنى:- { واخترق جدر الأواني... تُسْقَ من ماء الأواني}.

*- ويقول أيضًا:- { إذا كنت مريض القلب وعجزت عن العلاج، فولِّ وجهك وقلبك شطر العارفين، واطلبهم وتوسل إليهم بتوبة النادمين، وسير إليهم مريدًا على قواعد الدين، لا تفريط ولا إفراط على أثر سيد المرسلين، ﷺ وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين }.

*- فاستعن أخي الحبيب الغالي بالله تبارك وتعالى، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الثاني:- '' كُـــنْ وَاحِـــدًا لِوَاحِـــدٍ عَلَـــى طَرِيْـــقٍ وَاحِـــدٍ ''

*- هذا الأصل هو خلاصة الكلام في أمر السير إلى الله تعالى، والوصول إليه سبحانه وتعالى:- '' كُنْ وَاحِدًا لِوَاحِدٍ عَلَى طَرِيْقٍ وَاحِدٍ تَصِلْ ''.

*- كن واحدًا .. مامعناها؟

*- أخيًّا الحبيب الغالي:- هل تعرف في زماننا رجلًا بوجهين؟ .. أنا لا أعرف !! . فأكثر الناس اليوم بعشرة وجوه ليس بوجهين فقط، بل عشرين، بل خمسين، بل مئة، .. حتى ذي الوجهين قلما تجده !!.

*- فأين المخلص الذي لا يعرف له إلا وجه واحد؟!، اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين.

*- نعم إخوتي الكرام الأحباء:- إن كثيرًا ما تجد انسانًا معك في المسجد، قَدَمُهُ إلى قَدَمِكَ، وكتفه إلى كتفك، ورأسه بجوار رأسك في السجود، يبتهل إلى الله ويدعوه، ويتمتم بأطيب الكلمات، ثم إذا خرج من المسجد فبوجهٍ آخرَ، فإذا دخل بيته مع زوجته وأولاده فبوجهٍ ثالثٍ، وفي العمل بوجهٍ رابعٍ، فإذا تعامل مع النساء الأجنبيات فرقيقٌ طيبٌ ولينٌ بوجهٍ خامسٍ، وإذا تعامل مع الرجال فبوجهٍ سادسٍ، فإذا تعامل مع الأكابر أو من هم أعلى منه اجتماعيًّا كمديره أو رؤسائه في العمل فبوجهٍ سابعٍ، وإذا تعامل مع من هم أدنى منه كالفقراء والضعفاء فبوجهٍ ثامنٍ، وتاسعٍ وعاشرٍ.. فمع من أنت ؟!...

*- من أنت يا عبد الوجه؟! أي الوجه وجهك الحقيقى؟! إلى متى ستظل تخلع وجهًا وتلبس آخر؟! إلى متى ستظل غشاشًا ؟! ألا تعلم أن الله يرى كل هذه الوجوه ؟! .. يراك هنا ويراك هناك، يراك الآن ويراك غدًا.

*- ترى ذا الوجوه إذا مرض بوجهٍ، وإذا صحَّ بوجه، وإذا افتقر بوجهٍ، وإذا اغتنى وامتلك فبوجهٍ آخرَ.

*- تجده إذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، وإذا رُئِسَ فذليلٌ مهانٌ منافقٌ.

*- تجد ذا الوجوه لا يستحي من الله وهو يراه، فمن أنت يا أخي الحبيب الكريم؟.

*- أجب عن هذا السؤال؟.. من أنت وأي الوجوه وجهك، وأي الأشخاص شخصك، وأي الطرق طريقتك؟ لماذا تعيش بعشرين وجهًا، وعشرين لونًا، وعشرين طريقة؟!.

*- ألا تستحي من الله تعالى وهو يراك؟!

*- أخيًّا الحبيب الغالي الكريم:- { كُنْ واحدًا، كُنْ صاحبَ وجهٍ واحدٍ، يمشي بطريقةٍ واحدةٍ}.

*- أخيًّا الحبيب الغالي العزيز:- أي الوجوه أريدك؟ أريد لك وجه العبد.. أن تظل عبدًا.. العبد الذي يركع ويسجد ويتلو القرآن ويبتهل ويتفرغ، هذا العبد '' كُنْهُ '' في البيت مع الزوجة والأولاد، { أي هذه حقيقته وحاله، أي أنه عبد محض لله رب العالمين }، كما قال ﷺ:- '' إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد''، وكنهٌ في الشارع مع الناس، وكنهٌ كيف كنت، ومتى كنت، وأين كنت، كن عبدًا في كل أحوالك.

*- أخـي الحبيب الغالي الكريم:- اذا جاءتك امرأة متبرجة لتقضي منك حاجة نراك تتعامل معها برقة ولطافة، أرأيت رقتك؟ أرأيت جمالك؟ ألا يكون هذا مع زوجتك؟.. وهي أولى.. لماذا لا تتعامل بمثل هذا مع شريكة حياتك وأم عيالك؟!!.. نعم:- العبد الحقيقي لله تبارك وتعالى هو الذي يتعامل بالرقة والجمال والحنان والتودد مع الزوجة، وأما الشدة والوجه الغليظ فمع الأجنبية،.. هذا هو المطلوب وبهذا تكون عبدًا لله.

*- أخي في الله وحبيبي في رسول الله ﷺ:- إننى أريدك عبدًا لله في البيت، وعبدًا لله في المسجد، وعبدًا لله في الشارع، وعبدًا لله في العمل، وعبدًا لله وحده، هنا حيث يعرفك الناس، وعبدًا لله هناك حيث تخلو فلا يعرفك أحدٌ إلا الله، فالله الذي يراك هناك هو الذى يعرفك هنا، فاستحِ أن يراك على غير ما يعرفك.

*- كُنْ واحدًا ولا تكنْ عشرةً، لا تكنْ اثنين، كن عبدًا لله وحده، ولست أقصد أن تكون دومًا ذليلًا، بل العبد على مقتضى العبودية:- في البيت رجل له القوامة والتربية، وفي العمل تراه مخلصًا، وإن لم يره أحد، وفي الشارع مراقبًا لمولاه.

*- كنْ عبدًا لله وحده مع الرجال والنساء، والأغنياء والفقراء، والصغار والكبار، كنْ عبدًا وضع يديك ورجلك في قيود الشريعة الفضية لتتحرر من العبودية لغير الله، الزم الأمر والنهي، وكنْ كما يريد الله، يعطك الله فوق ما تريد، وعش على مراد الله منك لتكون عبدًا.

*- فكن واحدًا:- أي عبدًا لله تبارك فقط لا لغيره عزَّ وجلَّ، أينما كنت، وأينما وُجِدْتَ.

*- لواحد:- أي لله وحده، قال رسول الله ﷺ:- " تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة والخميصة، تعس عبد المرأة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش "، [هذا الحديث أصله في البخاري].

*- أسألك بالله تعالى، واصدق يا عبد الله:- أنت عبد لمن؟ لله وحده أم عبد للظروف أيضًا؟ أم عبد للبيئة والمجتمع؟! أم عبد للعادات والتقاليد؟! أم عبد للمهنة والوظيفة والراتب الشهري، أم عبد لصاحب العمل، أم عبد لزوجتك وأولادك واحتياجاتهم ومطالبهم؟! .. عبدُ مَنْ أَنْتَ؟.

*- كثير من الناس عبيد لأشياء كثيرة فمنهم من عبد بطنه، ومنهم من عبد شهوته وفرجه، ومنهم من عبد بيته وفراشه، ومنهم من عبد رصيده وماله، ومنهم .. ومنهم .. فكن أنت عبدًا لله تعالى.

*- إن المتأمل إخوتي الكرام الأحباب في تاريخ العقيدة الإسلامية الطويل، ليدرك مدى العناد والتكذيب الذي واجهه أنبياء الله ورسله في تعبيد القلوب'' لإلهٍ واحدٍ وهو الله '' ، فقوم نوح كذبوا المرسلين، وكذبت ثمود وعاد بالقارعة، وكذب بنو إسرائيل موسى وجحدوا ما جاء به، وعاند المشركون رسول الله ﷺ، ومع

كل هذا صبر هؤلاء الأنبياء والمرسلون، لعلمهم بعظمة وأهمية ما يدعون إليه، وهو التوحيد الخالص لله رب العالمين.

*- فالتوحيد نظام الكون، ولا يصلح في الطريق إلى الله إلا التوحيد، توحيد القصد وتوحيد المعبود ولذلك إذا أردت أيها الحبيب أن تسير إلى ربك سيرًا حسنًا فالزم التوحيد، قال الله سبحانه وتعالى:- { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }،(الأنعام:- ١٦٢ - ١٦٣) .

*- ولابد أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى هدد أنبيائه ورسله بحبوط الأعمال وإن كثرت إن فاتها التوحيد، فقال تبارك وتعالى بعد أن ذكر جملة كثيرة منهم في سورة الأنعام:- { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}،(الأنعام:- ٨٨)، بل قال مخاطبا نبيه محمد ﷺ:- { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }،(الزمر:- ٦٥ - ٦٦) .

*- ومن خطورة أمر التوحيد أن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، لذا علمك النبي صلى الله عليه وسلم أن تقول كل يوم مرارًا:- " اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه "،[صحيح الأدب المفرد].

*- ومن خطورة أمر التوحيد الخوف على التوحيد، قال الله سبحانه وتعالى حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام حينما دعا ربه فقال:- { وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ }،(إبراهيم:- ٣٥).

*- فهذا إبراهيم خليل الله يخاف على توحيده، فيطلب التثبيت عليه ويطلب لبنيه ألا يحيدوا عنه.

*- ومن خطورة التوحيد أنه قد يلتبس على العبد قال ابن القيم رحمه الله تعالى في " الفوائد ":- " التوحيد ألطف شيء وأنزهه وأنظفه وأصفاه، فأدنى شيء يخدشه ويدنسه ويؤثر فيه، فهو كأبيض ثوب يكون، يؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرآة الصافية جدًّا، أدنى شيء يؤثر فيها".

*- ولهذا تشوّشه اللحظة واللفظة والشهوة الخفية، فإن بادر صاحبه وقلع ذلك الأثر بضده، وإلا استحكم وصار طبعًا يتعسر عليه قلعه.

*- وهذه الآثار والطبوع التي تحصل فيه:- منها ما يكون سريع الحصول سريع الزوال، ومنها ما يكون بطيء الحصول سريع الزوال، ومنها ما يكون بطيء الحصول بطيء الزوال.

*- ولكن من الناس من يكون توحيده كبيرًا عظيمًا، ينغمر فيه كثير من تلك الآثار، ويستحيل فيه بمنزلة الماء الكثير الذى يخالطه أدنى نجاسة أو وسخ ، فيغتر به صاحب التوحيد الذي هو دونه فيخلط توحيده الضعيف بما خلط به صاحب التوحيد العظيم الكثير توحيده، فيظهر من تأثيره فيه ما لم يظهر في التوحيد الكثير.

*- وأيضًا فإن المحل الذي لم يبلغ في الصفاء مبلغه، فيتداركه بالإزالة دون هذا، فإنه لا يشعر به.

*- وأيضًا فإن قوة الإيمان والتوحيد إذا كانت قوية جدًّا أحالت المواد الرديئة وقهرتها، بخلاف القوة الضعيفة ".

*- فانظر رحمك الله إلى توحيدك:- هل ما زال على صفائه وطهارته ونقائه أم أنه تلوث من مخالطة البشر ومعاملاتهم، وغياب العلم عن القلب، ونسيان الذكر وكثرة الكلام والجدال المقيت وحب العلو والغلبة، وتعلق القلب بمدح الناس ودفع ذمهم، والشهوات المركبة في النفس.

*- هذه كلها والله إن وقعت في القلب سقطت سماء توحيدك على أرضه، فلا تقوم لقلبك قائمة فيا أخي الحبيب، كن لواحدٍ تسترح.

*- قال الله تبارك وتعالى:- { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ }،(الزمر:- ٢٩) .

*- يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك:- "بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضًا فيه " وهو بينهم موزع، ولكل منهم فيه توجيه، ولكل منهم عليه تكليف، وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق، ولا يملك أن يرضي أهوائهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التى تمزق اتجاهاته وقواه.

*- وعبد يملكه سيد واحد، وهو يعلم ما يطلبه منه، ويكلفه به، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح .. " هل يستويان مثلًا " .. الحقيقة إنهما لا يستويان أبدًا.

*- فالذي يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة واليقين، وَتَجَمُّعِ الطاقة ووحدةِ الاتجاه ووضوحِ الطريق، والذي يخضع لسادة متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال ولا يرضي واحدًا منهم فضلًا عن أن يرضي الجميع!.

*- وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال، فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى، لأن بصره أبدًا معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوي به الطريق، ولأنه يعرف مصدرًا واحدًا للحياة والقوة والرزق، ومصدرًا واحدًا للنفع والضر، ومصدرًا واحدًا للمنح والمنع، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواح ، يستمد منه وحده، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته، ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره، ويخدم سيدًا واحدًا يعرف ماذا يرضيه فيفعله وماذا يغضبه فيتقيه.

*- وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء، ويعقب سبحانه وتعالى على هذا المثل الناطق الحي، "بالحمد لله الذي اختار لعباده الراحة والأمن والطمأنينة والاستقامة والاستقرار، وهم مع هذا ينحرفون، وأكثرهم لا يعلمون ".

*- فهل أنت لواحد؟ أم أنك لشركاء متشاكسين؟!.

*- نعم:- إن أكثر الناس اليوم منحرفون عن التوحيد، ويعيشون في شتات، فتجد قلوبهم معلقة بالمال والزوجة والولد والبشر، فيعيشون مهمومين محزونين مشتتين مضيعين، ولا يمكن أن يتعلق القلب بالله وحده إلا بأن يكون في قلبك هم واحد:- هو طلب رضا الله والاستعانة به، فهمّك وهمتك وتفكيرك دائر في تحصيل رضا الله، ساعتها تكون عبدًا لله وحده، وتكون واحدًا لواحد بحقٍّ، ومنها تنطلق على طريق الوصول إلى الله تعالى.

*- على طريق واحد:- إذا كنت واحدًا لواحد فلكي تصل لابد من أن يكون لك طريق واحد إلى الله تعالى فهما توحيدان:-

*- توحيد القصد، وتوحيد المعبود.

*- وهو طريق واحد لا يتعدد ولا يتغير، كما قال ربنا جل وعلا:- { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }،(الأنعام:- ١٥٣)، فوحد سبيله لأنه في نفسه واحد لا تعدد فيه، وجمع السبل المخالفة لأنها كثيرة ومتعددة.

*- فكن على طريق واحد تصل.. وهو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى وأصله:- الكتاب والسنة.

*- قال رسول الله ﷺ:- { إنه من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار "،[صححه الألباني].

*- وقال ﷺ:- '' تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي ''،[أحمد والترمذي، وقال حسن غريب]، فاسلك الطريق الواحد وإذا سلكته فلا تُغَيِّرْ وَلَا تُبَدِّلْ لِئَلَّا تُطْرِدَ .. ولا تَتَلَوَّنْ ولا تَتَّبِعِ الهوى فيضلك عن سبيل الله .. اللهم نجنا من مضلات الفتن.

*- لما جاء حذيفةَ بنَ اليمانِ الموتُ جلس عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ عند رأسه وقال له:- أوصني، فقال له:- ألم يأتك اليقين؟ قال:- بلى وعزة ربي، فقال حذيفة:- وإياك والتلون، فإن دين الله واحد.

*- ومن التلون:- استحلال الحرام، قال العلماء:- الفتنة أن تستحل ما كنت تراه حرامًا.

*- يمشي الشاب في الطريق إلى الله سنين واعتقاده:- حرمة التلفاز، ثم تفاجأ بالتلون.. نعم:- لقد دخل التلفاز بيوت كثير من الملتزمين.. وأنا لا أقول بحرمة التلفاز، فهو مباح إذا كانت هناك ضوابط ومراقبه وقيود شرعية على جميع برامجه، وما يبثه طوال اليوم، حتى لا نقع في المحظور، فهو كأي جهاز آخر، قد يكون فيه حِلٌ، وقد يكون فيه حرمة، فجميع الأفلام الماجنة، والمسلسلات الداعرة، والأغاني الساقطة، والتمثيليات الإباحية التي تدعو للسفور والتبرج والمجون فهذه كلها محرمة شرعًا، ولا يجوز ولا يحلُّ

رؤيتها أو استماعها أو النظر إليها، ولا الاستمتاع بها، فَلْنَتّقِ الله عزَّ وجلَّ في أسماعنا وأبصارنا، وأولادنا، وأزواجنا، فهم والله أمانة عندنا، ورسولنا ﷺ يقول:- '' كفى بالمرءِ إثمًا أن يضيع من يعول''، وهل هناك إضاعة أكبر من أن نتركهم بلا راعٍ وبلا مسئولٍ يراقبهم ويوجههم، ويعرفهم الحلال من الحرام، ويبعدهم بقدر الاستطاعة عن نار جهنم، فهم والله الذي لا إله إلا هو في الشارع، وفي العمل، وفي البيت، وفي كل مكان، دون توجيه، ودون مراقبة صارمة في حدود الشرع الحنيف.. فإنهم والله في ضياع، والله تبارك وتعالى يقول:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}،(التحريم:-٦).

*- وهكذا تجد الواحد منا بعد أن كان يعتقد أن صلاة الجماعة في المسجد فرض عين، صار يقول:- هناك مذاهب أخرى فيمكن أن أصلي في البيت.. تَلَوُّنٌ وفتورٌ.. بعد أن كان يعتقد أن طلب العلم لازم له، وبعد أن كان يعتقد أن الدعوة إلى الله تعالى أمانةً في عنقه، تخلى وانشغل بدنياه، فتشعبت به الطرق.

*- أيها المفتون:- ستموت، وستحاسب على آرائك القديمة لِمَ غَيَّرْتَهَا.. لِمَ بَدَّلْتَ.. لِمَ تَلَّوَنْتَ، لِمَ الْتَفَتَّ؟.

*- كان راضيًا بالقليل، فإذا به يستشرف لحياة المترفين والأغنياء.. لِمَ يا عبد الله؟.

*- لِمَ غَيَّرْتَ طريقك؟ إنها سكة واحدة، ومنهج واحد، هو الصحيح:- { فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ }، (يونس:- ٣٢).

*- أخي الحبيب الغالي:- الحق واحد لا يتعدد، فعلى منهجك فاثبت:- { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ }،(فصلت:- ٦).

*- كُنْ على طريق واحد، واعلم أن الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة منهج معصوم، ليس لأنني أقول ذلك، بل لأن الله تعالى أمر بذلك، قال الله تعالى:- { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ }،(التوبة:- ١٠٠).

*- وقال سبحانه وتعالى:- { فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ }، (البقرة:- ١٣٧).

*- سئل أبو علي الحسن بن علي بن الجوزجانى:- كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال:- الطرق إلى الله كثيرة، وأوضح الطرق وأبعدها عن الشبه:- اتباع السنة قولًا وفعلًا وعزمًا وعقدًا ونيةً، لأن الله تعالى يقول:- { وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا }،(النور:- ٥٤)، فقيل له:- كيف الطريق إلى السنة، فقال:- مجانبة البدعة، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله، ولزوم طريقة الاقتداء، وبذلك أُمِرَ النبيُّ ﷺ بقول الله سبحانه وتعالى:- { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}،(النحل : ١٢٣) .

*- وقال أبو الحسن الوراق:- لا يصل العبد إلى الله تعالى إلا بالله وبموافقة حبيبه ﷺ في شرائعه، ومن جعل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء، يضل من حيث يحسب أنه مهتدٍ.

*- وقال أبو بكر الطمستاني:- الطريق واضح، والكتاب والسنة بين أظهرنا، وفضل الصحابة معلوم لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم، فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه إلى الله، فهو الصادق المصيب.

*- وعن طريق البدع يقول الحسن:- صاحب البدعة لا يزداد اجتهادًا، صيامًا وصلاًة، إلا ازداد من الله بعدًا.

*- وعن أبي إدريس الخولاني أنه قال:- لأن أرى في المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها أحب إليَّ من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها.

*- فتمسك أخي الحبيب العزيز الغالي بما كان عليه سلفك الصالح، وابتعد عن البدع وأهلها وكن على طريق واحد، " طريق السنة " ولا تلتفت أبدًا.

*- قال بندار بن الحسين:- صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق.

*- وقال حمدون القصار:- من نظر في سير السلف، عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال.

*- وقال الشاطبي:- " وهذه والله أعلم إشارة إلى المثابرة على الاقتداء بهم، فإنهم أهل السنة ".

*- إخوتي في الله وأحبتي في رسول الله ﷺ:- الطريق إلى الله واحدة لا تتغير أبدًا، فلسنا نجدد في منهجنا أو نغيره أو نبدله أو نعدله:- هو منهج واضح، والثبات عليه هو سرُّ الوصول إلى الله تعالى، فإن غَيَّرْتَ أو بَدَّلْتَ أو جَدَّدْتَ أو اِلْتَفَتَّ ضِعْتَ.

*- قال ابن القيم:- " لو أن عبدًا أقبل على الله ألف سنة، ثم التفت عن الله لحظة واحدة، لكان ما خسر في هذا أعظم مما حصله في الألف سنة ".

*-وفي هذا المعنى الجميل البديع النفيس يقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- '' وحثَّ السير مع أهل السير رضي الله عنهم وأرضاهم، ولا تخف من سيرهم على سيرك، وانتبه وتفكر، احفظ عليك لسانك، أطلقه في ذكر مولاك عزَّ وجلَّ أو في إرشاد إخوانك، واحبسه عن الكذب والغيبة والنميمة تفز يا بني ويرتفع شأنك، اذكر كيف كنت وأنت متاهة البور، تتحكم فيك نفسك على هواها، فناداك المربي لساحة النور، علمك كيف تعبد ربك الفرد الشكور، بعد أن انتشلك من بين مخالب حب الدنيا دار الغرور، وما أخذ من دنياك أجرًا ولا جزا، بل دعاك به وإليه ومنه يطلب الجزا، فالزم الصدق في صحبته وكن ثابت الخطا، وصن بحبه قلبك من خواطر العدا، عداك هم الشيطان والنفس والهوى''.

*- ويقول أيضًا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { اعلموا أن طريقكم هي طريق من جعله الله سيد الأنبياء، روحها وأساسها حب الله ورسوله ومن دان لربه بالولاء، ونهجها طاعة الله ورسوله في الأمر بالتنفيذ وفي النهي بالانتهاء، وبدايتها التوبة النصوح وتضرع بالبكاء، وسبيلها الجهاد في النفس وبالنفس على أثر خاتم الأنبياء، وغايتها معرفة الله وكسب الرضاء، ونهايتها حُبٌّ جامعٌ موردٌ للفناء والبقاء، وسمتها قوله تعالى:- ''كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ''}.

*- فسر أخي الحبيب الغالي ولا تلتفت .. انطلق على طريق واحد .. انطلق وكن واحدًا لواحدٍ على طريقٍ واحدٍ.. تصلْ بإذن الله تعالى، فاستعن بالله تبارك وتعالى، واطلب منه العون والتوفيق والسداد

والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الثالث:- ''مـــا لا يكـــون بالله لا يكـــون... ومـــا لا يكـــون لله لا ينفـــــــــع ولا يـــــــــــــــدوم''

*- تدبر هذه القاعدة أخي الحبيب، فالزم:- { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }،(الفاتحة:-٥)، .. وهاك بيانها:-

*- ما لايكون بالله لا يكون:- العبد ضعيف، خلق في الأصل محتاجًا فقيرًا، قال الله تعالى:- { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }،(فاطر:- ١٥).

*- وقال تعالى:- { وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا }،(النساء:- ٢٨)، بأصل خلقتك ضعف، انظر قول الله عزَّ وجلَّ:- { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا }،(النساء:- ٨٣).

*- وقال تعالى:- { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }،(النور:- ٢١).

*- وقال سبحانه وتعالى:- {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا }،(الإسراء:- ١٨ – ٢١).

*- فقوله تعالى:- " كلَّا نمد " .. مَنِ المُمِدُّ؟ ''اللهُ تبارك وتعالى'' ، وَمَنِ المُسْتَعَانُ؟ ''اللهُ تبارك وتعالى''، فالله تبارك وتعالى هو الممد والمعطي والمستعان.

*- الله هو الموفق وهو المسدد، الله هو الذي يصطفي ويختار، فالسير في الطريق إلى الله مبني على الاصطفاء والاختيار، فإذا اختارك واصطفاك هيأك.

*- قال الله تعالى في حق سيدنا يونس عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام:- {فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ }،(القلم:- ٥٠).

*- اجتباه فجعله، فأنت ضعيف لا طاقة لك، أنت ضعيف لا قوة لك ولا قدرة لك ولا حول لك إلا أن تكون بالله، فما لا يكون بالله لن يكون، فالذي أتى بك إلى المسجد هو ''الله''، والذي أنطق فأسمع هو ''الله''، فالله تعالى هو الذي اجتباك وجعلك من الملتزمين.

*- أخي في الله، حبيبي في رسول الله ﷺ على طريق الحق للوصول إلى الله تعالى، الزم:- {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }،(الفاتحة:-٦).

*- تبرأ من حولك وقوتك والجأ إلى حوله وقوته واستعن به، واستعن به وتوجه إليه واطلب منه.

*- استعن به وحده يكن لك، كما قال العلماء:- كن لله كما يريد، يكن لك فوق ما تريد.

*- قال رسول الله ﷺ:- " احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف "،[صححه الألباني].

*- " احفظ الله يحفظك "، والأعجب منها:- " احفظ الله تجده تجاهك "، احفظ الله تجده معك، في اتجاهك في الاتجاه الذي تريده تجده سبحانه وتعالى تجاهك.

*- إن كثيرًا منا حين يسير في الطريق إلى الله تعالى فيصيبه الفتور أو يفتن فيتراجع، ويظل طيلة الوقت يسأل عن السبيل إلى الرجوع إلى طريق الحق تبارك وتعالى، وَيُعَلَّمُ أسبابُ الرجوعِ ويأخذُ بالأسبابِ وينسى الله، فلا تؤتي الأسباب ثمرتها تقول له:- افعل كذا، فيقول:- فعلت ولم أجد فائدة، افعل كذا، فيقول:- فعلت ولا فائدة،.. افعل:- فعلت وفعلت وفعلت، نعم:- فعل ولم يستعن بالله فلم توجد ثمرة، ولا يوجد ولن توجد إلا بالله تعالى.

*- وتأمل معي هذا الحديث العظيم ليثبت يقينك في هذه القاعدة:- ''ما لا يكون بالله... لا يكون''، وأضف إليها القاعدة الأولى والأصل الأول:- ''عليك البداية وعليه التمام''.

*- يقول الله تعالى في الحديث القدسي:- " يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديتُهُ فاستهدوني أَهْدِكُمْ، يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمتُهُ، فاستطعموني أُطْعِمْكُمْ، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوتُهُ، فاستكسوني أَكْسِكُمْ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاسغفروني أغفر لكم "،[مسلم].

*- هكذا:- " كلكم " إلا من سأل الله فأعطاه .. فلن تؤتى شيئًا إلا وعند الله خزائنه، كما قال تبارك وتعالى:- { وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ }،(الحجر:- ٢١)، فاستعن بالله تُعَنْ، واستهده تُهْدَ، وهكذا:- ''ما لا يكون بالله لا يكون''.

*- فكن لله يكن لك، وإلا فالضياع والتيه ثم الهلكة عياذًا بالله تعالى، كما قال عزَّ وجلَّ:- { وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }،(آل عمران:- ١٠١).

*- وما لا يكون لله لا ينفع ولا يدوم:- إخوتي في الله، ما كان لغير الله اضمحل، نعم يضمحل، يتلاشى كالرسوم على رمال الشاطىء تمحوها أمواج البحر، نعم:- ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

*- شجرة الصفصاف تقطع في ثلاثة أشهر ما تقطعه شجرة الصنوبر في ثلاثين سنة، ثم تقول لها:- ما قطعتيه في ثلاثين سنة قطعته في ثلاثة أشهر، ويقال لي شجرة، ويقال لك شجرة، فتقول لها شجرة الصنوبر:- اصبري حتى تهب رياح الخريف فإن ثَبَتِّ لها تَمَّ فَخْرُكِ.

*- وعندما ثبتت دودة القز تنسج، قامت العنكبوت تنسج وقالت لها:- لك نسج ولي نسج، فقالت دودة القز:- أما نسجك فمصايد الذباب، وأما نسجي فأردية الملوك، وحال اللمس يبين الفرق.

*- نعم:- هكذا أخيًّا الحبيب الغالي العزيز على قلبي:- إذا هبت رياح الابتلاء فَثَبَتَّ لها تَمَّ فَخْرُكَ.

*- فليست القضية بصورة العمل فقد تتساوى الأشجار في المناظر ويسمى الكل نسجًا، ولكن البهرج لا

يدوم، قال الله سبحانه وتعالى:- { كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ }،(الرعد:- ١٧).

*- فهؤلاء الذين يدخلون الطريق إلى الله لشهوة أو لهوى أو لحظ نفس لا ينفعون ولا ينتفعون، ولا يستطيع أحدهم أن يتم عملًا ولو كان بسيطًا، وحين يبدأ في مشروع خير كطلب علم أو عبادة أو دعوة إلى الله تجده ينقطع ولا يداوم عليه، ونسأل:- ما السر؟!.

*- إن السر الدفين إخوتاه لعدم القبول، ‘‘هو وجود حظٍّ للنفس في العمل، فالذي يأتي إلى صلاة الجمعة ليس لله تعالى، والذي يقوم الليل أو يصوم النهار، ويحفظ القرآن أو يتعلم العلم، أو يؤم الناس أو يخطب الجمعة، أو يعطي درسًا، أو، أو،.. وفي العمل شائبة من حظِّ النفس، فعمله باطل باطل، أحبطه حين عمله لحظ نفسه ‘‘.

*- نعم:- سل نفسك:- عملك لمن؟ واصدق ولا تتهرب فالأمر جِدُّ خطير، ألا تخاف من هذه الكلمة التي تقض المضاجع:- ‘‘عملت ليقال وقد قيل، فلا أجر لك عندي، ثم يسحب على وجهه إلى جهنم ‘‘.

*- اعلم أخيًّا الحبيب الغالي:- ‘‘ أنك إذا صليت ثم خرجت فلم تنهك صلاتك عن الفحشاء والمنكر، فاعلم أنك ما صليت لله، فلو صليت له لأعطاك الثمرة، وإذا حفظت القرآن فلم تزجرك نواهيه ولم تلزمك أوامره فاعلم أنك لم تحفظه لله، فالله شكور، يشكر على القليل، وإذا عملت له عملًا لابد أن يثيبك ويشكرك عليه، ويعطيك منه، فإذا لم تُعْطَ فاتّهم عملك، اتهم عملك فإن المعبود كريم.

*- فالإخلاص الإخلاص إخوتاه:- ‘‘الإخلاص وإلا الضياع‘‘، الإخلاص وإلا الشرود عن طريق الله تعالى، الإخلاص حتى لا تضلوا السبيل، الإخلاص نور الطريق.

*- كان الفضيل بن عياض يقول:- إذا كان الله تبارك وتعالى يسأل الصادقين عن صدقهم، مثل إسماعيل وعيسى عليهما الصلاة السلام، فكيف بالكذابين من أمثالنا؟! وكان رحمه الله إذا قرأ:- { وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ }،(محمد:-٣١)، ويقول-: اللهم إنك إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا، عافيتك هي أوسع لنا، وأنت أرحم الراحمين.

*- قال أبو عثمان المغربي:- الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

*- وقال سهل بن عبدالله التستري:- نظر الأكياس في تفسير سورة الإخلاص فلم يجدوا غير هذا:-

'' أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى، لا يمازجه شيءٌ، لا نفس ولا هوى ولا دنيا''.

*- وقيل لحمدون بن أحمد:- ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال:- لأنهم تكلموا لعزِّ الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعزِّ النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق.

*- ويقول الشيخ سيد العفاني حفظه الله تعالى:- '' فاعقلْ درجتَكَ، وَلَا تَزْهُ عند الخلق وجوهرك جوهر الفضائح، وسيماك سيما الأبرار، وعد نفسك مع أنفس الكذابين، وروحك مع أرواح الهلكى، وبدنك مع أبدان المذنبين، وأقبل على تعلم الإخلاص، فوالله إن علمه خير العلم، وفقهه الفقه كل الفقه''.

*- يا إخوتاه:- '' الإخلاص مسك القلب، وماء حياته، وكله عليه، نعم:- بضاعة الآخرة لا يرتفع فيها إلا مخلص صادق، ولا نجاة ولا فقه إلا مع سير السلف الصالحين، فقد كان الشيوخ في قديم الزمان أصحاب قدم، والطلاب أصحاب ألم، فذهب القدم والألم، فاليوم غصة ولا قصة، وإن التربية بالقدوة خير وسائل التربية، والحكايات عن سلفنا جند من جنود الله تعالى يثبت الله بها قلوب أوليائه ''.

*- قال الإمام أبو حنيفة:- الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليَّ من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم وأخلاقهم، قال الله تعالى:- { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ }،(يوسف:- ١١١).

*- وقال تعالى لنبيه ﷺ:- { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ }،(الأنعام:- ٩٠).

*- وانطلاقًا من هذا الكلام الطيب الجميل، فإن الحديث عن الإخلاص والمخلصين، يرقق القلوب، ويدمع العيون، ويقرب العبد من خالقه، ويوقفه على بابه رازقه، فيا نعم الحديث عنهم، ويا نعم الأخبار أخبارهم، فهم والله أطباء القلوب، اللهم عجز الطبيب فداونا يا رب، اللهم ارحمنا ببركة الصالحين وحبهم، وزدنا تعلقًا بهم، وتمسكًا بمنهاجهم، فوالله الذي لا إله إلا هو ما أحببناهم إلا فيك يا رب العالمين، وهاك طرفًا منه:-

***- فالصـــــــــــــلاة مثـــــــــــــلًا:-**

*- قال أبو تميم بن مالك:- كان منصور بن المعتمر إذا صلى الغداة، أظهر النشاط لأصحابه، فيحدثهم ويكثر إليهم، ولعله إنما بات قائمًا على أطرافه كل ذلك يخفي عليهم العمل.

*- قال أبو اسحاق كعب الأحبار صاحب الكتب والأسفار:- من تعبد لله ليلة حيث لا يراه أحد يعرفه خرج من ذنوبه كما يخرج من ليلته.

***- أمـــــا عـــــن صدقـــــــة الســـــــــــرِّ:-**

*- فهذا زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما:- يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به ويقول:- إن صدقة السر تطفىء غضب الرب عزَّ وجلَّ.

*- ولما مات وجدوه يقوت مئة أهل بيت بالمدينة، ولما جاءوا يغسلونه وجدوا بظهره آثار سواد فقالوا:- ما هذا؟ فقيل:- كان يحمل جُرَبَ الدقيق ليلًا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة.

***- وأمـــــــا عـــــــــن الصـــــــــــوم:-**

*- وإذا ذكر الصوم وإخفاؤه فاذكر داود بن أبي هند، صام أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا أحد، وكان خزازًا يحمل معه غذاءه من عندهم فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيًا فيفطر معهم، فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهله أنه قد أكل في السوق.

*- قال إبراهيم بن أدهم:- لا تسأل أخاك عن صيامه فإن كان قال:- أنا صائم فرحت نفسه، وإن قال:- أنا غير صائم حزنت نفسه، وكلاهما من علامات الرياء، وفي ذلك فضيحة للمسئول واطلاع على عوراته من السائل.

***- أمـــا عـــن الذكـــــر وقـــــــراءة القـــــــرآن:-**

*- قال ابن الجوزي:- كان إبراهيم النخعي إذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطاه.

*- وكان الإمام أحمد يقول:- أشتهي ما لا يكون، أشتهي مكانًا لا يكون فيه أحد من الناس.

***- وأمـــــــــا عـــــــن البكـــــــــــــاء :-**

*- قال الثوري:- البكاء عشرة أجزاء تسعة لغير الله وواحد لله فإذا جاء الذي لله في السنة مرة فهو كثير.

*- وقال ابن الجوزي:- كان ابن سيرين يتحدث بالنهار ويضحك، فإذا جاء الليل فكأنه قتل أهل القرية.

حـالت لفقدكمُ أيامنا فغـــــدت سودًا وكانت بكم بيضًا لياليـــا

مَنْ مُبْلِغُ المُلْبِسِيْنَا عما بانتزاحهم حزنًا مع الدهر لا يبلى ويبلينا

إن الزمان الذي قد كان يضحكنا أنسًا بقربـهم قد عاد يبكينـــــا

لِيَسْقِ عهدُكُمُ عهدَ السرورِ فمـــا كنتم لأرواحـنا إلا رياحينـــــا

*- قال محمد بن واسع:- إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه في لحافه لا تعلم به.

*- وقال سفيان بن عيينه:- أصابتني ذات يوم رقة فبكيت فقلت في نفسي:- لو كان بعض أصحابنا لرق معي، ثم غفوت فأتاني آتٍ في منامي فرفسني وقال:- يا سفيان خذ أجرك ممن أحببت أن يراك!.

***- أمـــــــا عـــــن العلـــــــــــم:-**

*- قال الشافعي:- وودت أن الخلق تعلموا هذا (يعني علمه) على أن لا ينسب إليَّ حرف منه.

*- وقال عون بن عمارة:- سمعت هشام الدستوائي يقول:- والله ما أستطيع أن أقول:- إني ذاهب يومًا قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عزَّ وجلَّ، قال الذهبي:- والله ولا أنا، فاللهم اعفُ عنا!.

***- أمـــا عـــن أصحـــاب السرائـــر والخـــوف مـــن الشهـــرة:-**

*- قال ابن المبارك عن إبراهيم بن أدهم:- صاحب سرائر وما رأيته يظهر تسبيحًا ولا شيئًا من الخير ولا أكل مع قوم إلا كان آخر من يرفع يده.

*- يقول إمام الوعاظ ابن الجوزي:- اشتهر ابن أدهم ببلد فقيل:- هو في البستان الفلاني فدخل الناس يطوفون ويقولون:- أين ابراهيم بن أدهم؟ فجعل يطوف معهم ويقول:- أين إبراهيم بن أدهم؟!.

*- وانظر إلى العلاء بن زياد العدوي الذي قال فيه الحسن البصري:- إلى هذا والله انتهى استقلال الحزن، فقال له رجل:- رأيت كأنك في الجنة فقال له:- ويحك! أما وجد الشيطان أحد يسخر به غيري وغيرك.

*- وقال الإمام أحمد:- كان سفيان الثوري إذا قيل له رئيت في المنام يقول:- أنا أعرف بنفسي من أصحاب المنامات.

*- وإبراهيم النخعي الإمام الفقيه:- كان لا يجلس إلى السارية في المسجد توقيًا للشهرة، وكان يقول:- '' تكلمتُ ولو وجدت بُدًّا ما تكلمت، فإن زمانًا أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء''.

*- وكان يقول:-

خلتِ الديارُ فَسَدَّتْ غيرَ مُسَوَّدِ ومنَ البلاءِ تَفَرُّدِيْ بالسـؤددِ

*- وكان محمد بن يوسف الأصبهاني:- (عروس الزهاد) لا يشتري زاده من خباز واحد قال:- ''لعلهم يعرفوني فيحابوني فأكون ممن أعيش بديني''.

*- وسفيان الثوري:- الذي قال عنه الإمام أحمد:- أتدري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري لا يتقدمه أحد في قلبي، وكان رحمه الله لا يترك أحدًا يجلس إليه إلا نحو ثلاثة أنفس، فغفل يومًا فرأى الحلقة قد كبرت فقام فزعًا وقال:- أُخِذْنَا والله ولم نشعر، والله لو أدرك أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه مثلي وهو جالس في هذا المجلس لأقامه، وقال له:- مثلك لا يصلح لذلك.

*- وكان رحمه الله إذا جلس لإملاء حديث يجلس مرعوبًا خائفًا، وكانت السحابة تمر عليه فيكست حتى تمر ويقول:- أخاف أن يكون فيها حجارة ترجمنا بها.

*- وكان يقول:- كل شيء أظهرته من عملي فلا أعده شيئًا لعجز أمثالنا عن الإخلاص إذا رآه الناس، رحمك الله يا سفيان، ولله درك يا أمام... كما علمتنا أن نكون لله تعالى.

*- ومرَّ الحسن البصري على طاووس وهو يملي الحديث في الحرم في حلقة كبيرة فقرب منه وقال له في أذنه:- إن كانت نفسك تعجبك فقم من هذا المجلس فقام طاووس فورًا.

*- قال بشر:- لا ينبغي لأمثالنا أن يظهر من أعماله الصالحة ذرة فكيف بأعماله التي دخلها الرياء؟!، فالأولى بأمثالنا الكتمان!.

*- وكان مالك بن دينار يقول:- إذا ذكر الصالحون فأفٍّ لي وَتَفَّ.

*- وقال الفضيل:- من أراد أن ينظر إلى مراءٍ فلينظرْ إليَّ.

*- إخواتاه:- أطلنا الكلام مع المخلصين لأهميته فبدون الإخلاص لا يكون للأعمال أى قيمة ولن تصل إلى الله على الإطلاق ما دمت مرائيًا.

*- فابدأ من الآن وكن بكلك لله، أخلص وإلا فلا تَتَعَنَّ، أخلص وإلا فالخسار والدمار وخراب الديار.

*- إخواتاه:- ما لا يكون بالله لا يكون، وما لا يكون لله لا ينفع ولا يدوم.. فاستعينوا بالله وأخلصوا لله والزموا:- { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } تصلوا الى الله تعالى بأمان واطمئنان.

*- وفي هذا المعنى الجميل البديع الراقي يقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه عن الصالحين والأولياء:- '' هم الذين هاموا في حب سراجهم ﷺ، وحلفوا عليه ألا يفارقهم لحظة من حياتهم، واصبر على ما أصابك، وكن متواضعًا لسائر أحبابك، تالله إن فعلت هذا تكن لك البشرى، لا احتياج لغير الله فاطرق بابك ببابك، وعجل بالتوبة النصوح، واتبع مُقَدَّسَ الروح ﷺ، واقتحم عقبات النفس والهوى تكن محبًّا للحبيب عليه الصلاة والسلام، واقتحم كل ما سوى المربي حتى تكون في مستقبلك للحق تربي''.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الرابع:- ‘‘الشكر أساس المزيد’’

*- إن من أخطر أصول الوصول إلى الله تعالى شكر نعمة الله عزَّ وجلَّ على أن هيأك ويسر لك وحبب إليك أن تسلك سبيلًا إليه، وإن اختيار هذا الطريق رغبة ورهبة وطلبًا لرضا الله وخوفًا من سخطه وغضبه، وعدم رضاه، ومقته، نعمة.

*- وإن معرفة الطريق إلى الله عزَّ وجلَّ، والشغف بالسير فيها والحرص على التقدم، نعمة، والأعمال الصالحة من تلاوةٍ وذكرٍ وصيامٍ وقيامٍ وتبتلٍ وتهجدٍ وإحسانٍ وبرٍّ وغيرها، هي حوامل الوصول في هذا الطريق، وهي نعمة أيضًا، وهذه النعم إنْ لمْ تدمْ وتزدْ وتباركْ كان النكوصُ والارتدادُ والسلبُ والحرمانُ، ولا سبيل قط إلى حراسة النعم وحمايتها وزيادتها إلا بالشكر.

*- جاء وفد اليمن إلى رسول الله ﷺ وكان فيهم رجل يسمى حديرًا، فلما أرادوا الانصراف، وكان من سنة رسول الله ﷺ أن يعطي كل ضيف جائزته، أعطى لكل فرد هدية، وكان حدير مشغولًا بذكر الله بعيدًا عن عين رسول الله ﷺ، فاستحيى حدير أن يطلب جائزته، فانطلقوا وانطلق معهم حدير، وبعد أن انصرفوا إذ بجبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ ويقول:- إن ربك يقرئك السلام ويذكرك بحدير، يذكرك أنك نسيت حديرًا فطلب رسول الله ﷺ فارسًا وأعطاه هدية وقال:- " الحق القوم فاسأل عن حدير وأعطه هديته وأقرئه مني السلام"، فلما أدركهم قال-: أين حدير؟ قالوا له:- هذا فقال له:- رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول لك:- " إنه نسيك فذكره بك الله "، فقال حدير:- " اللهم كما لم تنسَ حديرًا، فاجعل حديرًا لا ينساك " فكان أكثر الناس ذكرًا لله تبارك وتعالى.

*- " اللهم كما لم تنسَ حديرًا فاجعل حديرًا لا ينساك " .. هذا هو موطن الشاهد وهو شكر النعمة على مقتضاها وهو طلب الزيادة من خير الآخرة.

*- أيها الإخوة الكرام:- ابتلي أحد الإخوة بمرض السكر فقال الحمد لله:- لقد استفدت من هذا المرض فائدة:- ما عرفت نعمة الله في أن أنام ثلاث ساعات متواصلة إلا بعد المرض، فكل ساعة أقوم لأدخل الحمام!.

*- فهل نمت أنت ثلاث ساعات متواصلة ؟! هل شكرت هذه النعمة ؟ إذا ابتليت – نسأل الله لنا ولك العافية ستعرف هذه النعمة وتقدرها.

*- هذا الرجل المكسور يقول:- أود أن أتقلب على جنبيَّ!! فهل تتقلب على جنبيك وأنت نائم؟! هل شكرت هذه النعمة؟ هل فكرت مرة أن تذهب إلى المستشفيات لترى المقعدين الذين لا يملكون حراكًا؟، لترى في قسم الحرائق ما فعلته النيران في الوجوه الجميلة؟ ولترى في قسم العيون من فقدوا نور أعينهم؟!.

*- كان بكر بن عبدالله المزني رحمه الله يقول:- يا ابن آدم إذا أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك فغمض عينيك.

*- هل رأيت أصحاب المحاليل المعلقة؟!، وهل رأيت من عاشوا حياتهم في المستشفيات ثم ماتوا؟!، كل هذه النعم التي فقدها الآخرون وملكتها أنت هل شكرت الله عليها؟!.

*- وأنت أيها المريض المبتلى هل شكرت النعم التي أنت غارق فيها؟! هل نظرت إلى من هم أشد منك بلاءً؟!، وإن كنت أنت أشد المرضى ألمًا، فهل شكرت الله على أن ابتلاك فى جسدك وحفظ لك قلبك فملأه بالإيمان؟!، هل شكرت هذه النعمة:- نعمة الإيمان والتوحيد التي هى أعظم النعم.

*- عن مجاهد فى قوله سبحانه وتعالى:- { وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً }،(لقمان:- ٢٠).

*- قال نعمة قول:- ''لا إله إلا الله ''.

*- وعن سفيان بن عيينة قال:- ما أنعم الله عزَّ وجلَّ على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم:- '' أن لا إله إلا الله ''، وقال:- وإنَّ '' لا إله إلا الله '' لهم في الآخرة كالماء في الدنيا.

*- لقد كان من هدي رسول الله ﷺ تَذَكُّرُ فاقدِ النعمةِ ليعظمَ عنده شكرها، فكان رسول الله ﷺ اذا أوى إلي فراشه يقول:- " الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا وكم ممن لا كافي له ولا مأوى "،[مسلم]، فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله ﷺ.

*- قال سلام بن أبي مطيع:- دخلت على مريض أعوده، فإذا هو يئن فقلت له:- اذكر المطروحين في الطريق، اذكر الذين لا مأوى لهم، ولا لهم من يخدمهم، قال:- ثم دخلت عليه بعد ذلك فلم أسمعه يئن.

*- قال:- وجعل يقول:- اذكر المطروحين في الطريق، اذكر من لا مأوى له ولا له من يخدمه.

*- إخوتاه.. أحبتي الكرام:- شكر النعم أصل، قال الملك جلَّ في علاه:- { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }،(إبراهيم:- ٧).

*- قال ابن القيم رحمه الله تعالى:- " من أنعم عليه بنعمة فلم يشكرها عذب بتلك النعمة ذاتها ولابد ".

*- عرفت أخي الحبيب الملتزم ما سبب الفتور؟ لأنك لم تشكر نعمة الالتزام، فلو شكرت هذه النعمة لزادك الله التزامًا، قال الله تعالى:- { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ }،(محمد:- ١٧)، لكن لَمَّا لَمْ تَشْكُرْ نِعْمَةَ الالتزامِ فَتَرْتَ، وَتَرَاجَعَ اِلْتِزَامُكَ.

*- قال الحسن:- إن الله عزَّ وجلَّ ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم تشكر قلبها عليهم عذابًا.

*- نعم:- كل من أعطي أولادًا فلم يشكر نعمة الأولاد يعذب بهم، ومن أنعم الله عليه بزوجة فلم يشكر نعمة الزوجة عذب بها، ومن أعطي مالًا فلم يشكره عذب به ولا بد، وهكذا:- كل نعمة لا تشكرها تعذب بها، وسر الشكر استخدام النعمة في طاعة المنعم.

*- شكرَ حديرٌ النعمةَ وسألَ اللهَ ألا ينسيه ذكره، ولو أنني أنا الذي جاءوني بالهدية لشغلني فرحي بالهدية عن ذكر الله، واقعٌ مرٌّ، كثير من المسلمين مشغول بالنعمة عن المنعم، مشغول بالبلية عن المبتلي، مشغول عن الله بغير الله، ناسٍ له، غافلٍ عنه.

*- وفي هذا المعنى الجميل يقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { أما استحيت منه وهو الذي خلقك من نطفة وسواك، ويكلؤك بالليل والنهار ويوعاك، ومهما بارزته بالمعاصي وتبت فرح بتوبتك وللمغفرة ناداك، مرض صدرك بحب غيره واتباعك هواك، فأدبرت عن الخالق وأقبلت على الخلق فخاب مسعاك، وانشغلت بالنعمة عن المنعم، فهل فقدت عقلك أم ماذا دهاك؟، تب وغير ما بنفسك لعل الله يقبلك ويسدد خطالك، إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم }.

*- إخوتاه الكرام:- سيدنا سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم، هذا النبي الصالح ابن النبي الصالح عليهما السلام، ما شغله الملك، الذي ما آتاه الله أحدًا من العالمين قبله ولا بعده عن الشكر والتحدث بنعم الله عليه.

*- قال تعالى:- { وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }،(النمل:- ١٦- ١٩).

*- ولما حمل إليه عرش بلقيس قال:- { هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ }،(النمل:- ٤٠).

*- عن الحسن قال:- قال نبي الله داود عليه السلام:- " إلهي لو أن لكل شعرة مني لسانين يسبحانك الليل والنهار والدهر ما وفيت حق نعمة واحدة ".

*- قال ابن القيم:- " حبس السلطان رجلًا فأرسل إليه صاحبه:- اشكرِ اللهَ فَضُرِبَ، فأرسل إليه:- اشكرِ اللهَ، فَجِيءَ بمحبوس مجوسيٍّ مبطونٍ فَقُيِّدَ وَجُعِلَ حلقةً من قيده في رجله، وحلقةً في الرجل المذكور، فكان المجوسي يقوم بالليل مرات، فيحتاج الرجل أن يقف على رأسه حتى يفرغ فكتب إليه صاحبه:- اشكر الله، فقال له:- إلى متى تقول:- اشكرِ اللهَ وأيُّ بلاءٍ فوقَ هذا؟ فقال:- لو وُضِعَ الزنارُ الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك، ماذا كنت تصنع؟ فاشكر الله ".

*- ودخل رجل على سهل بن عبدالله فقال:- اللص دخل داري وأخذ متاعي، فقال:- اشكر الله، فلو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وأفسد عليك التوحيد ماذا كنت تصنع ؟ ".

*- سئل بعض الصالحين:- كيف أصبحت؟ فقال:- أصبحت وبنا من نعم الله ما لا يحصى مع كثير ما يعصى، فلا ندري على ما نشكر:- على جميل ما نشر، أو على قبيح ما ستر؟.

*- وقال آخر:- أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أعظم:- ذنوب سترها الله عليَّ، فلا يقدر أن يعيرني بها أحد، ومحبة قذفها الله في قلوب الخلق لا يبلغها عملي.

*- نعم إخوتى في الله:- من أصول السير إلى الله تعالى:- '' كلما أنعم الله عليك بنعمة فاشكرها''.

*- إذا حفظت آية فاشكرها، وإذا ذكرته لحظة فاشكرها، وإذا أحييتَ سُنَّةً فاشكرها، وإذا صليت جماعة فاشكرها، وإذا تعلمت مسألة اشكرها، وإذا قمت ليلة اشكرها، اشكر الله على نعمته، لأنك إن لم تشكره تعذب، وتلك سنة ربانية، فلذلك انشغل بشكر النعمة.

*- ولكن كيف يكون شكر النعمة؟!.

*- الشكر يقوم على خمسة أركان:-

١- الإقرار بالنعمـــــــــــــــــة.

٢- الثناء على الله بالنعمـــــــــــة.

٣- الخضوع لله بالنعمـــــــــــــة.

٤- حب المنعـــــــــــــــــم.

٥- استعمال النعمة في شكر المنعم.

*- عن عنبسة بن الأزهر قال:- كان محارب بن دثار قاضي الكوفة قريب الجوار مني، فربما سمعته في بعض الليل يقول:- " أنا الصغير الذي ربيته فلك الحمد، وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد، وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد، وأنا الغريب الذي وصيته فلك الحمد، وأنا الصعلوك الذي مَوَّلْتَهُ فلك الحمد، وأنا العزب الذي زوجته فلك الحمد، وأنا الساغب (الجائع) الذي أشبعته فلك الحمد ، وأنا العاري الذي كسوته فلك الحمد، وأنا المسافر الذي صاحبته فلك الحمد، وأنا الغائب الذي رددته فلك الحمد، وأنا الراحل الذي حملته فلك الحمد، وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد، وأنا السائل الذي أعطيته فلك الحمد، وأنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد، فلك الحمد ربنا حمدًا كثيرًا على حمدي لك ".

*- لله ما أحلى هذا الكلام!! نعم والله:- كان كلامهم دواءً للخطائين يا رب.

*- اللهم.. " تمَّ نورك فهديت، فلك الحمد، عظم حلمك فغفرت، فلك الحمد، وبسطت يدك فأعطيت، فلك الحمد، ربنا وجهك أكرم الوجوه، وجاهك أعظم الجاه، وعطيتك أفضل العطية وأهنأها، تطاع ربنا فتشكر، وتعصى فتغفر، وتجيب المضطر، وتكشف الضر، وتشفي السقيم، وتغفر الذنب، وتقبل التوبة، ولا يجزي بآلائك أحد، ولا يبلغ مدحتك قول قائل " ‘‘فلك الحمد’’.

*- إخوتاه، أحبتي في الله:- الشكر أساس المزيد، أحبتى في رسول الله ﷺ:- يا من عزمتم السير إلى الله، اشكروا الله.. اشكروا الله . اشكروا الله.. ‘‘يزدكم’’.

*- عن علي رضى الله عنه أنه قال لرجل من أهل همدان:- "إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله عزَّ وجلَّ حتى ينقطع الشكر من العبد".

*- فإذا رأيت إيمانك – أخي في الله لا يزيد فارجع إلى الشكر.

*- اشكر تزدد إيمانًا، فإن الشكر أساس المزيد.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الخامس:- أكثر من قولك:- ‘‘ اللهـمَّ يا مُثَبِّـتْ القلـوبَ ثَبِّـتْ قلبـــي علـــى دينـــــك’’.

*- عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ، قَالَ:- سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:- " لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَ غَلْيًا ".

*- إذًا قلوب العباد بين أصبعي الرحمن يقلبها كيف يشاء، فلنكثر جميعًا من قول:- { اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك}، كما جاء في السنة المطهرة، فقد روى الترمذي (٢١٤٠) عن أنس قال كان

رسول الله ﷺ يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وكان من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ "، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- '' اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِك ''.

*- أيها الإخوة الكرام:- إن الصراط مدحضة مزلة، تزل عنه الأقدام، فمع طول السفر قد تتحول الأقدام عن الطريق دون شعور، ولذا ينبغي أن تبقى القلوب معلقة بالله تبارك وتعالى، ولا تتجه لغيره، ولا تتعلق بسواه، فهو وحده سبحانه وتعالى الذي يهديك الصراط المستقيم، صراط الوصول إليه سبحانه وتعالى.

*- فكم منا من سلم قيادة قلبه لزوجته فحولته من طالب علم إلى طالب دنيا، وكم منا من سلمها لأولاده فحولوا همه من طالب جنة إلى طالب مال، قلبك أخي الحبيب الغالي في يد من؟ أسلمته لمن؟ لصاحبٍ، لزميلٍ، لحبيبٍ، لمديرٍ؟!، أم أنك جعلته دومًا معلقًا بالله تبارك وتعالى.

*- وفي هذا المعنى الجميل، يقول فضيلة شيخنا الجليل في حديث التجلي على قلبه، ونقل لنا خطاب الله تبارك وتعالى فقال:- { فَرِّغْ قلبي لذكري، واشغل لسانك بشكري، واطلق روحك من زنزانة الشرِّ، تكن لك الحياة الطيبة وبركة العمر، وفي كل مقام إلجأ إليَّ أنا الحفيظ فاطلبني تجدني }.

*- أخي في الله، سل نفسك من المتحكم فيك، ومن الذي يسير قلبك، هل الله وحده؟ أم أشياء أخر؟.

*- قف مع نفسك وقفة لتسلم قلبك لله يقودك كيف شاء.

*- أخي في الله:- استسلم لله، سلم قلبك لله، قال رسول الله ﷺ:- " ألا إن السلطان والقرآن سيفترقان، فدوروا مع القرآن حيث دار "،[وأخرجه الحاكم بلفظ:- دوروا مع كتاب الله حيث دار، وبهذا اللفظ ضعفه الألباني].

*- نعم:- إننا نحتاج أن تتعلق قلوبنا بالله وحده لا شريك له، لندور مع القرآن، لندور مع الشرع، لندور مع الدين، مع الأمر والنهي، فلا نثبت على الباطل.

*- وفي هذا المعنى الجميل يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { الشرع ظاهرنا، والحقيقة ضمائرنا لأنه واجب علينا أن نسير كما حبيبنا يأمرنا، العطف على أعداء الله ليس من شيمتنا،

والملح ليس من غنيمتنا، والزجاج ليس من بضاعتنا، ومهما اقترفنا من الذنوب عرفنا طريق مغفرتنا، ما علينا إلا الرجوع والتمسك بكتاب ربنا وهدي قدوتنا سيدنا محمد ﷺ رجاء أمتنا، ومن ثروة العلم التي ورثناها عنه ﷺ نعظ جمع عصبتنا، وأول الوعظ أن نؤمن أنه بالله وحده حولنا وقوتنا، وأن نجتنب الثلاث المهلكات:- الإشراك بالله خالقنا وولي نعمتنا، والإضرار بالناس فهذا ضد شرعتنا، والإعجاب بالنفس فهو عدو وحدتنا}.

*- أخي الحبيب:- إن القلوب هي موضع نظر الله تبارك وتعالى، فلا تدنسها بالتعلق بغير جنابه عزَّ وجلَّ، فالدنيا أخيا الحبيب الغالي كلها فتن، وصوارف قد تصرف القلب عما سوى الله تبارك وتعالى فتزل وتتيه أخي الحبيب، فتحكم أخي فى كل ذرة من قلبك، ووجهها إلى الله وحده، وحرك قطار نفسك فى طريق واحد، في طريق الوصول إلى الله.

*- وفي هذا المعنى يقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { نحن قوم علمنا يقينًا أن الدنيا قدر يغلي، وكنيف يمتلي، ومحبها خسران، لو كان حبها مباحًا لوجدنا سيدنا محمدًا ﷺ باقيًا فيها، ولكن واجب علينا أن نجعلها كالعصا في اليد، هل رأيتم أحدًا يحمل في قلبه عصاه، كلا.. لأن الله تعالى لم يخلق القلب لأحد سواه، وحرام أن نفسده بالذي لا يساوي جناح بعوضة، وهكذا الدنيا بحذافيرها، بل بيت للحضرة الإلهية تتجلى عليه بجمالها وجلالها وبنورها، وهكذا القلب إذا خلا مما سواها، تولته بحفظها وحسن تدبيرها، أيها المغرور بحب دار الغرور، عشت عمرك كله في البور، اتبع الرجال الذين أسقاهم من كأس حبه الرب الشكور، الذي له الخلق والأمر وإليه طوعًا أو كرهًا تحور }.

*- ويقول أيضًا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { أيها المعتز بغير مولاك أما علمتَ أنَّ منِ اعتزَّ بغير الله ذلَّ وهان، هل أعجبتك نفسك أم غرَّكَ الشيطان، أم تراك أطغاك مالك والجاه والسلطان، كيف تتكبر عليه بنعمته وله وحده الفضل والإحسان، أما استحيت منه وهو الذي خلقك من نطفة وسواك، ويكلؤك بالليل والنهار ويرعاك، ومهما بارزته بالمعاصي وتبت فرح بتوبتك وللمغفرة ناداك، مرض صدرك بحب غيره واتباعك هواك، فأدبرت عن الخالق وأقبلت على الخلق فخاب مسعاك، وانشغلت بالنعمة عن المنعم

فهل فقدت عقلك أم ماذا دهاك؟، تب وارجع وَغَيِّرْ ما بنفسك لعل الله يقبلك ويسدد خطاك، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، واملأ قلبك بحب من يرشدك إلى طريق الحق وباب النبي ﷺ، لأن الحب في الله واجب، والبغض في الله واجب، واجعل لك حصنًا من قول المعصوم ﷺ:- '' طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس''}.

*- أخي الحبيب الغالي:- سرت إلي لله سنين ثم تحولت، فما الذي حولك؟! من الذي حولك؟!، لِمَ تغيرتَ فغيرتَ اتجاهك ؟!، لِمَ انزلقتْ رجلُكَ فخرجتَ عن طريق السير إلى الله؟!.

*- إننا بحاجة إخوتي الكرام:- لأن نكون دومًا في معية الله تعالى، وحسن التعلق به سبحانه وتعالى، لكي نعيد السير إلى الطريق مرة أخرى، حتى وإن حُدْنَا أو تُهْنَا أو خُضْنَا أو ضَلَلْنَا أو أَخْطَأْنَا أو أَذْنَبْنَا، لا بد من العود، ارجع والله عزَّ وجلَّ كريم يقبل توبة العبد إذا تاب، قال الملك ﷺ:- { وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا }،(النساء:- ١١٠)، فعد إلى الله واتجه إلى الله، وقف على طريق السير إلى الله.

*- فلا تنس الله عزَّ وجلَّ، وعلق قلبك بالله سبحانه وتعالى، وحول قلبك إلى الصراط المستقيم، عَدِّلْ طريقك، ونَظِّمْ سيرك، ووجه قلبك تجد الله غفورًا رحيمًا، فكن مع الله تعالى، كن معلقًا بالله تعالى، تسلك طريق الوصول إلى الله.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل السادس:- ‘‘يومـــــــــــــك يومـــــــــــــــك’’

*- أيها الأخوة الأحباب:- إن الله جلَّ جلاله حين خلق العبد ما خلقه إلا ليعبده، قال تعالى:- :- { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }،(الذاريات:- ٥٦)، ثم أجرى الله اللطيف الرحيم تكاليفه على العبد فكلفه ما يطيق.

*- قال الملك تبارك وتعالى:- { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ }،(البقرة:- ٢٢٠)، يعني:- ولو شاء الله لأوقعكم فى العنت والمشقة والتعب، ولكن الله يقول:- { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }، (البقرة:- ١٨٥) ويقول سبحانه وتعالى:- { يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا }، (النساء : ٢٨).

*- فمن رحمة الله ولطفه بالعبد فى التكاليف أنه كلفك كل يوم على قدر يومك، لكى لا يعنتك، ولذا فإن من ظلم العبد لنفسه أن يحمل همَّ غدٍ، ومن رحمته سبحانه وتعالى أن جعل التكاليف يومًا بيومٍ، فلو صليت العشاء لا يطالبك الله بشيء أو فرض حتى أذان الفجر، فكل وقت له واجب، والله لا يطالبك إلا بواجب الوقت، لا يطالبك سبحانه وتعالى بواجب الغد، أما اليوم فنعم.

*- إنك لو متَّ الآن قبل صلاة العشاء لن يسألك الله عن العشاء، ولو متَّ قبل أن يمر العام ويحول الحول، فلن تسأل عن زكاة هذه السنة، ولو عشت عمرك ولم يبلغ مالك النصاب لا يسألك الله عن الزكاة، وهذا كله من رحمة الله تبارك وتعالى، فمن ظلم العبد لنفسه حمل هم غد.

*- تجد الرجل اليوم جالسًا يفكر:- آخر الشهر من أين سنأتي بالنقود، يا أخي أين أنت وأين آخر الشهر؟! تجده يتكلم ويقول:- الأولاد عندما يكبرون أين سيعيشون؟ يا أخي الحبيب عندما يكبرون فلهم رب يتكفل بهم أحنُّ عليهم منك، وهكذا يحمل الهمّ فينشغل به.

*- تجد الأب في زماننا للأسف الشديد مشغولًا بشراء قطعة أرض ليبني بيتًا للأولاد، مشغولًا بسعادتهم الدنيوية وراحتهم البدنية، فينسى في خضم المشاكل والظروف أن يعرفهم طريق الله تعالى.

*- فعن النبي ﷺ أنه قال:- قال الله عزَّ وجلَّ:- '' يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان مادام سلطاني باقياً وسلطاني لا ينفذ أبداً، يا ابن آدم لا تخشَ من ضيق الرزق وخزائني ملآنة وخزائني لا تنفذ أبداً، يا ابن آدم لا تطلب غيري وأنا لك فإن طلبتني وجدتني، وإن فُتَّنِيْ فُتُّكَ وَفَاتَكَ الخيرُ، يا ابن آدم خلقتك للعبادة فلا تلعب، وقسمت لك رزقك فلا تتعب، فإن رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك، وكنت عندي محموداً، وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البرية ثم لا يكون لك منها إلا ما قسمته لك، وكنت عندي مذموماً، يا ابن آدم خلقت السماوات السبع والأراضين السبع ولم أعيَ بخلقهن، أيعييني رغيف عيش أسوقه لك بلا تعب؟، يا ابن آدم أنا لم أنسَ من عصاني فكيف من أطاعني؟ وأنا رب رحيم وعلى كل شيء قدير، ياابن آدم لا تسألني رزقَ غدٍ كما لمْ أطالبْكَ بعملِ غدٍ، يا ابن آدم أنا لك محبٌّ فبحقي عليك كن لي محبّاً}.

*- سبحان الله العظيم!! عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وأرضاه كان له أحد عشر ولدًا ذكرًا، غير الإناث، فلما جاءه الموت قال له كاتبه رجاء بن حيوة رضي الله عنه وأرضاه:- لو أوصيت بهم أحدًا، أوصِ عليهم أحدًا ينفق عليهم، قال له ذلك، لأن عمر بن عبد العزيز لم يترك وهو يموت إلا عشرة دراهم، أحد عشر ولدًا ورثهم عشرة دراهم، قال له عمر بن عبد العزيز:- والله لست أوصي بهم أحدًا إلا الله، إن يكونوا صالحين فالله يتولى الصالحين، ثم جمعهم فقال:- إني أموت ولم أترك لكم شيئًا، غير أنكم ما مررتم بأحد من المسلمين إلا وهو يعلم أن لكم عليه حقًّا.

*- وهذه الكلمة الأخيرة كلمة جميلة، أنك حين تترك أولادك ويكون لك ذكرى طيبة عند الناس، تجدهم كلما مر عليهم الأولاد يقولون:- ''اللهم ارحم أباكم، لقد كان رجلًا صالحًا، وهذه تكفي''.

*- نعم، هذا هو الوالد الحقيقي الذي عرف الطريق إلى الله فعرفه لأبنائه، لا ذلكم الأب الذي ضيع أيامه وانشغل بالدنيا، وتعجب حين تعلم أن هذا الأب كلما انشغل بالأولاد ليرضيهم لا يرضون فتزداد المشاكل والهموم، ولو أنه شغل نفسه وعياله بالله لحلت المشاكل.

*- إننا اليوم ونحن ننظر في واقع المسلمين، لا نجد أحدًا يعيش يومه فالكل ينظر للمستقبل وناسٍ أنه يمكن ألا يكمل يومه، قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما:- " إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ".

*- لقد تعجبت لبعض الأفكار والأخلاقيات التي وصلت إلى بعض الفلاحين في القرى!! وكيف لا أدهش ونحن دائمًا نعد هؤلاء الفلاحين أصولنا، هؤلاء أولاد الأصول، هؤلاء هم الناس الذين يفهمون في الأصول، ألا لعنة الله على الظالمين الذين لوثوا صفاء الريف الروحي.

*- والله لقد أفسد التلفاز أخلاقياتهم، فتجد الرجل يرسل ابنته لتتعلم وقد تسافر وحدها وترجع بالليل فتقول له:- لماذا تعلم البنت؟ فهي في النهاية ستتزوج وتجلس في البيت، يقول لك:- حتى يكون في يديها " سلاح " وتقول له:- وإذا طُلِّقَتْ بسبب السلاح أو لم تتزوج فما الحل؟!، وهل كان مع أمها سلاح؟ هل كان معها " شهادة جامعية " ؟! وأمك أنت ماذا كان معها ؟! ماذا كان سلاحهم ؟!! إن السلاح هو رضا الله تبارك وتعالى.

*- نعم:- فهؤلاء الناس ينظرون إلى المستقبل ولا يعيشون واقعهم، لا يعيشون يومهم، وانظر حولك لترى الناس كيف يعيشون، وكيف تعلقت قلوبهم بالغد.

*- ولهذا، فلكي تصل إلى رضا الله عش يومًا بيوم، فاجعل كل يوم هدفًا تصل به إلى أعلى درجة في الجنة، ابدأ يومًا جديدًا من صلاة الفجر، وضع في حسبانك أنه آخر يوم في عمرك، ولذا تسأل نفسك ماذا سأفعل؟، أول شيء:- أتوب اللهم تب علينا يا رب.

*- وفي هذا المعنى الجميل يقول فضيلة شيخنا عمي الشيخ عبد الله أبو ويطر:- { المؤمن ابن وقته }، أي أنه يستغل كل لحظة، بل كل ثانية في وقته، في يومه، في حياته، فجميع وقته لمرضاة الله عزَّ وجلَّ، لطاعة الله سبحانه وتعالى، فلا ينظر للأمس فلقد طويت صفحته، ولا ينظر للغد لأنه غير مطالب به، بل إن النظر والتفكر فيها يشغلك عن طاعة مولاك، فاشتغل به وكفى بالله وليًّا وكفى بالله وكيلًا.

*- وعندما سئل فضيلة شيخنا عبد الله أبو خويطر عن الزهد فقال:- '' الزهد أن تكون اليد في العمل، والقلب مع الله عزَّ وجلَّ''، أي يجب أن يكون القلب معلقًا دومًا بالله تبارك وتعالى، ولا يغفل طرفة عين عن الخالق تبارك وتعالى.

*- ولله در رابعة العدوية إذ تقول في هذا المعنى الجميل:-

ولقد جعلتك في الفؤاد محدِّثـــي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم منّي للجليس مؤانـــسٌ وحبيب قلبي في الفؤاد أنيســـي

*- وفي هذا المعنى الجميل يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { أنسيت موقف الحساب أم نسيت مس سقر، أخذتك الدنيا فأعمتك عن كل العبر، أما علمت أنها أفنت القرون الأولى فما لهم من أثر، تنبه واحذر الدنيا كل الحذر، يخرج الغني منها كما يخرج الفقير والجميع حقًّا على سفر، فلا تشغل بها قلبك، وأطع الإله فيما نهى وما أمر، والزم مجالس رجاله، وتمسك بعقيدتهم وتوسل بمددهم يحشرك الله مع سيد البشر، وطهر نيتك بالصفا والإخلاص، واقرأ قل أعوذ برب الناس، وصلِّ وسلم على من أخرج الله من قلبه حظ الشيطان والوسواس، وغاب في حبِّ مولاه تعالى عن الحواس}.

*- إخوتي الأحباب الكرام:- هل فيكم أحد يود أن يتوب اليوم؟ إذا قال:- نعم تبت، قلت:- من ماذا؟ قال:- من كل شيء، قلت:- لست صادقًا، إن الذي يقول:- تبت من كل شيء يريد أن يخادع الله، أخيًّا الحبيب الغالي:- قل لي حدد لي من أي ذنب تبت؟ من الغفلة عن ذكر الله تبارك وتعالى، من الكذب، من الغيبة والنميمة، أم من النوم عن صلاة الفجر، أم من النفاق، من إطلاق نظرك بلا حدود ولا قيود، تبت من ماذا؟ من أكل الحرام، أم من قطيعة الرحم، أم من احتقار الآخرين، من أي شيء تبت؟!.

*- سأعطيك فرصة أخرى الآن وسمها اختبارًا إن شئت:- استحضر في ذهنك الآن ذنبًا، ذنبًا ثقيلًا وتب منه الآن، إذًا هيا نتوب، الآن الآن، اللهم تب علينا يا رب، اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وأجب دعوتنا.

*- نعم أيها الأخوة:- تبدأ اليوم فتقول:- اليوم سأتوب عن النظر إلى كل المحرمات، وعن النظر إلى كل ما يغضب الله تبارك وتعالى، وعن الغفلة عن ذكر الله عزَّ وجلَّ، وسأحاول بقدر جهدي ما استطعت أن أبقى مستحضرًا عظمة ربي تبارك وتعالى، وأن أكون له ذاكرًا، وعدٌ يا رب، وعهدٌ بيني وبينك، اليوم لن أنسى ذكرك الكريم يا رب العالمين، وليكن ما يكون، اليوم عقدت النية، وعلى الله تعالى التوفيق والثبات، واليوم سأحفظ ربعًا، اليوم سأقرأ ثلاثة أجزاء، اليوم سأصوم، اليوم سأتصدق ببعض مالي، وهكذا كل يوم تسأل نفسك:- ماذا سأعمل اليوم؟ فيكون لك خطة عمل واضحة، فتنجز كل يوم شيئًا جديدًا، فيصبح لحياتك معنى.

*- يقول ابن القيم:- " العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة سفره هي عمره الذي كتب له، فالعمر هو مدة سفر الإنسان في هذه الدار إلى ربه تعالى، ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره، فكل يوم وليلة من المراحل فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر.

*- فالكيّسُ الفطنُ هو الذي يجعل كل مرحلة نصب عينيه، فيهتم بقطعها سالمًا غانمًا، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه، ولا يطول عليه الأمد فيقسو قلبه ويمتد أمله، ويحضره بالتسويف والوعد والتأخير والمطل، بل يَعِدُّ عمره تلك المرحلة الواحدة فيجتهد في قطعها بخير ما بحضرته، فإنه إذا تيقن قصرها وسرعة انقضائها هان عليه العمل وطوعت له نفسه الانقياد إلى التزود، فإذا استقبل المرحلة الأخرى من عمره استقبلها كذلك، فلا يزال هذا دأبه حتى يطوي مراحل عمره كلها، فَيُحْمَدُ سعيه ويبتهج بما أعده ليوم فاقته وحاجته، فإذا طلع صبح الآخرة وانقشع ظلام الدنيا، فحينئذ يحمد سراه وينجلي عنه كراه، فما أحسن ما يستقبل يومه وقد لاح صباحه واستبان فلاحه ".

*- إذًا نريد أن نجعل كل يوم وِحْدَةً مستقلةً نعيشها ونخطط لها في حينها، أما " غدًا " فلا علاقة لنا به، فحينما يأتي سنفكر له في حينه، وأما " أمس " فقد انقضى وانتهى فلا علاقة لنا به أيضًا، نحن الآن في " اليوم " ماذا سنصنع به، هل سنضيعه بالتفكير في " أمس " و " غد "، أم أننا سنجعل حياتنا وحدة مستقلة نعيشها يومًا بيوم لنريح ونستريح؟.

*- أخي في الله، إذا فاتتك صلاة بالأمس، فاعزم اليوم على ألا تضيع فرضًا في جماعة، بالأمس لم يكن في القراءة خشوع ولا فهم ولا تركيز، وكانت دماغك مشغولة، فتوكل اليوم على الله، وارمِ حمولك عليه لتصل إليه، وعش يومك الذي أنت فيه.

*- أنت ابن يومك، بل ابن وقتك الذي أنت فيه الآن، وارفع بناءه بأداء ما يرضي الله عزَّ وجلَّ، ويتقرب إليه، بحيث أنك لو متَّ في هذا اليوم دخلت الجنة اللهم ارزقنا الجنة يا رب.

*- ويقول ابن القيم أيضًا:- " السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجداد يوم المعاد، فعند ذلك يتبين حلو الثمار من مرها ".

*- فالموت أخي الحبيب الغالي عندما يأتي لا يستأذن على أحد، فكن دائمًا وأبدًا مستعدًا للقاء الله تبارك وتعالى بالتوبة، ورد الحقوق والمظالم، وغض البصر، وكف الأذى، وكظم الغيظ، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، وأداء الحقوق، والتقرب لله تبارك وتعالى بصالح الأعمال، ولله در القائل:-

يَا مَنْ بِدُنْيَاهُ اشْتَغَـــلْ قَدْ غَرَّهُ طُولُ الْأَمَـــلِ

الْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَـــــةً وَالْقَبْرُ صُنْدُوقُ الْعَمَـلِ

وَ لَمْ تَزَلْ فِي غَفْلـــَةٍ حَتَّى دَنَا مِنْكَ الْأَجَـلُ

*- أخي في الله، وحبيبي في الله، أوصيك بوصية الإمام الموفق ابن قدامة رحمه الله إذ يقول:- " فاغتنم يرحمك الله حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكل نفس ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها ولا خلف منها، فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم أو العذاب الأليم، وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد، علمت أن كل نَفَسٍ يعادل أكثر من ألف ألف عام في نعيم، وما كان هكذا فلا قيمة له، فلا تضيع جواهر عمرك النفيسة بغير طاعة أو قربة تتقرب بها، فإنك لو كان معك جوهرة من جواهر الدنيا لساءك ذهابها، فكيف تفرط في ساعاتك، وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض؟!.

*- وعن عمر بن ذر أنه كان يقول:- " اعملوا لأنفسكم رحمكم الله، فهذا الليل وسواده، فإن المغبون من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، وإنما جعلا سبيلًا للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالًا للآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بذكره، فإنما تحيا القلوب بذكر الله عزَّ وجلَّ، فكم من قائم لله جلَّ وعلا في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومته، عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدًا، فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله، وراقبوا الله جلَّ وعلا في كل لحظة، وداوموا شكره ".

*- فلذلك أطالبك أخي في الله لكي تصل إلى رضوان الله ﷻ بأمر مهم:- هو أن تحصل لك عزلة شعورية تمامًا عن المستقبل وما يجرى فيه، لأنك لا تعلم الغيب، قال ربنا ﷻ:- { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا }،(لقمان:- ٣٤).

*- ولا تخف من المستقبل فالله معك يعينك، وهو سبحانه وتعالى لا يضيع عباده الصالحين كما عزَّ وجلَّ:- { إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ }،(الأعراف:- ١٩٦)، فدع عنك همَّ غدٍ لغدٍ، فرزقُ غدٍ عند ربك، ولربما جاء " غدٌ " فلم يجدْكَ، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة.

*- فالزم يومك الذي أنت فيه، وابذل قصارى جهدك في أن تجعل من هذا اليوم مطية للوصول إلى الله تعالى، فقد يكون آخر يوم لك في هذه الحياة، فيومك يومك يا طالب الوصول.

*- يقول ابن القيم رحمه الله:- " هلمَّ إلى الدخول على الله ومجاورته في دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها، وذلك أنك في وقت من بين وقتين وهو في الحقيقة عمرك، وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل، فالذي مضى ومضةٌ تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق، وإنما هو عمل القلب، وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة، ليس هو عملًا بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك، فما مضى تصلحه بالتوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس للجوارح في هذين نصب ولا تعب، ولكن الشأن في عمرك، وهو وقتك الذي بين الوقتين، فإن أضعته

أضعت سعادتك ونجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين الذي قبله وبعده بما ذكرت، نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم ".

*- وهذه خلاصة الكلام أيها السائر الحبيب:- ‘‘يومـــــــــك يومـــــــــــك’’.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل السابع:- ‘‘وليسعـــــــــــــك بيتـــــــــــــــــك’’

*- قال رسول الله ﷺ لمن سأل عن النجاة:- "أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك"، [صححه الألباني]، وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما:- " أخسر الناس صفقةً مَنِ انشغل بالناس عن نفسه، وأخسرُ منه صفقةً منِ انشغل بنفسه عن الله ".

*- وقال بعض السلف:- " علامة إعراض الله عن العبد انشغاله بما لا يعنيه "، وقال بعض السلف أيضًا:- " علامة الإفلاس كثرة الحديث عن الناس ".

*- وقال ابن الجوزي:- " إذا رأيت نفسك تأنس بالخلق وتستوحش من الخلوة فاعلم أنك لا تصلح لله".

*- وقال ابن قدامة:- " إذا رأيت الناس يعجبون بك، فاعلم أنهم إنما يعجبون بستر الله عليك، فلا تَذُبَّ عن الناس الذباب وحجرك مملوء بالعقارب ".

*- مصيبة عصرنا الانشغال بالناس، ومن الانشغال بغير الله الانشغال بوسائل الإعلام والجرائد والمجلات والتلفاز، وللأسف الشديد بدأ بعض الإخوة يقتني التلفاز، بل ويقضي كل وقته في مشاهدة ما لا فائدة فيه، بل هو في الحقيقة وبال ودمار على المسلم، يشاهد ما لا يجوز ولا يحل مشاهدته، ويسمع ما لا يجوز سماعه، ويستمتع بما حَرَّمَهُ الله تعالى عليه، وهذه والله نكسة، نعم والله إنها نكسة، قال العلماء:- الفتنة أنْ تَسْتَحِلَّ ما كنتَ تراه حرامًا، فالذي كان في اعتقاده أن التلفاز حرام وبدأ اليوم يدخله

بيته، وبدأ يشاهد جميع برامجه، وأفلامه، ومسلسلاته، ويتابع جميع قنواته بلا ضابط، ولا رادعٍ، ولا مراقبة لله عزَّ وجلَّ فهو والله مفتون كما ذكرنا.

*- وتجده يقول:- أنا أدخلته بيتي لمتابعة نشرة الأخبار لأعرف أحداث العالم، وأشاهد بعض القنوات المفيدة، إعلم يا أخي الحبيب الغالي:- أن الجلوس اليوم أمام نشرات الأخبار بغير ضوابط فتنة، نعم:- فتنة، لأنك قد تنشغل بالعالم عن نفسك، وقد تنظر إلى ما لا يحل لك النظر إليه.

*- أخي الحبيب الغالي:- حاسب نفسك قبل أن تحاسب، وتدبر ما أقول لك، وقف مع نفسك وقفة رجل يريد لها النجاة، انشغل بنفسك وأهل بيتك، قال الله تبارك وتعالى:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا }،(التحريم:- ٦).

*- نعم:- إن انشغالك بنفسك هو الأصل، قال الله تبارك وتعالى:- {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ }،(النساء:- ٨٤)، وقال تبارك وتعالى:- {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى }،(الأنعام:- ١٦٤).

*- **فالأصل في الإسلام:- ''انج بنفسك أولًا''**

*- أيها الأخ الكريم:- سؤال واضح ومحدد وصريح ويحتاج إلى إجابة قاطعة:- كيف حالك مع الله؟.

*- أسألك في التو واللحظة:- الآن، هلِ اللهُ راضٍ عنك؟ أجب ولا تكن مغرورًا؟ لو مت اليوم في لحظتك هذه، هل ستكون مع النبي الحبيب سيدنا محمد ﷺ في الجنة؟!، هذه هي القضية التي أقصدها، أن تجعل نفسك قضيتك، ورضا ربك عنك هو موضوعك.

*- نعم إخوتي في الله، وأحبتي في رسول الله ﷺ:- كلنا مشغولون، ولكنَّ معظم شغلنا وحديثنا عن الآخرين، كما أن باقي وقتنا هو الشعل بأنفسنا وليس بالله رب العالمين، وهذه والله هي المشكلة الكبيرة، والمعضلة الصعبة، أننا لم ننشغل بالله تبارك وتعالى، بل انشغلنا بالأمور التافهة التي لا قيمة ولا وزن لها عند الله رب العالمين، فشغلنا للأسف الشديد ليس بالله تبارك وتعالى، بل إن شغلنا بأتفه الأمور وأخسها وأحقرها، وأكثرها ندامة يوم القيامة، حتى أن الجزء اليسير الذي ننشغل فيه بأنفسنا لنصلحها لا يكون لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فاللهم ارزقنا الإخلاص واجعلنا من أهله، لذلك لا تغتر بعبادات تؤديها، وقربات

تقوم بها، وطاعات تقدمها، وعبادات تغتر بصورها وهي في الحقيقة من الفتن لعدم إخلاص النية والقصد فيها لله رب العالمين.

*- أيها الإخوة الكرام، أيها الأحبة في الله تعالى:- تأملوا معي هذه القصة:- خرج رجل من الجهلاء إلى الخلاء يعبد الله تعالى، فوجد في الصحراء على الأرض غرابًا أعمى مكسور الجناح، فوقف يتأمل:- سبحان الله! غراب أعمى مكسور الجناح وفي صحراء! من أين يأكل ويشرب وكيف يعيش؟! فبينما هو ينظر إذ جاء غراب آخر فوقف ففتح الغراب الأعمى فمه، فأطعمه الغراب الآخر في فمه وسقاه حتى شبع تعجب الرجل وقال:- سبحان الله!، والله لقد أراني الله تعالى آية، أبعدَ هذا أسعى من أجل الرزق.

*- وأوى إلى كهف فأقام فيه، فسمع به عالم فسأل عن مكانه، فقالوا:- أوى إلى كهف يتعبد، فمضى إليه وقال له:- ما الذي حملك على ما صنعت؟ فحكى له قصة الغراب، فقال له:- سبحان الله! وَلِمَ رضيت أن تكون الأعمى؟!.

*- سبحان الله العظيم، كم في هذه القصة من فوائد! منها:- تصديق حديث رسول الله ﷺ:- " نَضَّرَ اللهُ امرءًا سمعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ "،[صححه الألباني].

*- فالله أرى الآية للرجل الأول، وأما الثاني فسمع بها فقط ولكنه انتفع بها أكثر من الأول، فكان أفضل من الأول، فَلِمَ لَا تكونُ الأفضل؟!.

*- لماذا ترضى أن تكون الأعمى؟!، وَلِمَ لا تكونُ أنت المبصر وتطعم العميَ؟!، لِمَ ترضى الدنية؟!، لِمَ تؤثر النوم والكسل؟!، هذا هو الواقع الآن في الأمة، فشبابها اليوم يفضلون العمى، يريدون أن يناموا وغيرهم يعمل لهم، ينتظرون من يحمل عنهم همومهم، ويحل لهم مشاكلهم.

*- نعم إخوتي الكرام:- إن الكثير منا يطالب دائمًا بحقوقه ولا يلتفت إلى واجباته، فقبل أن تطالب بحقك أدِّ ما عليك من واجب، ولا شكَّ أن أول الواجبات علينا أنفسنا، وللأسف الشديد تجلس مع بعض الإخوة فتجد أحدهم يقول:- أنا خائف على الأخ فلان، لأنه ظلَّ أيامًا لم يصلِّ الفجر، أقول له:- خف أنت على نفسك.

*- نعم:- لا مانع من أن نخاف على إخواننا، ولكن لا ينبغي أن ننشغل بعيوبهم، قال رسول الله ﷺ:- " يرى أحدكم القذاة فى عين أخيه، ولا يرى الجذع في عين نفسه "،[موقوف على أبي هريرة].

*- فإذا كنت يا هذا صادقًا في كلمتك:- " أخاف على فلان "، فاذهب إليه سِرًّا، وابحث عنه لعله متورط في مشكلة، لعل له عذرًا، إذهب إليه وساعده على القيام للصلاة، وإلا فَاكْفِهِ شَرَّكَ، ولا تُعِنِ الشيطان عليه، وانشغل بنفسك فهذا أولى بك.

*- الزم نفسك وألزمها طاعة الله تعالى، احمل هم نفسك، فهذا أصل من الأصول المهمة، وليسعك بيتك، انشغل بإصلاح قلبك، وأمر صلاتك، وذكرك لله، وحفظك للقرآن، وتعلمك للعلم، ودعوتك إلى الله، وتربية أولادك وأهل بيتك على الكتاب والسنة، وليسعك بيتك، ولكن ما أحسن وأجمل أن تكون مع الجماعة الصالحة، والرفقة الطيبة، لأن المرء على دين خليله، وعليكم بالجماعة ومن شَذَّ شَذَّ في النار كما أخبر بذلك سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وإلا إن لم يكن هناك جماعة صالحة، ورفقة طيبة تذكرك بالله تعالى، وتعينك على طاعته، وتقوي عزيمتك، وتشحذ همتك، فالزم بيتك أخي الحبيب الغالي.

*- وذلك لأن وصل الأحبة فرض على كل مؤمن صادق يريد الوصول إلى حضرة الحق تبارك وتعالى، وفي هذا المعنى يقول بعض الصالحين:-

واستغنم الوقت واحضر دائمًا معهم واعلم بأن الرضا يختص من حضرا

*- ويقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-

وصل الأحبة فـــــــــــــرض بعشيـــــــــــــة وغـــــــداة

وجليسهم فـــــي حـــــــــرز من صاحـــــــب الهمـــــــــزات

بل إنـــــــه فـــي ذكـــــــر وتعبـــــــد وصـــــــــــلاة

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلٌ وأعلم.

*- الأصـــــل الثامـــــــن:- ‘‘الصـــــــــــادق حبيـــــــــب الله’’

*- أريد أن أسألك سؤالًا، وأجبني بكل صراحة:- بالله عليك، هل تريد أن تدخل الجنة أم تود أن يكون معك اليوم مليونًا من الدولارات؟!، لا تُجِبِ الآن لأنك ستكذب، ربما تقول:- الاثنين، نجمع بين الخيرين، أعطني المليون وأدخلني الجنة أيضًا، أقول:- لا، لا يكون، فالقضية إما دنيا وإما آخرة، كما قال رسول الله ﷺ:- " إن الآخرة قد تولت مقبلة، وإن الدنيا قد تولت مدبرة، ولكل منهما بنون، فكونوا أبناء الآخرة، ولا تكونوا أبناء الدنيا ".

*- من انشغل بدنياه أضرَّ بآخرته، ومن انشغل بآخرته أضرَّ بدنياه ولا بد.

*- شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث قال:- " لازمت الحديث فأفلست، ولزم أخي فلان دكانه فأنجح وأفلح "، وقال:- " فلان " ظل يتاجر حتى أصبح صاحب ملايين، أما أنا فطلبت العلم وليس عندي الآن أي شيء.

*- ولذلك قال الإمام الشافعي:- " لا يصلح لطلب هذا العلم إلا رجل ضربه الفقر، قالوا:- ولا الغني المكفّي؟ قال:- لا، يعني:- حتى من كان عنده مال يكفيه لا يصلح لطلب العلم، ولأجل ذلك أقول بدون مبالغة:- كلكم غير صالحين لطلب العلم، لأننا يا أحبابي أصحاب دنيا، فلنكن صادقين وواضحين وصرحاء، فلو كنا نطلب الله لرضينا بالكفاف.

*- هل تعلمون أحبتي الكرام:- من هو صاحب الدنيا، ومن هو صاحب الآخرة؟

*- أجاب على هذا السؤال فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي إجابة في قمة الروعة والجمال، فقال:- ‘‘ إذا جاءك رجل وأعطاك مائة جنيه مثلًا، وجاء رجل آخر وطلب منك مائة جنيه، فبأيهما يكون فرحك أكثر وأشد؟ فإن كان فرحك بالأخذ { أي بمن أعطاك الماية جنيه، أي بإقبال الدنيا عليك فأنت من أهل الدنيا}، وإن كان فرحك بالإعطاء أكثر، أي بالبذل في سبيل الله تعالى، فأنت والله من أهل الآخرة، لأن ما أنفقته في سبيل الله عزَّ وجلَّ هو الباقي لك في صحيفتك يوم القيامة عند الله تبارك وتعالى، يوم لا ينفع مال ولا بنون’’.

*- أَمَّا خاصة الخاصة من المؤمنين الصادقين يطلبون رب الدنيا والآخرة، ولا يريدون سوى الله تبارك وتعالى، حتى أن بعضهم سمع قارئًا يقرأ قول الله تبارك وتعالى:- {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ}،(آل عمران:-١٥٢)، فصاح بأعلى صوته وقال، وأين الذين يريدون الله، أين الذين يريدون الله.

*- بَقِيُّ بن مخلد ذلكم العالم تلميذ الإمام أحمد، لما اشتكى إليه الطلبة الفقر، قال:- والله لقد جاء عليَّ يوم بعت فيه سروالي لأشترى الكاغد { أي الورق }، وقال:- ولقد كانت تمضي عليَّ أيام لا أذوق فيها طعامًا، فأنتقل بين المزابل آكل ورق الكرنب الذي يلقيه الناس، نعم:- هذا هو طالب العلم، وهذه هي الآخرة، وهؤلاء هم الصادقون.

*- قال رسول الله ﷺ:- " طوبى لمن هدي للإسلام، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه"،[صححه الألباني].

*- وقال ﷺ:- " اللهم اجعل طعام آل محمد قوتًا "،[البخاري]، وكان ﷺ لا يدخر لغد.

*- إخوتي الكرام:- ما المقصود بالصدق؟، لأن الناس اليوم قد صغروا قضية الصدق جدًّا، فعندما يأتي أحد ليتكلم في الصدق تنصرف الأذهان إلى قول الحق وصدق اللسان فقط، والصدق معنى أكبر من ذلك بكثير، نعم:- فنحن في زمن تصغير الكبير، وتصغير الكبائر والقضايا الكبيرة، وتكبير الأصاغر والمسائل الصغيرة، والصدق أكبر مما تظنون.

*- الصدق أحبتي الكرام:- الصدق هو الإسلام، الصدق هو الدين كله، قال سبحانه وتعالى:- { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }،(الزمر:- ٣٣).

*- وقال ربنا عزَّ وجلَّ:- { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }،(البقرة:- ١٧٧).

*- فبعد أن ذكر الله أركان الإيمان أركان الاسلام، قال:- { أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا }، إذًا فالصدق هو الدين كله، والتقوى أيضًا تشمل الدين كله، فكل طاعة تقوى.

*- لكنَّ أعزَّ أنواع الصدق:- صدق العزم، قال تبارك تعالى:- { طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ }،(محمد:- ٢١)، هذه الآية مبهرة، اقرأها ثانية، هل فهمتها؟.

*- أسألك بالله تعالى عليك:- هل لديك رغبة في دخول الجنة؟ هل لديك استعداد لقيام الليلة من أولها لآخرها، وتصبح صائمًا، وتتصدق بنصف ما تملك من مال؟، تقول:- نعم، إن شاء الله، وهذا ما يقوله الله في الآية، ''طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ''، فترى هذا الشخص يسمع الكلام فيتكلم كلامًا جميلًا، فإذا عزم الأمر، أتدري ما معنى هذه النقاط؟!، أي إذا عزم الأمر لم تجد أحدًا، ''فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ''.

*- يقول المولى تبارك وتعالى:- { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ }،(النور:- ٥٣) .

*- فهناك في كتاب الله تبارك وتعالى '' آيات فاضحة ''، تفضح البواطن وتظهر الحقائق وتجلو الخفايا السيئة والرديئة، آيات تحس حين تقرؤها أنها تتكلم عنك أنت وتوجه أصابع الاتهام إليك وهذه الآية منها، آية فاضحة فعلًا، فوقتُ الكلام تجدهم، ولكن وقت الجد والتنفيذ ما تجد أحدًا على الإطلاق، اللهم استرنا ولا تفضحنا، اللهم عافنا ولا تبتلنا، اللهم تب علينا يا رب العالمين اللهم إنا نسألك أن ترزقنا الصدق والإخلاص، اللهم ارزقنا صدق العزم معك يا الله يا رب العالمين، اللهم آمين.

*- إخوتي الأحباب:- اصدقوا في عزمكم مع الله، وكونوا على استعداد للوفاء بهذا العزم، فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال، إذ لا مشقة في الوعد والعزم، فإذا حقت الحقائق، وهاجت الشهوات، انحلت العزيمة ولم يتحقق الوفاء بالعزم، قال سبحانه وتعالى:- { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا }،(الأحزاب:- ٢٣).

*- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه:- " عمي أنس بن النضر سميت به لم يشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ فَكَبُرَ عليه فقال:- ''أول مشهد قد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه!!، أما والله، لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، قال:- فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد من العام المقبل، فاستقبل سعد بن معاذ، فقال:- يا أبا عمرو إلى أين؟، تنبيهًا على خطئه في

الانهزام والفرار، ثم قال أنس:- واهًا لريح الجنة!!، أجدها دون أحد، فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون، من بين ضربة وطعنة ورمية، قالت عمتي.. ‘‘الربيع بنت النضر’’:- فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية:- { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا }،(الأحزاب:- ٢٣)،[متفق عليه]، لله دره من صادق رباني!! يجد حلاوة العمل قبل الشروع فيه، يجد ريح الجنة قبل أن يقاتل!، وما ذاك إلا لصدقه في الوفاء بالعزم.

*- أيها الإخوة الأحباب:- من الشواهد القوية على الصدق في قصة أصحاب الأخدود:- أن الولد حينما تعلم من الراهب التوحيد وتعلم من الساحر الكفر، كان في داخل قلبه إرادة صادقة في معرفة الحق، ولديه ميول فطرية للراهب، لكنه يريد أن يكون لديه يقين أن ما هو عليه هو الصواب.

*- فقال حين رأى دابة تقطع طريق الناس:- ‘‘اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك فاقتل الدابة ودع الناس يمشون، فلما كان صادقًا في طلب الحق أراه الله آية، وهذه نقطة مهمة جدًّا، أنه صدق فعرفه الله الحق فعرفه وسار عليه وثبت، فَشُقَّ شيخُهُ أمامه نصفين، وَشُقَّ صديقُهُ أمامه نصفين، وَصُعِدَ به إلى الجبل وَأُدْخِلَ إلى البحر وهو في منتهى الثبات، وعلامة الصدق أنه دلَّ الملك كيف يقتله!! قال الغلام للملك:- لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، خذ سهمًا من كنانتي وضعه في كبد قوسك ثم قل:- بسم الله رب الغلام، حينذاك تقتلني، إذًا فالغلام هو الذي دلَّ الملك كيف يقتله، وَلِمَ ضَحَّى بنفسه في سبيل القتل؟!، حتى يسمع الناس كلمة:- بسم الله، حتى يعرف الناس أن لهم معبودًا اسمه الله، هذا هو الصدق.

*- شاهدٌ ثانٍ في الصدق من نفس القصة، أن الراهب لما جاءه الغلام وقال له:- كانت دابة تعترض طريق الناس فرميتها فقتلتها، قال له الراهب:- أي بُنَيَّ، أنت اليوم أفضل مني، صَدَقَ، فلمْ يُخْفِ تلك الأفضلية، حتى الساحر كان صادقًا مع نفسه، تعلمون أن الساحر كذاب كبير، ولكنه كان صادقًا مع نفسه، حيث قال للملك:- إنى كبرت، فأبلغني غلامًا أعلمه السحر يكن لك من بعدي، الساحر يقول:- أنا سأموت، لم يداهن نفسه، وإن كان يداهن الناس.

*- إذًا فالغلامُ صدقَ فعرفَ، والراهبُ صدقَ فلمْ يُخْفِ، والساحرُ صدقَ فلمْ يداهنْ نفسه.

*- وإن كنت تعجب من قولنا:- " صدق الساحر مع نفسه، فالعجب أكثر لمن لم يصلوا حتى إلى تلك الدرجة " الصدق مع النفس "، هؤلاء الذين يداهنون حتى على الواقع، إن بعضنا وللأسف الشديد يكذب الكذبة فتكبر فيصدقها، يلتزم بالكذب فتكبر الكذبة، وينسى أنه هو الذي كذبها في الأصل، فيعيش كذبة"، شيخ " أو " ملتزم "، تمامًا كالذى في يده بعرة يتأفف منها، ولكن الناس ظنوها تمرة، فقالوا:- تمرة، تمرة لذيذة في يده فأكلها!، نعم:- أكلها لمهانة نفسه.

*- قال محمد بن كعب:- إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه عليه.

*- قال بعضهم:- لأنه لا يشم رائحة الصدق فداهنَ نفسه أو غيره.

*- أيضًا من القصص الطريفة:- أنه كان هناك رجل أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ومعه خطاب، فكان يمشي في الشارع فأعطى الخطاب لرجل يقرؤه له، لكن هذا الرجل كان ضعيف النظر، فحاول أن يقرأ فلم يستطع، فأخرج نظارته وقرأه له وقعد يفهمه الموضوع، فقال الأمي في نفسه متعجبًا:- النظارة فعلت كل هذا!، وقال للرجل:- ما هذه النظارة العجيبة؟!، قال له:- هذه نظارة للقراءة، فذهب واشترى نظارة للقراءة ولبسها وأخذ ينظر بها ولا يستطيع القراءة!!، ونسي أن القضية ليست في النظارة، القضية في الدماغ التي وراء النظارة، أفهمت ما أقصد؟!.

*- فبعض الناس يعتقد أنه طالما أطال لحيته، وقصَّرَ ثوبه، وحمل السوك في يده، وقرأ كتابين، واستمع لبعض الشرائط، وحضر بعض الدروس قد أصبح " الإمام "، بل أصبح مفتي عصره وزمانه، فأصبح يفتي بلا علم، ولا ورع ولا مخافة من الله تبارك وتعالى، فلا يفتي على بصيرة ولا تقوى لله تعالى في فتواه، ففتواه على هواه، وما تُسَوِّلُ له به نفسه، وهذا معظم مشايخ هذا الزمان، فإننا لله وإنا إليه راجعون، لا يا بنيَّ، القضية في القلب الذي وراء النظارة، في القلب الذي وراء المظهر، نعم إخوتي الأحباب:- لابد أن يوافق المظهر المخبر، وإلا كنا كذابين غشاشين مخادعين لأنفسنا قبل الناس.

*- قال عبد الواحد بن زيد:- '' كان الحسن البصري إذاَ أَمَر بشيء كان من أعمل الناس به، وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له، ولم أرَ أحدًا قط أشبه سريرة بعلانية منه.

*- وكان أبو عبدالرحمن الزاهد يقول:- إلهي.. عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة، وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة، ويبكي.

*- وقال أبو يعقوب النهرجوري:- الصدق موافقة الحق في السر والعلانية.

*- أحبتي الكرام:- اصدقوا في أعمالكم مع الله، " فمخالفة الظاهر للباطن عن قصد هي الرياء، وإن كانت عن غير قصد يفوت بها الصدق، فقد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفًا بذلك الوقار، فهذا غير صادق في عمله، وإن لم يكن مرائيا ".

*- سؤال:- هل تحب أن ينصر الله الإسلام؟، أرأيت لو أن جميع أمة سيدنا محمد ﷺ كل أمة سيدنا محمد ﷺ مثلك، لو أن الأمة كلها الصغار والكبار مثلك بالضبط، بذنوبك وعيوبك وإيمانك وأعمالك هل تنصر الأمة؟!، الأمة تنصر بالإخلاص، اللهم اجعلنا من المخلصين.

*- هل تصلح أنت للنصر؟!، لا يمكن، وإلا فلو قلت:- نعم، فأنت مغرور جدًّا، إذًا أقول لك:- إن قولك:- إنك تحب أن ينصر الله الإسلام كذب، أول نصرٍ للدين أن تصلح نفسك من هنا البداية.

*- ولذا، فحينما أقول لك:- هل تصلح أن تكون عبدًا حقيقيًّا بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، أي عبدًا لله تبارك وتعالى بكل حقٍّ وصدقٍ لله رب العالمين؟، أما علمت أخي الحبيب الغالي أن مرتبة العبودية لله عزَّ وجلَّ هي مرتبة جميع الأنبياء والمرسلين، ولله در القائل:-

ومما زادني شرفًا وتيهـــــــًا وكدتُ بأخمصي أطأُ الثريـــــــا

دخولي تحتَ قولِكَ يا عبادي وأنْ صيرتَ أحمدَ لي نبيـــــــا

*- فالله تبارك وتعالى حينما أثنى على أنبيائه الكرام عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام، فقال:- {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}،(ص:-٤٥)، وهكذا مع سائر أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام.

*- فها هو المولى تبارك وتعالى يخبرنا عن عبودية سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام، وعن جميع الملائكة فيقول:- {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا }،(النساء:-١٧٢).

*- أما علمت أن سيدنا وحبيبنا رسول الله محمد ﷺ خاطبه ربه تبارك وتعالى بلفظ العبودية في أجلِّ المقامات وأشرفها، فخاطبه بلفظ العبودية في مقام الإسراء فقال:- {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ}،(الإسراء:-١)، وخاطبه بها في مقام الوحي فقال:- {فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ}،(النجم:-١٠)، وخاطبه بها في مقام التبليغ فقال:- {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا }،(الجن:-١٩)، وأن حبيبنا ﷺ كان يفتخر بعبوديته لله عزَّ وجلَّ فكان يقول:- { آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد }، ولله در شيخنا إذ يقول:-

أنت في المقام عبد ذليل وحرام على العبيد وصف التعالي

*- فأنت يا أخي الحبيب '' عبد ذليل في المسير وفي المقيل''.

*- فلا تقل:- الله المستعان وتنصرف، لا فكلمة " الله المستعان " هذه تحتاج إلى شغل، تحتاج إلى علم وعبادة، تحتاج إلى صلة بالله، تحتاج إلى جهد ليل نهار، فإن كنت صادقًا مع الله فتعال إلى هنا واحفر لنفسك خندقًا، احفر بنفسك، احفر واتعب، فأمر الدين يحتاج إلى شغل وسهر وجهاد، فاصدق ولا تكن كذابًا.

*- الإمام النووي لما جاءه الموت قالوا له:- لِمَ لمْ تتزوجْ؟، قال:- لو تذكرت لفعلت، نسيتُ، والإمام ابن تيميّة أيضًا مات ولم يتزوج أيضًا نسي، سبحان الله العظيم!، نسوا الزواج، تلكمُ القضية التي تكاد تطيش بعقول الشباب اليوم، والملتزم منهم على الخصوص.

*- نعم:- فمن يوم أن يلتزم الشاب لا تجد شيئًا في رأسه يفكر فيه ليل نهار إلا الزواج، فصار الزواج شغله الشاغل وهمه الدائم، ولذلك أصبح الزواج عقبة، فتراه إن رأى منتقبة قال:- أتزوج هذه، لا لا، بل هذه، وهكذا، ليس هؤلاء المؤمل لهم أن يكونوا رجالًا، فهل هؤلاء هم الذين سيحملون الدين؟!، هل هؤلاء

هم الذين سينصر الله بهم الدين؟!، وأين الرجال؟!، بل أين أنصاف الرجال؟!، بل أين أين أشباه الرجال؟!، يا حسرة على الرجال!!.

*- إخوتي الأحباب:- إن الله ينصر الدين برجال قضيتهم الدين، ''رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ''.

*- رجال لا يعرفون إلا الله، رجال يحبون الله ويحبهم، رجال صادقون فعلًا.

*- إخوتي الأحباب الكرام:- اصدقوا الله في استقامتكم، استقيموا بصدق ولا تلتفتوا إلى غير الله.

ولله درُّ إذ الشاعر يقول:-

أردناكم صرفًا فلمّا مُزِجْتُـــــمْ بعدتم بمقدار التفاتكـــم عنّا

وقلنا لكم لا تُسْكِنُوا القلبَ غيرنا فأسكنتمْ الأغيار، ما أنتم منّا

*- قال جعفر الصادق:- الصدق هو المجاهدة، وأن لا تختار على الله غيره، كما لم يختزْ عليك غيرك، قال الله تبارك وتعالى:- { هُوَ اجْتَبَاكُمْ }،(الحج:- ٧٨) .

*- والصدق إخوتي الأحباب:- مفتاح الصّدّيقية، وأعلى مراتب الصدق:- كما جاء فى الحديث:- " وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقا "،[متفق عليه]، فالصدق مفتاح الصديقية، ومبدؤها وهي غايته، فلا ينال درجتها كاذب البتة، لا في قوله، ولا في عمله، ولا في حاله، قال الله تبارك وتعالى عن أبي بكر رضى الله عنه:- { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }،(الزمر:- ٣٣).

*- وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- والذي نفسي بيده، إن الله سَمَّى أبا بكر في السماء صِدِّيْقًا.

*- فالذي جاء بالصدق:- هو الذي شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله.

*- فالصدق:- في هذه الثلاثة أمور، وهي كما يلي:-

*- فالصدق في الأقوال:- استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها.

*- والصدق في الأعمال:- استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

*- والصدق في الأحوال:- استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق.

*- وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به، تكون صديقيته، ولذلك كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ذروة سنام الصديقية، سُمِّيَ:- " الصِّدِّيْقُ " على الإطلاق ، و" الصِّدِّيقُ " أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق، فأعلى مراتب الصدق:- مرتبة الصّدّيقية، وهي كمال الانقياد للرسول صلى الله عليه وسلم، مع كمال الإخلاص للمرسل.

*- قال ابن القيم:- " قال شيخنا:- والصّديق أكمل من المحدّث، لأنه استغنى بكمال صديقيته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف، فإنه قد سلم قلبه وسره وظاهره وباطنه للرسول ﷺ، فاستغنى به عما منه.

*- قال:- وكان هذا المحدّث يعرض ما يحدّث به على ما جاء به الرسول ﷺ، فإن وافقه قبله، وإلا ردّه، فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث ".

*- والفهم عن الله ورسوله ﷺ عنوان الصديقية، ومنشور الولاية النبوية، وفيه تفاوت مراتب العلماء، حتى عدّ ألف بواحد.

*- أخي في الله، وحبيبي في رسول الله ﷺ:- الصادق حبيب الله، فهل تريد الله أم تريد الدنيا؟، هل تريد الجنة أم تريد شهواتك؟، تريد الرّفعة فى الدنيا أم تريد المنزلة العليا في الجنة؟، هذه قضية تحتاج منك أن تكون صادقًا فيها،فاصدق الله ، فقد قال رسول الله ﷺ:- " اصدق الله يصدقك "،[صححه الألباني].

*- قال أبو سليمان:- اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك، والله تبارك وتعالى غاية طلبتك.

*- وقال ذو النون المصري:- الصدق سيف الله في أرضه ما وضع على شيء إلا قطعه.

*- وقيل:- من طلب الله بالصدق، أعطاه الله مرآة يبصر منها الحق والباطل.

*- وقال محمد بن سعيد المروزي:- إذا طلبت الله بالصدق، آتاك الله تعالى مرآة بيدك، تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة.

*- وقال أبو سليمان:- "من كان الصدق وسيلته، كان الرضا من الله جائزته "، فاصدق الله – أخيًا الحبيب الغالي فالصادق حبيب الله.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل التاسع:- ‘‘تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرخـــــاءِ... يَعْرِفْكَ في الشِّـــــدَّةِ’’

*- فليكن شعارك في المعاملة مع الله جلَّ جلاله:- دائمًا:- ‘‘تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ... يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ ’’.

*- قال الله تبارك وتعالى:- { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ }،(سورة المائدة:- ٤٩).

*- وأنت سائر في طريقك إلى الله تفاجأ بأنك قد تعثرت عليك طاعة مثلًا، لست قادرًا على قيام الليل وتسأل ما السبب؟!.

*- قال سفيان:- اغتبتُ إنسانًا فَحُرِمْتُ قيام الليل شهرًا، وقال بعضهم:- أصبت ذنبًا فأنا منذ أربع سنين إلى ورا، أربع سنين في النازل بسبب ذنب، قال الله تعالى:- { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا }،(آل عمران:- ١٥٥).

*- وقال رسول الله ﷺ:- "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك فى الشدة "، "هذا هو أصل هامٌ جداً من أصول الوصول إلى مرضاة الله عزَّ وجلَّ في الطريق ".

*- فلا بد أن يكون لك عند الله رصيد سابق من الخيرات يثمر خيرات جديدة، يقبلك الله بكلتيهما ويكونان رصيدًا لك في المستقبل.

*- وهكذا كما قال الله تبارك وتعالى:- { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ }،(محمد:- ١٧)، فكلما ازدادوا هدى آتاهم تقوى، وكلما ازدادوا تقوى زادهم هدى.

*- إن التعامل مع ربنا الكريم عظيم، وكلما كان رصيدك عنده أعلى كان رزقك منه في الخيرات أوفر.

*- انظر إلى الثلاثة الذين نزلت عليهم الصخرة في الغار، لما كانوا في الأصل وأول الأمر مخلصين، بدليل أنهم توسلوا بأعمال كانوا فيها مخلصين، وفقهم الله للتوسل بها، يعني:- كي يوفقك الله فلا بد أن يكون لديك عمل، قال سبحانه وتعالى:- { وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }،(الأنعام:- ١٢٧)، فالولاية تحتاج للعمل، إذًا فحينما تأتي لتبدأ في التعامل مع الله تعالى فأنت تسحب من رصيدك السابق من أعمال عنده، من أعمال الخير والبر والطاعات والقربات ومحبة قيوم الأرض والسماوات، فتستجلب بها الزيادة والجديد.

*- والبداية لاشك تحتاج إلى معاناة، لذا يقول العلماء:- " من كانت له بداية محرقة، كانت له نهاية مشرقة "، فيجب أن تكون الانطلاقة الأولى قوية ومؤثرة وصحيحة.

*- قال أحد السلف:- عالجتُ قيامَ الليلِ عشرينَ سنةً، ثم تمتعتُ به عشرين سنة، وقال آخر:- حرستُ قلبي عشرين سنة فحرسني عشرين سنة، نعم:- لا بد دائمًا أن يكون رصيد من أعمال الخير والبر والطاعات والقربات عند قيوم الأرض والسماوات.

*- يقول بعض العلماء:- كنت مرة في سفر لبلد غربي فرأيت في المسجد شابًا قد امتلأ وجهه بنور الإيمان، فتعجبت من أن أجد في هذا الجو وجهًا يذكّرُ بالله، فقلت له:- من أنت وما الذي جاء بك إلى هنا؟، قال لي:- منذ شهر وأنا ماكث في المسجد لا أخرج، لماذا؟!، قال:- لأنني عندما سافرت إلى هذا البلد انبهرت، وطبعًا كنت أعيش في بلدي فى الكبت، فلما جئت إلى هنا وجدت الانفتاح، ولا أحد يقول لي:- أين تذهب أو من أين أتيت؟، فالحياة مفتوحة، فشربٌ للخمرِ وزنا وسرقةٌ وكلُّ شيءٍ مباح بلا ضوابط، حرية لا حدود لها، أي ليس هناك ضوابط شرعية تقيدها وتحددها.

*- يقول:- حتى مرضت مرضًا شديدًا جدًّ، كنت أظل أسعل حتى أسقط من على السرير وأنا في الشقة وحدي، وفي لحظة سعلت فوقعت فحاولت أن أقوم فلم أستطع، فقلت:- يا رب يا رب يا رب وبكيت، ثم أفقت وقلت:- يا رب!، لكن بأي وجه أنادي ربي؟!، فأنا لا أصلي ولا أصوم ولا أعرف ربنا، أقول يا رب بماذا؟!، قال:- وساعة أن وقعتْ في ذهني هذه الكلمة، ارتعشتُ وخرجتُ أجري بسرعة أبحث عن مسجد، فوجدت هذا المسجد فدخلت فيه ولم أخرج حتى الآن!.

*- فالذي أعجبني أحبتي الكرام:- من هذا الموقف هو كلمة هذا الشاب:- ‘‘أقول يا رب’’، لكن يا رب بِمَ؟!، ‘‘ ماذا لديَّ عند الله كي أدعوه ’’؟!، وهذا هو معنى:- " تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة "، هذا هو معنى الكلمة التى أقولها لكم دائمًا:- " إياك أن تبيعه فيبيعك ".

*- وهو أيضًا معنى حديث النبى ﷺ:- " وأما الثالث فأعرض، فأعرض الله عنه "،[أخرجه مسلم].

*- ومعنى قول الله عزَّ وجلَّ:- { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ }،(التوبة:- ٦٧).

*- فماذا قدمت وما رصيدك لكي تطلب؟!، وهل تريد من الله وأنت لست على ما يريد؟!.

*- قال ابن القيم عليه رحمة الله:- " كن لله كما يريد، يكن لك فوق ما تريد "، فليكن شعارك دومًا في المعاملة ‘‘ تعرف إلى الله في الرخاء... يعرفك في الشدة ’’.

*- عن الشعبي:- ‘‘أن قومًا من المهاجرين خرجوا متطوعين في سبيل الله، فنفق حمار رجل منهم، فأرادوه على أن ينطلق معهم فأبى، وانطلق أصحابه مرتحلين وتركوه، فقام فتوضأ وصلى، ثم رفع يديه فقال: اللهم إني خرجت من الدفينة (مكان بين مكة والبصرة) مجاهدًا في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وأشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، اللهم فأحيٍ لي حماري، ثم قام إلى الحمار فضربه، فقام الحمار ينفض أذنيه، فأسرجه وألجمه ثم ركبه، فأجراه حتى لحق بأصحابه، فقالوا له:- ما شأنك؟، قال:- شأني أن الله بعث لي حماري.

*- نعم:- هذا هو الرصيد الطيب، والعمل الصالح، وعمل الخير والبر الذي قدمه لله تبارك وتعالى في وقت السعة، في وقت الرخاء، ولذلك استجيب دعاؤه، وهذا معنى التوسل بالعمل الصالح، كما قال الله

تبارك وتعالى:- { رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ }،(آل عمران:- ١٩٣)، انظر إلى فاء الترتيب في قوله تعالى:- { رَبَّنَا فَاغْفِرْ }، أى نتوسل لك بسرعة استجابتنا لمناديك أن تستجيب دعاءنا.

*- وانظر إلى البراء بن مالك الذي لقي المشركين وقد أوجعوا في المسلمين، فقالوا له:- يا براء إن رسول الله ﷺ قال:- " إنك لو أقسمت على الله أبرك "، فاقسم على ربك، فقال:- ‘‘أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك، فمنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيدًا، نعم:- مجاب الدعوة.

*- يسأل ربه النصر للمسلمين، ولنفسه الشهادة، فيجاب وينالها، فيا سبحان الله العظيم يقسم على الله تعالى، فيجيب في التو واللحظة، نعم إخوتي في الله تعالى لأن له في الأصل رصيدًا عند الله تعالى من أعمال الخير والبر والقربات والطاعات ما يرضي قيوم الأرض والسماوات.

*- والواعظُ البرُّ عمر بن ذر قال عنه كثير بن محمد:- سمعت عمر بن ذر يقول:- اللهم إنا أطعناك في أحب الأشياء إليك أن تطاع فيه:- الإيمان بك، والإقرار بك، ولم نعصكَ في أبغض الأشياء أن تعصى فيه:- الكفر والجحد بك، اللهم فاغفر لنا بينهما، وأنت قلت:- { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ }،(النحل:- ٣٨)، ونحن نقسم بالله جهد أيماننا لتبعثنّ من يموت، أفتراك تجمع بين أهل القسمين فى دار واحدة؟، نعم:- قدم الطاعة والإ، وابتعد عما يغضب الرحمن، فحريٌّ أن يستجاب له.

*- وعامر بن عبد قيس الذي كان يسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه، فكان لا يبالي أذكرًا لقي أم أنثى، استجاب الله دعاءه، لأن له عند الله رصيدًا كبيرًا من الصالحات، فما رصيدك أنت أخي الحبيب الغالي، لكي تطلب من ربك مولى الموالي؟!.

*- حبيبي الغالي في الله تعالى:- هل أدلك على ما يزيد في رصيدك من الحسنات؟ ‘‘ القرآنُ، القرآنُ معينٌ لا ينضب، هو أفضل الذكر وأحسن الطاعات، فعضَّ عليه يساعدك في القيام بالصالحات‘‘، عملًا بقول الحبيب ﷺ:- { خيركم من تعلم القرآن وعلمه}.

*- أخي في الله، قدمْ صالحًا تجدْ صالحًا، املأ رصيدك بما يحبه الله عزَّ وجلَّ، لتجد الله تعالى قريبًا منك عند سؤاله، فليكن دومًا شعارك في المعاملة مع الله '' تعرف إلى الرخاء... يعرفك في الشدة''.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل العاشر:- ''القـــــــرآنُ قائـــــــــدٌ وسائـــــــقٌ وحـــــــادٍ''

*- قال الله عزَّ وجلَّ:- {وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا }،(الفرقان:- ٥١- ٥٢)، وجاهدهم بماذا؟، بالقرآن، كأن الله جَلَّ جلاله يشير في هذه الآية إلى أن هذا القرآن بديل من إرسال الرسل، فقد كفل الله به مهمة جميع الرسل، بأن يصنع القرآن رجالًا كالرسل.

*- يقول ربي تبارك وتعالى وأحق القول قول ربي عزَّ وجلَّ:- { وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ }، (العنكبوت:- ٥٠).

*- فقال الله تعالى:- { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }،(العنكبوت:- ٥١)، فهم يطلبون آية فعرفهم أعظم آية، وهي القرآن .

*- وقال رسول الله ﷺ:- " ما من نبي قبلي إلا وأوتي ما على مثله آمن البشر، وكان الذي أوتيته كتابًا يتلى، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة "،[متفق عليه].

*- وفي سورة البقرة يقول الله سبحانه وتعالى:- { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ }،(البقرة:- ٢٥٩)، الرجل يقول:- "هل يعقل أن يحيى الله هذه كيف"!، فأراه الله الآية في نفسه أماته الله وأحياه، وقال له:- أرأيت؟ قال:- ما رأيت شيئًا، قال له الله:- كم لبثت؟ قال:- لبثت يومًا أو بعض يوم، لا، فقال الله تبارك وتعالى:- { فَانظُرْ إِلَىٰ

طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ }، أراه الآية بعينيه:- { وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ }،(البقرة:- ٢٥٩)، الحمار قدّامه هيكل عظمي على الأرض، بدأ العظم يقف ويتركب بعضه في بعض، وبعد العظم الغضاريف وبعدها كسي اللحم ثم نفخ في الحمار الروح ونهق، نظرت بأم عينيك؟! "، قال:- { فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }، (البقرة:- ٢٥٩) .

*- وبعد هذه القصة مباشرة:- { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ }،(البقرة:- ٢٦٠)، نفس السؤال، لكنّ الله لم يره الآية في نفسه، بل قال:- { فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ }،(البقرة:- ٢٦٠)، فالأول أراه الله الآية في نفسه، وسيدنا إبراهيم أراه الله الآية في الطير في الكون.

*- ونفس السؤال وجّهه العاص بن وائل السهمي، وأبي بن خلف إلى النبي محمد ﷺ، قال الله تعالى:- { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ }،(يس:- ٧٨)، فأجاب الله عليه بقرآن:- { قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ }،(يس:- ٧٩ – ٨١).

*- إذًا فالأول أراه الله الآية في نفسه، في حماره وطعامه، وسيدنا إبراهيم عليه السلام أراه الله الآية في الطير، أما في أمة محمد ﷺ فالآية في القرآن، وهذه هي القضية، قضية كلية، أن ديننا كله مرده إلى القرآن والسنة، فالقرآن هو الأصل والسنة متمّمة ومكملة ومفسرة، ولذلك لابد أن تتذكروا دومًا:- " كل ما شغلك عن القرآن فهو شؤم عليك ".

*- بعض الناس طيلة الوقت يستمع إلى الشرائط ، ويحضر للمشايخ، ويقرأ في كتب العلم وهو هاجر للقرآن، كل هذا لن ينفعك، القرآن هو الذي يصنعك، القرآن يربيك، القرآن ينفعك، فعليك بالقرآن حفظًا وتلاوةً وتدبرًا وتفسيرًا ومذاكرةً، تفهم معنى كلمة مذاكرة؟!.

*- القرآن فيه علم العقيدة والفقه والسيرة والتفسير والتاريخ واللغة والبلاغة والرقائق، فيه كل شيء، القرآن كلام الله، كتاب مبارك يربيك على العلم والعمل والدعوة، القرآن هو طريقك لأن تكون رجلًا، نعم:- القرآن هو الذي يصنع الرجال، وسيظل يصنعهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

*- نعم إخوتي الكرام:- القرآن مصنع الرجال، القرآن يفرّخ الأبطال، في حظيرة العبودية، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، فهل أنت من أهل الله؟، هل أنت من أهل القرآن؟!، هل وهبت كل حياتك للقرآن؟، وهل وضعته على قمة أولوياتك؟، هل فكرت مرة أن تذاكره كما تذاكر الكتاب المدرسي بجد واجتهاد؟!.

*- أخي في الله وحبيبي في رسول الله ﷺ:- إذا كنت بعيدًا عن القرآن فاعلم أنك محروم كل الحرمان، ولو ذقت لما ابتعدت، تعال إلى الله واعكف على القرآن لتصنع، وإلا فما أبعد الدواء عن تلك الأدواء.

*- قال الله تبارك تعالى:- { وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا }،(الرعد: ٣١).

*- كان المشركون يطلبون من رسول الله ﷺ آيات حسية:- تسيير الجبال أو تقطيع الأرض أو تكليم الموتى، فأنزل الله هذا القرآن ليس من شأنه ذلك بل أعظم من ذلك وهو صياغة النفوس، وصناعة القلوب، وإيجاد الإنسان الذي يرضاه الله له عبدًا.

*- لقد تربى الصحابة الكرام رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، وهم والله أفضل جيل عرفه التاريخ على يد أعظم مربٍّ عرفته البشرية، تربوا بالقرآن، فكان منهم ما تسمع وتقرأ إيمان وثبات تزول دونه الجبال.

*- وهاك مثالًا واحدًا منهم:- عبّاد بن بشر صديق القرآن، يقول الكتور عبدالرحمن رأفت باشا رحمه الله تعالى:- " إن نشدته بين العبّاد وجدته التقي النقي قوّام الليل بأجزاء القرآن، وإن طلبته بين الأبطال ألفيته الكميَّ الحمى خوّاض المعارك لإعلاء كلمة الله، وإن بحثت عنه بين الولاة رأيته القويَّ المؤتمن على أموال المسلمين".

*- وقد استمع عبّاد بن بشر إلى مصعب بن عمير حين أتى المدينة وهو يرتل القرآن بصوته الفضيّ الدافىء ونبرته الشّجية الآسرة، فشغف ابن بشر بكلام الله حبًّا، وأفسح له فى سويداء قلبه مكانًا رحبًا، وجعله شغله الشاغل، فكان يردده فى ليله ونهاره وحله وترحاله حتى عرف بين الصحابة بالإمام وصديق القرآن ".

*- ومن الأئمة الذين رباهم القرآن، الإمام أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل، المعروف بابن النابلسي، قال عنه أبو ذر الحافظ:- سجنه بنو عبيد الفاطميون وصلبوه على السُّنَّة، وسمعتُ الدارقطنى يذكره ويبكي، ويقول، كان يقول وهو يسلخ:- { كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا }،(الإسراء:- ٥٨).

*- قال أبو الفرج ابن الفرج:- قامَ جوهرُ القائدُ لأبي تميمٍ صاحبِ مصرَ أبا بكر النابلسي فقال له:- بلغني أنك قلت:- إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهمًا وفينا تسعة، قال:- ما قلت هذا، بل قلت:- إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمى العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملة وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الألوهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديًّا فسلخه.

*- قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي:- أخبرني الثقة أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسه، حتى بلغ الوجه، وكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر، فرحمه السلاخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه، وأخبرني الثقة:- أنه كان إمامًا في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصّولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان يسمع من جسده قراءة القرآن ".

*- نعم:- لما أطعم القرآن لحمه، وأسقاه دمه، لما اختلط القرآن بلحمه ودمه فجرى في عروقه ونبض به حسه، نطق جسده الطاهر بالقرآن، اللهم اجعلنا من أهل القرآن، اللهم لا تحرمنا نعيم القرآن وطعم القرآن ولذة القرآن وحلاوة القرآن، يا كريم يا رحمن، يا كريم يا منّان.

*- اللهم يا ربنا اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحزاننا وهمومنا وغمومنا، اللهم اجعله حجة لنا لا علينا، اللهم اجعله لنا فى الدنيا إمامًا، وفى القبر مؤنسًا، ويوم القيامة شفيعًا، وعلى

الصراط نورًا، ومن النار سترًا وحجابًا، اللهم يا ربنا... اللهم ربّنا بالقرآن وللقرآن وعلى القرآن ثبتنا وتوفنا يا رب يا كريم، اللهم لا تحرمنا نعمة القرآن، اللهم آمين.

*- نعم والله:- القرآن نعمة، وتأمل ماذا يقول من ذاق نعمة القرآن:- إنه رجل ربّاه القرآن وسرى بألفاظه ومعانيه في دمه:- " الحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه، والحمد لله لقد منّ عليّ بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي، عشت أتملّى في ظلال القرآن، ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود، لغاية الوجود كله وغاية الوجود الإنساني، وعشت في ظلال القرآن أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها الله، وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله، وعشت في ظلال القرآن أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود، أكبر في حقيقته وأكبر في تعدّد جوانبه، إنه عالم الغيب والشهادة لا عالم الشهادة وحده، وإنه رب الدنيا والآخرة لا هذه الدنيا وحدها، عشت في ظلال القرآن أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد، إنه إنسان بنفخة من أمر الله، وهو بهذه النفخة مستخلف في الأرض، وفي ظلال القرآن تعلمت أنه لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء ولا للفلتة العارضة، إذ يقول:- { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }،(القمر:- ٤٩).

*- ومن ثم عشت في ظلال القرآن هادىء النفس، مطمئن السريرة، قرير الضمير، عشت أرى قضاء الله وقدره، أمره ومشيئته في كل حادث، وفي كل أمر، عشت في كنف الله وفي رعايته، عشت أستشعر إيجابية صفاته تعالى وفاعليتها، كما قال عزَّ وجلَّ:- { أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ }، (النمل:- ٦٢)، وقوله تعالى:- { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }،(الأنعام:- ١٨)، وقوله تعالى:- { وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }،(يوسف:- ٢١)، وقوله تعالى:- { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِه }،(الأنفال:- ٢٤)، وقوله تعالى:- { فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ }، (البروج:- ١٦)، وقوله تعالى:- { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا }،(الطلاق:- ٢)، وقوله تعالى:- { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا }،(هود:- ٥٦)، وقوله تعالى:- { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ

بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ }،(الزمر:- ٣٦)، وقوله تعالى:- {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ }،(الحج:- ١٨)، وقوله تعالى:- { وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }،(الزمر:- ٢٣).

*- ذلك ما أحسّه وهو يقرأ القرآن ويعيش معه، فما النتيجة والحصيلة من هذه المعايشة الطويلة؟، يقول رحمه الله:- " وانتهيت من فترة الحياة في ظلال القرآن إلى يقين جازم حاسم:- أنه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله، والرجوع إلى الله كما يتجلى في ظلال القرآن له صورة واحدة، وطريق واحد، واحد لا سواه، إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم، إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها، والتحاكم إليه وحده في شئونها، وإلا فهو الفساد في الأرض، والشقاوة للناس والارتكاس في الحمأة الجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله كما قال تعالى:- { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }،(القصص:- ٥٠).

*- إن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعًا ولا موضع اختيار، وإنما هو الإيمان أو فلا إيمان، والأمر إذا جد، إنه أمر عقيدة من أساسها، ثم هو أمر سعادة هذه البشرية أو شقائها، إن هذه البشرية وهي من صنع الله لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من عنده سبحانه وتعالى، وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق وشفاء كل داء، وهو قوله تعالى:- { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }،(الإسراء:- ٨٢)، وقوله تعالى:- { إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }،(الإسراء:- ٩).

*- " لقد تسلّم الإسلام القيادة بهذا القرآن وبهذا التصور الجديد الذي جاء به من القرآن، وبالشريعة المستمدة من هذا التصور، فكان ذلك مولدًا جديدًا للإنسان، أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته، لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورًا جديدًا عن الوجود والحياة والقيم والنظم، كما حقق لها واقعًا اجتماعيًّا فريدًا، كان يعزُّ على خيالها تصوره مجرد تصور قبل أن ينشأه لها القرآن إنشاءً، نعم لقد كان

هذا الواقع من النظافة والجمال والعظمة والارتفاع والبساطة واليسر والواقعية والايجابية والتوازن والتناسق، بحيث لا يخطر للبشرية على بال، لولا أن الله أراده لها وحققه في حياتها، في ظلال القرآن، ومنهج القرآن، وشريعة القرآن ".

*- لذلك نصيحتي لكم دائمًا:- ربّوا أولادكم على القرآن، دعوهم للقرآن يربيهم، ربّوهم وتربوا معهم على مائدة القرآن، فالقرآن القرآن، القرآن أصل، ومن سلك طريق القرآن فقد بلغ مراد الله منه.

*- قال الله تبارك وتعالى:- { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا }،(آل عمران:- ١٠٣)، قال العلماء:- حبل الله:- القرآن، فاجعل القرآن معك وكن مع القرآن، لا تنسه أبدًا، فإنه القائد والحادي والسائق إلى الله.

*- اللهم اجعلنا وأهلينا وذرياتنا من أهل القرآن أهلك وخاصتك.

*- لهذا نجد أن فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه يقول:- '' ولا يوحد العبد ربه حقًّا إلا إذا تدبر القرآن، وعمل بما يقول، وسار على نور من هدي الرسول، وطهر بيت الحق مما يفنى ويزول، أة عجز لساني ماذا أقول، شغلني حب الرسول''.

*- ويقول أيضًار رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- '' الخير والمغفرة من الله تعالى لمن يذكر الله كثيرًا ويوالي تلاوة القرآن''.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الحادى عشر:- '' كـن دائمـًا مستعدًّا للقدوم على الله عزَّ وجلَّ ''

*- أن المؤمن في هذه الحياة الدنيا في جهد وكدٍّ حتى يلقى الله عزَّ وجلَّ، فهو في جهاد مع نفسه وهواها، والدنيا والشيطان، وهو دائم الاستعداد للقدوم على ملك الملوك تبارك وتعالى، وذلك لأن الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل، لأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، اسمع قوله تعالى:- { لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ

فِيْ كَبَدٍ }،(البلد:- ٤)، وقوله تبارك وتعالى:- { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا }، (الملك:-٢).

*- فالمؤمن في هذه الدنيا في شغل وعمل وكدٍّ، فمتى الفراغ؟، الفراغ في الجنة، فحينما تدخل الجنة افعل ما شئت، فالدنيا دار عمل، فلا تنشغل بالزائل عن الباقي، وبالفاني عن الدائم، وبالمخلوق عن الخالق، وبالمرزوق عن الرازق، وبالحياة الدنيا عن الآخرة، بل وحتى لا تنشغل بالآخرة عن رب الدنيا والآخرة، فلست في فسحة من أمرك، ولذلك قال رسول الله ﷺ:- { الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر }،[أخرجه مسلم]، فالدنيا سجن المؤمن، والسجن له ظروفه، فالسجن له ملابسه وأكله وشربه، وله أحكامه ومواعيده، وله ضوابطه، فالدنيا سجن، فلا تحاول في السجن أن تعيش حياة الجنة.

*- فالسجن له مواعيده، مواعيد الفسح، هناك مواعيد للصلاة لا يصح النوم فيها ولا الشغل أثنائها، هذا هو سجن الدنيا، ولابد أن تُقْطَعَ الحياة الدنيا هكذا، لكنَّ الذي يريد أن يعيشها على أنها الجنة، فيأكل على مزاجه ويشرب على مزاجه ويمشي على مزاجه وينام على مزاجه، ويفعل ما يريد وما يشتهي، سَيَضِلُّ الطريق لا محالة.

*- لابد أن تعيش الدنيا كما يريد الله تعالى لا كما تريدها أنت، فأنت الآن في سجن التكاليف الشرعية، وإنْ كنتَ مُكَتَّفًا بهذه التكاليف النبيلة، فهناك أناس غيرك مُكَتَّفُونَ أيضًا بالعادات والتقاليد، لكن ليس لهم أجر، لكنك أنت المأجور، وأجرك عند الله تعالى عظيم، لالتزامك بما افترضه الله تبارك وتعالى عليك، ولقيامك بما يحبه ويرضاه، فلو كنت تمرضُ فالكفار يمرضون، ولو كنت تتعب فالمنافقون يتعبون، وإذا كنت تؤذى في سبيل الله، فهناك من يؤذون من أجل مناهج باطلة بل وكفرية، اسمع قوله تعالى:- { إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ }،(النساء:- ١٠٤)، فأنت ترجو بالذي تعمله أجرًا هم لا يرجونه، وهذا هو عزاؤك، إن الله تبارك تعالى سيعطيك، فضع نفسك في سجن التكاليف الشرعية ليكون الخروج على باب الجنة.

*- ولذلك لم يقل الله للمؤمنين بعد غزوة أحد:- كفاكم ما حدث واقعدوا في بيوتكم، لا والله، بل قال سبحانه وتعالى:- { وَلَا تَهِنُوا فِي اِبْتِغَاءِ }، خلفهم وإياكم أن تتركوهم، نعم:- شغل مستمر، وعمل متواصل، وجهد غير منقطع، ومع ذلك تجد بعض الناس يريد أن يتناول كل الشهوات، وأن يعيش دومًا في عافية، أخي الحبيب الغالي:- إن نبينا الحبيب سيدنا محمد ﷺ أُوْذِيَ وَطُرِدَ وَشُتِمَ بل وَتُفِلَ فس وجهه الشريف، اُضْطِهَدَ أعزُّ وأطهرُ مخلوقٍ على ظهر الأرض ﷺ، شتموه ووضعوا التراب على رأسه الشريف الطاهر، خنقوه بثوبه ورموا الحجر عليه، وحفر له حفرة في غزوة أُحُدٍ ليقع فيها، فوقع وجحشت ساقاه، ودخلت حلقات المغفر في وجنتيه، شقوا رأسه وأدموا وجهه وضربوا كتفه الشريف الطاهر، ورموه بالسهام، وفي الطائف رموه بالحجارة حتى جرح كل جسده، فداه أبي وأمي ونفسي ﷺ، وقع من على الفرس فجحش جنبه الشريف الطاهر، مرض بالحمى حتى لم يطق حُمَّاهُ أحدٌ، عاش غريبًا، مطاردًا من كفار يريدون قتله، فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله عليك صلاة الله وسلامه.

*- من يوم نودي ﷺ بـ { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ * قُمْ فَأَنْذِرْ }،(المدثر:- ١ - ٢)، قام ولم يرقد أو يخلد للراحة بعدها لحظة، ذهب زمان النوم يا خديجة.

*- إخوتي الأحباب الكرام:- إن المتفقه في سيرة نبينا وحبيبنا ومصطفانا رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يجد لحظة استراح فيها، فأيامه كلها جهاد وتعب ومشقة، وإن العين لتذرف رأفة ورحمة به، مشى كثيرًا وجرى كثيرًا، جاع شهورًا وكان يأكل الدّقّل، (أردأ التمر)، وربما لا يجده، سهر السنين الطويلة، ونام على الحصير، ولم يلبس الديباج أو الحرير، عاش هذه الدنيا في كد ونصب، ليقيم الحق ويبلغ دعوة ربه، بأبي هو وأمي ونفسي رسول الله ﷺ، أُرْسِلَ بالمدثرِ فقام صابرًا محتسبًا، فلم يهدأ حتى جاءه نصر الله، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

*- هكذا عاشها رسول الله ﷺ، وتريد أنت أن تعيشها نظيفة حلوة!، تريد أن تعيشها ممتعًا معافىً! تريد أن تعيشها في راحة وأمان! لا يا أخي الحبيب الغالي، هذه دنيا الأصل فيها المشاكل والأحزان، وإلا لما

كان هناك اشتياق للآخرة، الدنيا يا أخي للعمل والتعب والجد والاجتهاد، فلا تلبس ثياب الفراغ أثناء العمل.

*- فالدنيا شغل، شغل للآخرة، فالزم الشغل حتى تمر هذه الدار بسلام، فإذا أردت زوجة فلتكن ما تكون قصيرة أو نحيفة أو.. أو، المهم أن تكون صاحبة دين، و " بنت أصول "، ولا تتنازل عن هذين الشرطين أبدًا، وارضَ بها مهما كانت صفاتها، واتخذها بُلْغَةً [أى ما تتبلغ به] إلى الجنة، وفي الجنة سيصنعها الله لك من جديد، اسمع قوله تبارك تعالى:- { إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا }، (الواقعة:- ٣٥ – ٣٧)، بل ويزيد لك سبعين حورية من الحور العين، الزم الشغل ولا تحزن على شيء من الدنيا ولا تفكر فيها، فإن جاءتك أو أتت إليك، فسخرها في خدمة ما أنت فيه من عمل الآخرة، وإلا فاطرحها جانبًا وامضِ في طريقك إلى الله تبارك وتعالى.

*- إخوتي الأحباب:- إن الذي يسير على هذا النهج هو رجل الآخرة الذي يريد الوصول، فلا يخلع ثياب العمل والقرب والطاعة والعبادة حتى يلقى الله عزَّ وجلَّ، أما الذي يريد أن يلبس ثياب الفراغ أثناء العمل فينشغل قلبه بالزوجة والمال والأولاد فهو رجل الدنيا يعيش لها، ولذا لن يصل إلى الله مطلقًا حتى يخلع ثياب الفراغ، ويلبس دائمًا ثياب العمل للآخرة.

*- فوظف أخي في الله، وحبيبي في رسول الله ﷺ كل أركان حياتك في العمل للآخرة، وواصل الشغل ليل نهار، فأنت في مقامِ مُسْتَعْبَدٍ، ولا يصح للأجير أن يلبس ثياب الراحة في زمن الاستئجار، وكل نهار المتقي صوم، وكل ليله لله قيام وابتهال واجتهاد، وتذلل، وتواضع وانكسار وإخبات، فواصل السير ولا تنقطع، ولا تتوانى، ولا تتخاذل، ولا تتكاسل، فقد اقتربت ساعة الرحيل، لتنعم بعدها بالراحة والخلود.

*- أخي الحبيب الغالي، أخي في الله، وحبيبي في رسول الله ﷺ:- '' اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا''، ولكن احذر أخي الحبيب أن يكون عملك لغير الله تبارك وتعالى لإنه عزَّ وجلَّ لا يقبل عملًا فيه مثقال ذرة لغيره.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الثاني عشر:- ''فـــــي الطريـــــق مواقـــــف للتمييـــــــز''

*- إن السائر إلى الله أو عموم من يعيش في هذه الحياة لابد أن يتعرض لمواقف، فهذه الحياة أمواج تترادف يركب الإنسان فيها طبقًا عن طبق، هذه المواقف للتمحيص، قال الله سبحانه وتعالى:- { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيْرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِيْنَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِيْنَ * وَلَا تَهِنُوْا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِيْنَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِيْنَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِيْنَ }،(آل عمران:- ١٣٧ - ١٤٢).

*- تدلك هذه الآيات على أن الله سبحانه وتعالى يقلب الأيام على الناس ليتبين أحوالهم، وليعلم الله علم ظهور وإقامة حجة على العباد من يستحق الجنة ممن لا يستحقها، فالسائرون إلى الله صفوة، ولكنَّ الله تبارك وتعالى:- { مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ }،(آل عمران:- ١٧٩).

*- أيها الأخوة الأحباب الكرام:- إن التمييز بين النعمة والنقمة والفتنة، وبين المنة والحجة، وبين العطية والبلية، وبين المحنة والمنحة أمر مهم للسائر في الطريق إلى الله.

*- ففي طريق الوصول إلى الله لابد أن تكون صاحب تمييز بين النعمة والفتنة، فقد يصيب رجلين شيء واحد، ويكون بالنسبة لأحدهما نعمة وللآخر فتنة، قد يكون الشيء الواحد لرجل بلية وللآخر عطية.

*- يقول ربك جلَّ في علاه:- { أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ }،(البقرة:- ١٩).

*- يقول العلماء:- هذا هو المثل المائي الذي ضربه الله سبحانه وتعالى للقرآن أنه صَيِّبٌ، وهو للمؤمنين، قال الله تبارك تعالى:- { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }،(الإسراء:- ٨٢).

*- ففى قصة كعب بن مالك لما جاءه كتاب من ملك غسان يقول له:- " بلغنا أنّ صاحبك قد قلاك، ولم يجعلك الله بدار مهانة، فالحقْ بنا نواسكَ، لم يقل ‘‘أي كعب’’:- جاء الغيث، ولكنه التمييز، ولكنه قال:- ‘‘ وهذا من البلاء، فتيممتُ التنورَ فسجرتُهُ ‘‘.

*- نعم:- فقد يرزق العبد مالًا ويظن أنه نعمة ويكون هذا المال بالنسبة له فتنة، قد يرزق عملًا وهذا العمل من وجهة نظر الناس جميعًا كرم، وهو في حقه بلاء، قد يحفظ القرآن ويكون عليه حجة، نعم:- القرآن حجة لك أو عليك.

*- قال العلماء:- " إذا رأيت أن الله يعطي العبد على معاصيه، فاعلم أنه استدراج "’ تعصى ويكرمك، وتعصى ويزيدك، وتعصى ويبارك لك، إذًا سينتقم منك، لا تطمئن فهو سبحانه وتعالى يجرك لينتقم منك، قال الله سبحانه وتعالى:- { سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ }،(القلم:- ٤٤ – ٤٥) .

*- يقول بعض المفسرين في شرح هاتين الآيتين:- " وإن شأن المكذبين وأهل الأرض أجمعين لأهون وأصغر وأحقر عند الله تبارك وتعالى من أن يدبر لهم هذه التدابير، ولكنه سبحانه وتعالى أراد أن يحذرهم نفسه ليدركوا أنفسهم قبل فوات الأوان، وليعلموا أن الأمان الظاهر الذي يدعهم له هو الفخُّ الذى يقعون فيه وهم مغرورون، وأن إمهالهم على الظلم والبغي والإعراض والضلال هو استدراج لهم إلى أسوأ مصير، وأنه تدبير لهم من الله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة، ويأتوا إلى الموقف مثقلين بالذنوب، مستحقين للخزي والإرهاق والتعذيب، وليس أكبر من التحذير، وكشف الاستدراج والتدبير، عدلًا ولا رحمةً، والله سبحانه وتعالى يقدم لأعدائه وأعداء دينه ورسوله عدله ورحمته في هذا التحذير وذلك النذير، وهم بعد ذلك وما يختارون لأنفسهم، فقد كشف القناع ووضحت الأمور!.

*- " إنه سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل، ويملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وهو هنا يكشف عن طريقته وعن سننه التي قدرها بمشيئته، ويقول لرسوله ﷺ في كتابه المبين :- { فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ }،(القلم:- ٤٤)، أي خلِّ بينى وبين المعتزين بالمال والبنين والجاه والسلطان، فسأملي لهم، وأجعل هذه النعمة فَخَّهُمْ! فَيُطَمْئِنُ رسوله، ويحذر أعداءه، ثم يدعهم لذلك التهديد الرعيب " .

*- فلا تفرح أخي في الله بالكرم بعد المعصية، وكن مميزًا بين العطية والبلية، وبين النعمة والنقمة، ولذا قال سبحانه وتعالى:- { لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ }،(الحديد:- ٢٣)، تقول زوجة سعيد بن عامر الجمحي:- استيقظت يومًا على صوته وهو يقول:- أعوذ بالله منك، أعوذ بالله منك، أعوذ بالله منك، فقمت فوجدت بين يديه صرة مال وهو يدفعها بيده كأنها عقرب، قلت:- مالك، قال:- " دخلت عليّ الدنيا لتفسد عليّ ديني ".

*- نعم إخوتي الأحباب:- لابد أن يكون لديك بصيرة وتمييز بين ما ينفعك وما يضرك في آخرتك، فإذا أعطاك الله نعمة واستعملتها في طاعته كانت نعمة، وإذا استعملتها في المعصية كانت محنة وفتنة، أعطاك الله مالًا، هل هذا المال زادك قربًا أم أبعدك؟!، أعطاك زوجة أعانتك على طاعته، فهذه نعمة، ولو شغلتك عن الله كانت فتنة.

*- فانظر كل لحظة في حياتك لترى النعم التي وهبها الله تعالى لك:- هل تقربك منه أم تبعدك عنه؟، هل هي نعم أم نقم؟، هل توقفك بين يدي الله أم تشغلك عنه؟، تزيدك إيمانًا أم تقسي قلبك؟، تزيدك شكرًا أم طمعًا؟!.

*- قِفْ مَعَ نِعَمِ اللهِ لتعلمَ أين قدمك، لتعلم أين أنت، في طريق الوصول أم تائه في طرق أخرى؟، فرق بين النعمة والنقمة، وبين المحنة والمنحة، وبين البلية والعطية، وبين الحجة والمنة، ميز لتعرف أين الفتنة لتجتنبها فتصل إلى الله بسلام.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الثالث عشر:- ‘‘الاعتصـــامُ بالله تعالـــى عقيـــــدةٌ وعمـــــــــــــلٌ ودعـــــــــــــاءٌ’’

*- قال الله تبارك وتعالى:- { قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا }،(الأحزاب:- ١٧)، إذًا فالإنسان يحتاج مولىً ونصيرًا، وليس لك من دون الله وليٌّ ولا نصيرٌ، فلذلك إذا أردت الوليَّ والنصيرَ فاعتصم بالله تعالى، قال الله تبارك وتعالى:- { وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }،(آل عمران:- ١٠١)، ولكن كيف نعتصم بالله؟.

*- امرأة العزيز قالت:- { وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ }،(يوسف:-٣٢)، كيف استعصم؟.

*- إن الاعتصام بالله تبارك وتعالى يكون على النهج التالي:-

*- أولًا:- عقيدة:- قال:- ‘‘ معاذ الله ‘‘، أعوذ بالله ، ألتجيء إلى الله، وأحتمي به وحده، ولم يقل لها:- هل أصابك الجنون؟!، ولم يقل أيضًا:- ألا تعرفين من أنا؟!، أنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام،، أنا ابن هؤلاء الأنبياء، لم يقل لها:- اذهبي لحالك يا بنية هداك الله، لم يقل ذلك، وإنما قال:- ‘‘معاذ الله’’، عقيدة أن الذي ينجّيني هو الله رب العالمين.

*- أيضًا لما فشلت امرأة العزيز وسمعت النسوة يتكلمن، قالت في نفسها:- آتي بهن إليه، أم آتي به إليهن؟، الأمران! أتت بهن وأقعدتهن وأخرجته عليهن، خرج ولم يكن أمامه كيد امرأة بل كيد نساء، فقال

في التوِ والحال والحين:- { رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ }،(يوسف:- ٣٣)، يا رب، السجن أحب إليَّ من حرير امرأة العزيز، سبحان الله!، تشم رائحة الصدق من الكلام.

*- بالله عليك أخي الحبيب الغالي:- هل تجد في نفسك هذه النقطة؟، إننا وللأسف نضحك من أنفسنا نهرج ونلعب في دين الله، هل فعلًا السجن أحب إليك من دعوة الفاتنات أو الغانيات الفاجرات؟، قال يوسف:- يا رب، عذاب السجن أحسن عندي من قصور العزيز، العذاب من أجلك يا رب أحب إليَّ من أن أنام وأنا لك عاصٍ، هذا هو الاعتصام، فكن على عقيدة صادقة بالله لتعتصم بها وقت الشدائد، يقول ربي تبارك وتعالى في يوسف عليه السلام:- { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }،(يوسف:- ٢٢).

*- فقد أوتي صحة الحكم على الأمور، وأوتي علمًا بمصائر الأحداث أو بتأويل الرؤيا، أو بما هو أعمُّ، من العلم بالحياة وأحوالها، فاللفظ عام ويشمل الكثير، وكان ذلك جزاء إحسانه في الاعتقاد وإحسانه في السلوك:- { وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }، وعندئذ تجيئه المحنة الثانية في حياته، وهي أشد وأعمق من المحنة الأولى، تجيئه وقد أوتي صحة الحكم وأوتي العلم رحمة من الله تبارك وتعالى ليواجهها وينجو منها جزاء إحسانه الذي سجله الله في قرآنه.

*- والآن نشهد ذلك المشهد العاصف الخطير المثير كما يرسمه التعبير القرآني العظيم:-

*- قال الله تبارك وتعالى:- { وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }،(يوسف:- ٢٣).

*- وإذًا فقد كانت المراودة في هذه المرة مكشوفة، وكانت الدعوة فيها سافرة إلى الفعل الأخير، وحركة تغليق الأبواب لا تكون أول دعوة من المرأة، إنما تكون هي الدعوة الأخيرة، وقد لا تكون أبدًا إذا لم تضطر إليها المرأة اضطرارًا، والفتى يعيش معها وقوته وفتوته تتكامل، وأنوثتها هي كذلك تكمل وتنضج، فلابد كانت هناك إغراءات شتى خفيفة لطيفة، قبل هذه المفاجأة الغليظة العنيفة، كما وصفها الله تبارك

وتعالى في كتابه المبين فقال:- {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }، (يوسف:-٢٢).

*- قال:- ‘‘مَعَاذَ اللَّهِ ’’، أعيذ نفسي بالله أن أفعل، ‘‘ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ’’، وأكرمني بأن نجاني من الجبِّ وجعل في هذه الدار مثواي الطيب الآمن.

*- ‘‘ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ’’، الذين يتجاوزون حدود الله، فيرتكبون ما تدعوننى اللحظة إليه، عقيدة، عقيدة في الله اعتصم بها يوسف فنجاه الله من الفتنة.

*- ويقول شيخ الإسلام وعلم الأعلام ابن القيم رحمه الله تعالى في المفاسد العاجلة والآجلة لعشق الصور:- والله سبحانه وتعالى إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس، وهم قوم لوط والنساء، فأخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف، وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صَبَّرَهُ الله عليه، فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة، وذلك لوجوه:-

*- أحدها:- ما ركَّبَ الله سبحانه وتعالى في طبع الرجل من ميله إلى المرأة، كما يميل العطشان إلى الماء، والجائع إلى الطعام، حتى إن كثيرًا من الناس يصبر على الطعام والشراب ولا يصبر على النساء، وهذا لا يذم إذا صادف حلالًا.

*- الثاني:- أن يوسف عليه السلام كان شابًّا، وشهوة الشباب وَحِدَّتُهُ أقوى.

*- الثالث:- أنه كان عزبًا لا زوجة له ولا سرية تكسر حِدَّةَ الشهوة.

*- الرابع:- أنه كان في بلاد غربة ولا يتأتى للغريب فيها قضاء الوطر، ما يتأتى لغيره في وطنه وأهله ومعارفه.

*- الخامس:- أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث إن كل واحد من هذين الأمرين يدعو موافقتهما.

*- السادس:- إنها غير آبية ولا ممتنعة، فإن كثيرًا من الناس يزيل رغبته في المرأة إباؤها وامتناعها، لما يجد في نفسه من ذل النفس والخضوع والسؤال لها.

*- السابع:- أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد، فكفته مؤونة الطلب وذل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة وهو العزيز المرغوب إليه.

*- الثامن:- أنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها، بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له، فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

*- التاسع:- أنه لا يخشى أن تنمَّ عليه هي ولا أحد من جهتها، فها هي الطالبة والراغبة، وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء.

*- العاشر:- أنه كان مملوكًا لها في الدار، بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها، ولا ينكر عليه، وكان الأمن سابقًا على الطلب، وهو أقوى الدواعي.

*- الحادي عشر:- أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأرته إياهن وشكت حالها إليهن، لتستعين بهن عليه، فاستعان هو بالله عليهن، فقال:- {وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ}،(يوسف:- ٣٣) .

*- الثاني عشر:- أنها توعدته بالسجن والصغار، وهذا نوع إكراه، إذ هو تهديد ممن يغلب على الظن وقوع ما هدد به، فيجتمع داعي الشهوة، وداع حب السلامة من ضيق السجن والصغار.

*- الثالث عشر:- أن الزوج لم يظهر من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما، ويبعد كلًا منهما عن صاحبه.

*- ومع هذه الدواعي كلها فقد آثر مرضاة الله وخوفه، وحمله حبه لله على أن يختار السجن على الزنا، فقال:- { رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ }،(يوسف:- ٣٣)، وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأن ربه تبارك وتعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه، وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه.

*- ثم إن الاعتصام لن يكون إلا إذا كان هناك عمل ودعاء، فمثلًا:- الأخ الذي أقول له تب، فيقول:- '' ادع الله لي يا عم الشيخ ''، أقول له:- يا بني '' تب '' هذه تحتاج إلى عمل وشغل، وأن تدعو أنت لنفسك أولًا، ثم أدعو أنا لك بعد ذلك، فسيدنا يوسف عليه السلام كان محسنًا، محسنًا في الاعتقاد ومحسنًا في السلوك، وفوق ذلك دعا بالعصمة، فكانت النجاة، نجا لأنه في الأصل أحسن العمل.

*- نعم:- كان يوسف محسنًا مع ربه، وأيضًا مع الناس، وقد سمى الله قصته:- { أَحْسَنَ الْقَصَصِ }، (يوسف:- ٣).

*- ووصفه السجناء بالإحسان فقالوا:- { نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ }،(يوسف:- ٣٦)، وبالإحسان مكنه الله تبارك وتعالى في الأرض فقال تعالى:- { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }،(يوسف:- ٥٦)، وقال له إخوته وهم لا يعرفونه:- { فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ }،(يوسف:- ٧٨)، ثم أثنى على ربه بإحسانه إليه:- { وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ }،(يوسف:- ١٠٠).

*- وقال تبارك وتعالى:- { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ }،(يوسف:- ٢٤)، وهؤلاء ليس للشيطان عليهم سلطان البتة، ومع كل ذلك فزع يوسف إلى الله وقال:- { مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }، (يوسف:- ٢٣)، ولابد أن نعلم أن طهارة يوسف عليه السلام كانت أساس الاعتصام، إذًا فالاعتصام بالله لابد أن يكون على عقيدة راسخة بالله وعمل دائم له، وسلوك قويم معه سبحانه وتعالى ومع الناس.

*- نعم إخوتي الأحباب الكرام:- إن الاعتصام بالله تعالى عمل، الاعتصام دعاء، الاعتصام عقيدة، فاربط قلبك بالله وحده، واصدق معه، واعمل ما في وسعك، وادع بإخلاص، يعصمك الله فتهتدي إلى طريق الوصول إليه.

*- قال ربك تبارك وتعالى:- {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }،(آل عمران:- ١٠١).

*- قال ابن كثير رحمه الله:- '' أي ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد ''.

*- فاعتصم بالله يا طالب الوصول، وأكثر من الصلاة والسلام على حبيب قلبك وسرك، ونور بصرك وفؤادك، رسول الله الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد ﷺ.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلٌ وأعلم.

*- الأصل الرابع عشر:- ''من استطال الطريق ضعف مشيه''

*- الطريق إلى الله تعالى طويلة جدًّا، وبعيدة جدًّا، ولذا تحتاج إلى همة وعمل دائم وعدم التفات لكي تقطعها وتصل بسلام، وإلا فلو ظللت تقول:- الطريق طويلة وبعيدة وأنت مكانك، فلن تصل، فاستعن بالله واترك الشكوى، اعمل واجتهد واتعب حتى الموت، قال الله تبارك وتعالى:- { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }،(الحجر:- ٩٩)، أي الموت.

*- وقال تبارك وتعالى:- { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ }،(الشرح:- ٧)، قال ابن كثير:- '' وقال زيد بن أسلم والضحاك:- فإذا فرغت أي من الجهاد، فانصب أي:- في العبادة:- { وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ }،(الشرح:٨)، قال الثوري:- اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عزَّ وجلَّ ''.

*- '' فإذا فرغت من شغلك مع الناس ومع الأرض، ومع شواغل الحياة، إذا فرغت من هذا كله، فتوجه بقلبك كله إذا إلى ما يستحق أن تنصب فيه وتكد وتجهد، العبادة والتجرد والتطلع والتوجه، ''وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ''، إلى ربك وحده خاليًا من كل شيء حتى من أمر الناس الذين تشتغل بدعوتهم إنه لابد من الزاد للطريق، وهنا الزاد، ولابد من العدة للجهاد، وهنا العدة وهنا ستجد يسرًا مع كل عسر، وفرجًا مع كل ضيق، وهذا هو الطريق! ''.

*- هذا هو الطريق إلى الله، فجدَّ ولا تنمْ، فرسول الله ﷺ لما قالت له خديجة:- ألا تنام يا رسول الله؟!، قال:- '' مضى عهد النوم يا خديجة ''، وقال ﷺ لعائشة لما تعجبت من عبادته وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه:- " أفلا أكون عبدًا شكورًا "،[متفق عليه].

*- أخي في الله:- اثبت في الطريق على الطاعة ولا تيأس من طول الطريق، فما عليك إلا أن تجدَّ السير، وتسرع الخطا، ولا تلتفت وستصل بإذن الله، صَبِّرْ نفسك واصطبر، واعلم أن الصبر على الطاعة هو الصبر الأعلى، وأكمل الناس صبرًا على الطاعة هم أولوا العزم من الرسل، ولذلك أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يصبر صبرهم، فقال الله تبارك وتعالى:- { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ }، (الأحقاف:- ٣٥)، ومعلوم أن الأمر للقدوة أمر لأتباعه، ونهاه أن يتشبه بصاحب الحوت، حيث لم يصبر صبر أولي العزم، فقال تبارك وتعالى:- { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ }،(القلم:- ٤٨).

*- ولقد جعل الله الوصول إليه والفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون، فقال تعالى:- {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ }،(المؤمنون:- ١١١).

*- وفي الصحيح عن رسولنا ﷺ:- " وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر "، وأخبر ﷺ أن الصبر ضياء.

*- وقال سيدنا علي بن أبى طالب:- ''الصبر مطية لا تكبو''.

*- وقال سليمان بن القاسم:- كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر، فقد قال الله تبارك وتعالى:- { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }،(الزمر:- ١٠)، وقال:- كالماء المنهمر.

*- أخي في الله:- اصبر في السير إلى الله ولا تستطل الطريق، فلقد صبر نوح فأوقف أنفاسه على الدعوة إلى الله ألف سنة إلا خمسين عامًا، لم يستطل الطريق، بل ظل مع الله في أطول صبر عرفه تاريخ البشرية، وأكرم صبر.

*- قال ابن كثير في قصص الأنبياء:- " وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به أي بسيدنا نوح عليه وعلى نبينا سيدنا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم، ومحاربته ومخالفته، وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه، وصاه فيما بينه وبينه ألا يؤمن بسيدنا نوح أبدًا ما عاش ودائمًا ما بقي ".

*- قال الله تبارك وتعالى:- { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) }،(نوح:- ٥ – ١٣).

*- قال أبو القاسم الغرناطي في التسهيل لعلوم التنزيل:- '' ذكر أولًا أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارًا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة''.

*- وقال القاسمي في محاسن التأويل:- '' بذل نوح غاية الجهد دائمًا بلا فتور ولا توانٍ، وضاقت عليه الحيل في تلك المدد الطوال ''.

*- ويقول فضيلة الشيخ سيد بن حسين العفاني حفظه الله تعالى:- '' كفاح نبيل طويل:- سلك سيدنا نوح عليه السلام إلى آذان قومه وقلوبهم وعقولهم شتى الأساليب، ومتنوع الوسائل في دأب طويل، وفي صبر جميل، وجهد نبيل، ألف سنة إلا خمسين عامًا، ثم عاد إلى ربه ليقدم حسابه، ويبث شكواه، في هذا البيان المفصل وفي هذه اللهجة المؤثرة.

*- وصورة سيدنا عليه السلام نوح في دعوته، وهو لا يمل ولا يفتر، ولا ييأس أيام الإعراض والإصرار، صورة لإصرار الداعية على الدعوة، وتحين كل فرصة ليبلغهم إياها، وإصرارهم هم على الضلال.

*- ولم ينسَ سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام الدعوة حتى حين حضرته الوفاة، فقد وصى ابنيه بـ '' لا إله إلا الله '' ونهاهما عن الشرك، وأمرهما بسبحان الله وبحمده.

*- وإن الإنسان ليأخذه الدهش والعجب، كما تغمره الروعة والخشوع، وهو يستعرض هذا الجهد الموصول من الرسل عليهم صلوات الله وسلامه لهداية البشرية الضالة المعاندة، ويتدبر إرادة الله المستقرة على إرسال هؤلاء الرسل، واحدًا بعد واحد لهذه البشرية المعرضة العنيدة.

*- وقدْ يَعْنُ للإنسان أن يسأل:- ترى هل تساوي الحصيلة هذا الجهد الطويل، وتلك التضحيات النبيلة، من لدن سيدنا نوح عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ، ثم ما كان بينهما وما تلاهما من جهود المؤمنين بدعوة الله وتضحياتهم الضخام، ترى:- هل تساوي هذا الجهد الذي وصفه سيدنا نوح عليه السلام، وقد استغرق عمرًا طويلًا بالغ الطول، ولم يكتفِ قومه فيه بالإعراض، بل اتبعوه بالسخرية والاتهام، وهو يتلقاها بالصبر والحسنى، والأدب الجميل والبيان المنير؟!!.

*- ثم تلك الجهود الموصولة منذ ذلك التاريخ، وتلك التضحيات النبيلة التي لم تنقطع على مدار التاريخ من رسل يستهزأ بهم، أو يحرقون بالنار، أو ينشرون بالمنشار، أو يهجرون الأهل والديار، حتى تجيء الرسالة الأخيرة، فيجهد فيها رسول الله سيدنا محمد ﷺ ذلك الجهد المشهود المعروف، ثم تتوالى الجهود المضنية والتضحيات المذهلة من القائمين على دعوته في كل أرض وفي كل جيل؟؟.

*- ترى تساوي الحصيلة كل هذه الجهود، وكل هذا الجهاد الشاق المرير؟!.

*- ثم ترى هذه البشرية كلها تساوي تلك العناية الكريمة من الله تبارك وتعالى، المتجلية في استقرار إرادته سبحانه وتعالى على إرسال الرسل تترى، بعد العناد والإعراض والإصرار والاستكبار من هذا الخلق الهزيل الصغير المسمى بالإنسان؟!، والجواب بعد التدبر:- أن نعم:- وبلا جدال!!.

*- إن استقرار حقيقة الإيمان بالله تعالى في الأرض يساوي كل هذا الجهد، وكل هذا الصبر، وكل هذه المشقة، وكل هذه التضحيات النبيلة المطردة من الرسل وأتباعهم الصادقين في كل جيل!.

*- إن الدعوة إلى الله لابد أن تمضي في طريقها كما أراد الله تعالى، لأن الحصيلة تستحق الجهود المضنية والتضحيات النبيلة، ولو صغرت فانحصرت في قلبٍ واحدٍ، يقرب من الله ويحبه ويشتاق إليه.

*- قال ﷺ:- '' عرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد "،[متفق عليه].

*- حبيبي في الله:- لا تستطل الطريق إلى الله، فمن استطال الطريق ضعف مشيه، فواصل العمل، واصل فالله معك، واعلم أن الشرط في السير أن تجهد وتتعب، فواصل العمل ولا تنقطع، وتذكر دائمًا سيدنا نوحًا عليه السلام، أخي في الله:- اعمل بلا انقطاع، وعند الله تعالى المستراح.

*- إخوتي الكرام، والأحبة العظام:- زِنُوْا حُلْوَ المُشْتَهَى بِمُرِّ العقابِ يَبِنْ لكمُ التفاوت، لما عرف القوم قدر الحياة، أماتوا فيها الهوى فعاشوا، جمعوا بأكفِّ الجدِّ من الزمن ما نثره زمن البطالة، فهان عليهم طول الطريق لعلمهم أين المقصد، وَحَلَتْ لهم مراراتُ البلى حبًّا لعواقب السلامة، فيا بشراهم يوم يقال:- '' هذا يومكم ''.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الخامس عشر:- ''السـرُّ الدفيـنُ لعـدمِ القبـولِ.. وجـودِ حـظٍّ للنفـسِ فـي العمـلِ''

*- أخي الحبيب الغالي:- هل تصلي لله أم لتستجمَّ؟!، وهل تصوم من أجل أن تريح بطنك، أم أن يرضى الله تبارك وتعالى عنك؟!، وهل تكرم الناس ليعاملوك معاملة حسنة أم تكرمهم لله تعالى لأنك تحبه؟!، وهل تصل رحمك لأنها سنة النبى ﷺ، أم ليقال أنه يتفقد الأرحام؟!، وهل تدفع ما عليك ليقول عنك الناس:- أنك محترم أم لترضي ربك؟!، وهل تحج وتعتمر رياء وفسحة وتغيير جو أم لتستغفر ربك هناك؟!.

*- قال الحسن رحمه الله:- رحم الله عبدًا وقف عند همه، فإن كان لله تعالى:- مضى، وإن كان لغيره:- تأخر، اغتربت عن بلدك، وهاجرت إلى الله لماذا؟، لتتعلم العلم وتعبد الله وتدعو إليه لماذا؟، لماذا تتعلم العلم؟!، لماذا تتصدق؟!، لو كان في هذه الأعمال شيء ولو بسيط من حظ النفس، لا يقبلها الله تعالى أبدًا.

*- قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي:- '' من عمل عملًا وأشرك فيه غيري تركته وشركه''، [أخرجه مسلم]، فالله عزَّ وجلَّ غنيٌّ، عزيزٌ، يغار، لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه، اللهم ارزقنا الإخلاص واجعلنا من أهله.

*- لذلك فإن الذين يأتون يوم القيامة وأعمالهم لم تقبل سيفاجئون بأن أعمالهم كانت لله، ولكنها لم تكن خالصة، فقد كان فيها شيء من حظ النفس، يا لله!!، فصحح نيتك، فالطريق إلى الله لا يصلح فيها إلا حسن النية، أخلص قبل أن يأتيك يوم القيامة.

*- وآهٍ من يوم القيامة! اللهم ارحم يوم القيامة ضعفنا، اللهم ارحم ذلَّ وقوفنا بين يديك يا أرحم الراحمين يوم القيامة، وما أدراك ما يوم القيامة!، إياك أن تنسى ذلك اليوم، قال ربنا تبارك وتعالى:- { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ }،(الرحمن:- ٤٦)، تذكر هذا المقام يوم وقوفك بين يديه وأعمالك كلها معروضة عليه، يوم يقول لك:- عبدي، عشت سبعين سنة ولم تُصَلِّ إلا سنتين لماذا؟، فتقسم:- وعزتك وجلالك يا رب صليتُ من يوم أن ذهبتُ إلى المدرسة وأنا في الأول الابتدائي، ماذا حصل؟!، تجد خمسين سنة من عمرك لم تقبل وعشر سنين فقط قبلت!!، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ }،(الزمر:- ٤٧)، السبب:- وجود حظ النفس، صُمْتَ كثيرًا، ولم يقبل إلا النزرَ القليل، نعم:- لوجود حظ النفس في العمل.

*- أقول لكم كثيرًا:- لو كان '' دورٌ ثانٍ '' للهالكين يوم القيامة، أو لو كان فيها '' مُلْحَقٌ ''، أو لو كان لها '' إِعَادَةٌ ''، لقلنا:- يا رب، أخطأنا فارجعنا نصلح ما كان منا، لكن هي مرة واحدة فقط، فإذا

ذَهَبْتَ فيها إلى جهنم كانت المصيبة، قال الحسن:- '' ابن آدم عن نفسك فكايس فإنك إن دخلت النار لم تنجبر بعدها أبدًا '' اللهم ارزقنا حسن الخاتمة، اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

*- نعم والله إخوتي الكرام:- إن السر الدفين لعدم القبول.. هو وجود حظ النفس في العمل، أن تتزوج بالبنت الفلانية لأنها تعجبك وتحبها ولا تتزوج ليعفك تعالى ويسترك، وتكرم الناس ليكرموك ليس لأجل أن يكرمك الله تعالى، وتؤدي الحقوق كما ينبغي ليقولوا عنك:- أمين، ليس لأن الله تعالى ألزمك بذلك.

*- فوجود حظ للنفس في العمل معناه:- أن تشتغل لحسابك، تعمل لنفسك وليس لله، أي أنك تعمل لحظ نفسك، فإياك أخي الحبيب الغالي أن تنسى هذه الكلمة:- أن تصير '' شَغَّالًا '' لحسابك، لمزاجك، لهواك، لنفسك، لا لله تعالى، اللهم استرنا ولا تفضحنا.

*- هذه والله هي المشكلة الكبيرة، أن معظمنا أكثر عمله لنفسه لا لله، هذه هي الحقيقة ولا تغضب، لذلك قف وقفة جادة وحقق الإخلاص، جرد النية لله، فلا تدري متى تموت، أخلصْ يقبلْ عملُكَ، وإلا فسيطرح في وجهك، وتخسر الوصول إلى الله.

*- قال أبو أيوب مولى ضيغم بن مالك:- قال لي أبو مالك يومًا:- يا أبا أيوب احذر نفسك على نفسك، فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي، وأيم الله، لئن لم تأتِ الدارُ الآخرةُ المؤمنَ بالسرور، لقد اجتمع عليه الأمران:- همُّ الدنيا، وشقاء الآخرة، قال:- قلت:- بأبي أنت وأمي، وكيف لا تأتيه الآخرة بالسرور، وهو ينصب لله في دار الدنيا ويدأب؟!، قال:- يا أبا أيوب، فكيف بالقبول؟!، وكيف بالسلامة؟!، ثم قال:- كم من رجل يرى أنه قد أصلح نفسه، وقد أصلح قرباته، قد أصلح همته، قد أصلح عمله، يجمع ذلك يوم القيامة ثم يضرب به وجهه ".

*- إخوتي الأحباب الكرام:- '' إن الله تبارك وتعالى جعل باب التوبة مفتوحًا ليبقى الإنسان على أمل، وأخفى قبول الأعمال لئلا يغتر إنسان بالعمل، وجعل العبرة بالخواتيم ليبقى الإنسان على وجل''.

*- إخوتي الأحباب:- حاسبوا أنفسكم وانظروا فيها، عامر بن قيس كان يقول لنفسه:- قومي يا مأوى كل سوء، فوعزة ربي لأزحفنّ بك زحف البعير، وإن استطعت أن لا يمس الأرض زهمك (شحم الجسم)

لأفعلن، ثم يتلوى كما يتلوى الحبُّ على المقلى، ثم يقوم فينادي:- اللهم إن النار قد منعتني من النوم، فاغفر لي.

*- وتعبد رجل ببيت شعر سمعه:-

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها لنفسي في نفسي عن الناس شاغل

*- إخوتي الأحباب الكرام:- إن فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض والدعة والاطمئنان، وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان، والاستواء على مرتضاه، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس هي والله الفتنة الكبرى.

*- ولكن ما الحل إخوتي الكرام لننفي عن أعمالنا حظ النفس ليقبلنا الله؟.

*- النفس تصهرها المجاهدة فتنفي عنها الخبث، وتستجيش كامن قواها المذخورة فستيقظ، ويكفي قول الله عزَّ وجلَّ:- {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ }،(العنكبوت:- ٦٩).

*- قال أبو يزيد البسطامي:- عالجت كل شيء، فما عالجت أصعب من معالجة نفسي، ما شيء أهون عليَّ منها.

*- وقال:- دعوت نفسي إلى الله فأبت عليَّ واستصعبت، فتركتها ومضيت إلى الله تعالى.

*- وقيل لبعض أهل الرياضة:- كيف غلبت نفسك؟، فقال:- قمتُ صفَّ حربها بسلاح الجدِّ، فخرج مرحب الهوى يدافع، فعلاه العزم بصارم الحزم، فلم تمضِ ساعةٌ حتى هلكت خيبر.

*- وقيل لآخر:- كيف قدرت على هواك؟، فقال:- خدعته حتى أسرته، واستلبت عوده فكسرته، وقيدته بقيد العزلة، وحفرت له مطمور الخمول في بيت التواضع، وضربته بسياط الجوع فلانَ، يا فلان:- ألك في مجاهدة النفس نيةٌ، أم النيةُ نيةٌ؟، أتعبتني أنت أنت، إلى متى تجول في طلبٍ هجولٍ؟!، ما عزَّ يوسف إلا بترك ما ذلَّ به ماعزٌ.

*- إخوتي الكرام:- لا يقبل الله عملًا فيه حظ للنفس، فخلوا أنفسكم وتعالوا إلى الله، واستعينوا بالله عليها بالمجاهدة والإحسان في المعاملة، قال ربي وأحق القول قول ربي:- { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ }،(العنكبوت:- ٦٩).

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل السادس عشر:- ‘‘الأمـــر كلـــه بيـــد الله تعالـــى، فســـــــــــلِّمْ تَسْلَـــــــــــــــــمْ’’

*- قال الله تبارك وتعالى عن إبراهيم عليه السلام:- { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ }،(البقرة:- ١٣١ – ١٣٢).

*- قال ابن كثير رحمه الله:- ‘‘فقوله تبارك وتعالى:- {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، أي:- أمره الله تبارك وتعالى بالإخلاص له والاستسلام والانقياد، فأجاب إلى ذلك شرعًا وقدرًا.

*- وقوله تعالى:- { وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ } أي:- وصى بهذه الملة وهي الإسلام لله، أو يعود الضمير على الكلمة، وهي قوله:- { أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } لحرصهم عليها ومحبتهم لها فحافظوا عليها إلى حين الوفاة، ووصوا أبناءهم بها من بعدهم’’.

*- فسلم لربك يا طالب الوصول، فالأمر كله له، قال الملك جلَّ في علاه:- { إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ

يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) }،(آل عمران:- ١٥٣ - ١٥٤) .

*- ‘‘وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ’’، نعم:- فكم من أُناسٍ فى هذه الدنيا لا هم لهم إلا أنفسهم، سلموا أمرهم لأنفسهم لا لله، وقديمًا قالوا:- من عاش لنفسه عاش صغيرًا ومات حقيرًا، فسلم نفسك لله وحده يأمرها وينهاها بما هو أنفع وأصلح لها، فهو سبحانه عليم حكيم، ضع يديك ورجليك فى قيود الشريعة الفضية لتتحرر من ذل العبودية لغير الله، سلم تسلم فالأمر كله لله.

*- كم رأينا رجلًا أهم شيء لديه أن يأكل ويشرب ويلبس وينام، أهم شيء لديه مزاجه، أما العيال فمالي وللعيال!، فأنا الذي آتي بالعيال، وكذلك الزوجة؟، وما لي بالزوجة، فلتذهب لأهلها يطعموها، وعن الآخرة يقول:- حينما يأتي الحساب ستفرج!.

*- طبعا أنت ستتعجب هذا الرجل، فكلامه لا يقوله إلا جاهلٌ أو عاصٍ، ولكن لا تعجب، فهذا الكلام موجود بداخل الكثير منَّا معاشر المسلمين الأفاضل، وإن كان لا يقوله بلسانه، نعم:- كثير منّا يود أن يعيش لنفسه ونفسه فقط، ودعونا نتصارح حتى نعالج تلك المشاكل، وإلا فسيظل السوس ينخر في العظم، في عظم الأمة.

*- إن سبب مصائبنا اليوم أنفسنا، ترانا " منكوسين موكوسين، " لماذا؟، من أنفسنا، لماذا تكالبت علينا الأمم؟ شرذمة قليلة من الكفرة والملحدين والمشركين يضربوننا على أم رؤوسنا لماذا؟، لماذا استضعفونا واستهانوا بنا؟، لهواننا على أنفسنا، مع أننا أكثر من هؤلاء الناس جميعًا، وعندنا كل الإمكانيات التي تؤهلنا لسيادة العالم ولكن لا نسود، لأن " السوس " في قلوبنا.

*- إن أول نصر الدين أن تصلح نفسك، فمن هنا المنطلق، ومن هنا البداية، وإصلاح النفس يكون بتسليمها لله بكل حب ورضا يأمرها وينهاها.

*- فالبداية أخي الحبيب الغالي من نفسك، وهذا الكلام والله هو الجوهر الثمين الغالي، وهو الأساس المتين، وفي هذا المعنى البديع الجميل يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وعنا به:-

'' وقد مضت مشيئة الله بألا دخول عليه إلا من باب الحبيب سيدنا محمد ﷺ أفضل منيب، والفرج القريب، ولا دخول على محمد إلا من باب العارف بالله تعالى، ولا دخول على العارف إلا بمفارقة النفس وهواها، وما أنت بقادر على ذلك إلا بالتسليم ومحبة من يقودك في الطريق، ابتغاء مرضاة ربه والصادق المصدوق، ويرعاك بجاهه عند مولاه ويرجو لك التوفيق، فما أحوجك لدخول مدرسة المحبة في كنف العارفين، وما أفلحك إن سلمت لهم وأطعتهم في إقامة الدين، كيف تمنعك الدنيا وهل متاعها ومضمون، ماذا تقول عدا لمولاك إن هي شغلتك عنه بزخرف وشئون وقد وصفها لك حيث قال:- لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء''.

*- فهذا والله قانون إلهي عظيم:- { إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ }،(الرعد:- ١١)، وقوله تعالى:- { ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ }،(الأنفال:- ٥٣).

*- وإن الذي يتحدث عن التغيير في كل شيء إلا من عند نفسه لن يغير شيئًا على الإطلاق، فالبداية إذًا من أين؟، من عند أنفسنا، وهذا ليس من عندي، ولكنه كلام الله كما تبارك وتعالى كما ذكر أعلاه.

*- إذًا فلابد من التحديق، تدري معنى التحديق؟، التحديق في ذوات أنفسنا، أي شيء في أنفسنا يجب أن يتغير؟، فَغَيِّرْ نفسك وسلم نفسك لا لنفسك ولكن لله.

*- يقول الله تبارك وتعالى:- { وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ }،(آل عمران:- ١٥٤)، يقول هؤلاء المنافقون:- من الذي أتى بنا إلى هنا، ما لنا ولهذا الأمر؟!، كالذين يقولون:- ما لنا ولغيرنا؟!، ما لنا وللآخرين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؟، ويقولون:- هم الذين باعوا أرضهم، وفرطوا في عرضهم، إن القضية يا هؤلاء:- ليست قضية المسلمين هنا وهناك، ولكنها قضية الإسلام والكفار، فالقضية قضية إسلام وكفر.

*- وإن الذي يهتم ويحزن لأحوال المسلمين ينبغي أن يفكر في نفسه فيصلحها لتتصلح أمته الجريحة، وليسلم لله وليقل بلسان الحال والمقال:- سمعًا وطاعة يا رب:- { وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }،(البقرة : ٢٨٥)، فلا يترك السنة المطهرة في كافة الأمور، ويقول إن الأمر جدَّ عسير، لا والله فأين السمع والطاعة إذًا؟!، أين التسليم الذي نتحدث عنه ؟!، أنت لم ترح نفسك عند تركك للسنة، بل عصيت ربك الذي بيده الأمر والنهي.

*- لماذا سجن الإمام أحمد بن حنبل؟، من أجل العقيدة، يقولون له:- القرآن مخلوق، قال لهم:- القرآن كلام الله غير مخلوق، سجنوه وضربوه، الذي ضربه قال:- ضربت أحمد سبعة عشر سوطًا لو ضربها لجبلٍ لانهدَّ، نعم:- سجن، وفي شعب أبى طالب كم ضرب أناس!، والنبى ﷺ نفسه سجن وضرب، فالتأديب بالسجن والضرب الآن ليس جديدًا، كما قال الله عزَّ وجلَّ:- { مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ }،(فصلت:- ٤٣).

*- أبو سيدنا إبراهيم عليه السلام قال له:- { لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ }،(مريم:- ٤٦).

*- فرعون قال لسينا موسى عليه السلام:- { لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ }،(الشعراء:- ٢٩).

*- فهذه سنة كونية، سنة دائمة لا تتغير، وابتلاء أحمد بن حنبل كان من أجل كلمة ما أسهل أن يتنازل عنها الناس اليوم، بل والملتزمون منهم.

*- قال أبو سعيد الواسطي:- دخلت على أحمد السجن قبل الضرب فقلت:- يا أبا عبدالله:- عليك عيال ولك صبيان وأنت معذور، كأني أسهل عليه الإجابة، كأنه يقول له بلغة عصرنا:- وراءك عيال وتحتاج إلى تربيتهم، قل لهم الكلمة التي يريدونها، '' القرآن مخلوق ''، واخرج من هنا، ألست من داخل قلبك تعتقد أن القرآن كلام الله؟!، إذًا لا حرج عليك طالما أن قلبك مطمئن بالإيمان!، فقال الإمام أحمد:- '' يا أبا سعيد، إن كان هذا عقلك فقد استرحت!''، وما أكثر أصحاب العقول المستريحة في زماننا، أراح دماغه، وغير عابىءٍ بأي أمرٍ، وتارك نفسه مع الماشي، وحينما يموت لا يجد إلا النار.

*- لذلك إحبتي الكرام:- حينما يقول الله تعالى:- { يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ }، (آل عمران:-١٥٤)، نقول له:- { قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ }،(آل عمران:-١٥٤).

*- إن الأمر أمر الله، فإذا أرادك أن تحمل فاحمل ما أمرك به، هذه مسئوليتك، وهذه هي الأمانة التي قال الله عنها:- { إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا }،(الأحزاب:- ٧٢)، احمل مسئولية هذا الدين، فالدين أمانة، الدين نسبك وصهرك، الدين مسئولية كل مسلم، الدين مسئوليتك الشخصية، وسوف تسأل عنه، ووالله ثم والله لتسألن عن دين الله، ماذا عملت به، وماذا قدمت له؟.

*- قال أبو بكر الصديق لما منعوا الزكاة:- أينقص الدين وأنا حيٌّ؟!، كلا والله، فهل ينقص وأنت حيٌّ، هل ينقص الدين في بيتك وفي منطقتك وفي أرضك وفي كل العالم؟!، نعم ينقص، لأنك لم تحمله.

*- والمنافقون هم الذين لا يريدون أن يحملوا الدين:- { يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ }،(آل عمران:-١٥٤)، يقولون لأنفسهم:- ما الذي أتى بكم إلى هنا؟!، {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ }،(آل عمران:- ١٥٤)، لو كان الموضوع بأيدينا!، ما الذي جاء بنا إلى هنا؟!، ما لنا وللقتال، لماذا نقاتل؟!، لا فليس الأمر بأيديكم، { قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }،(آل عمران:- ١٥٤)، لو لم يأتكم رسول ولو لم تخرجوا لقتلتم هنا أيضًا، طالما أنه سبحانه وتعالى كتب عليكم أن تقتلوا هنا فسوف تقتلون هنا ولا محالة، وهذا قدر.

*- فأطع ربك تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، ونفذ أوامره، فالأمر كله له لا لمن تخاف منهم، سلم تسلم، فالذي أمرك الله، الله العزيز، الله الجبار، الله اللطيف، { اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ }،(الشورى:- ١٩)، الله الرحيم، الله الحفيظ، فكن معه، فأنت في حماه، ولن يضيعك أبدًا، فهو الله.

*- كلمة جليلة جدًّا لأبي إسماعيل الهروي يبين فيها هذا الأصل:- فيقول:- '' أن تعلم أن الأمر صادر من عين من لا يخاف عواقب الأمر ''، فالذي أمرك مَنْ؟، الله عزَّ وجلَّ هل يخاف؟،. أعوذ بالله

وحاشا لله، قال ربى تبارك وتعالى:- { فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) }،(الشمس:- ١٤ – ١٥)، فكن معه وسيحميك ويحرسك ويحفظك ويسددك وينجيك، وإن ابتلاك فسيرضيك.

*- قال ابن القيم رحمه الله:- '' اصدق الله، فإذا صدقت عشت بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيك ما تحذره، ولطفه يرضيك بما يقدره ''.

*- ستعيش وتحيا بين العطف واللطف، فيعطف عليك، فكل ماتخاف منه لن يحدث، لأنه سبحانه وتعالى هو الملك فلا يجري في الكون شيء إلا بقدره وإذنه ومشيئته، فسيحميك بعطفه، وإذا قدر عليك شيئًا تكرهه فسيرضيك بلطفه، إذًا فكن لله كما يريد، يحميك ويرضك، فسلم له تسلم.

*- فلان كان يقود السيارة وفي لحظة القدر لم يرَ أمامه، فكانت الحادثة، وفيها حصل العطف واللطف، فالعطف:- أن السيارة تكسرت لكنه خرج هو وأولاده سالمين، هذا عطف.

*- أما اللطف:- فإنه نزل من السيارة ساجدًا يقول:- الحمد لله، يقولون له:- السيارة انتهت، فيقول:- يا أخي، الحمد لله، الحمد لله، فهذا لطف، وعلى العكس، فكل من يخالف أمر الله تبارك وتعالى، وسنة الحبيب عليه الصلاة والسلام، فيعصي الله ورسوله ﷺ، فإذا كلمته ونصحته وذكرته بالله تعالى وبسنة الحبيب ﷺ تأذى من النصيحة، ولربما تطاول عليك، فلا هو نفذ الأمر فعاش بعطف الله، ولا هو سكت فعاش سعيدًا وفاز بلطف الله.

*- وهكذا، إذا عشت لله فنفذت أوامره، وسلمت له زمام نفسك فأطعته في كل مايأمرك به، سلمت، وسيرك بين عطفه ولطفه، اللهم احفظنا بعطفك ولطفك يا رب، فسلم تسلم لتصل فالأمر كله لله.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل السابع عشر:- ‘‘دليـــــــل عـــــدم رضـــــــاه عنـــــك.. عـــــــدم رضـــــــــــاك عنـــــــــــــــه’’

*- رجل تضايقه زوجته بعض الشيء، ولكنه رجلٌ صالحٌ وراضٍ وصابرٌ ويقول:- بذنوبي هذا الرجل الراضي يفاجأ بأن الله يرضيه، فيأتيه برجل يجلس بجواره ويقول له:- يا أخي:- لا أدري ماذا أفعل مع زوجتي!، كلما أكلمها كلمة توبخني وتهينني، فيقول صاحبنا:- اللهم لك الحمد، إذًا فأنا في نعمة.

*- ورجل آخر كلما تضايقه زوجته يقول:- يا رب:- ماذا عملت في دنياي حتى تبتليني بهذه البلوى؟!، فيقعد الله له رجلًا بجواره يقول له:- يا أخي سبحان الله! لماذا تعذب نفسك؟، طلقها واسترح من مشاكلها!، ولو رضي لأرضاه الله.

*- قال سفيان:- قال الحسن:- من رضي بما قسم الله له وَسِعَهُ وبارك الله له فيه، ومن لم يرضَ لم يَسِعْهُ، ولم يبارك له فيه.

*- وقال أبو عثمان الحيري:- منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، وما نقلني إلى غيره فسخطته.

*- لقد حدث لأحد الإخوة موقف عجيب، كان نائمًا بالليل فعطش فقام يشرب ورجع فوجد زوجته قد استيقظت وتقول له:- أين كنت؟ فقال:- كنت أشرب فبكت وقالت له:- لِمَ لَمْ توقظني؟ لِمَ لَمْ تأمرني؟ ما فائدتي إذن؟!.

*- فالذي وضع هذا الرجل لهذه، ووضع هذه لهذا من؟، الله فحينما ترضى يرضيك، وحينما تسخط يزيدك سخطًا، قال رسول الله ﷺ:- " إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط "،[صححه الألباني]، هذه هي القضية:- أنك إذا كنت راضيًا دائمًا، أرضاك الله وبعث إليك ما يرضيك ومن يرضيك.

*- والقصة التي مرت من خير الشواهد، قصة حدير:- لما مشوا ووجد كل واحد منهم في يده الهدية لم يقل:- وأنا؟ وَلَمْ يرجعْ ليقول:- أنا لم آخذ هديتي يا رسول الله، ولو طلب لأعطاه الرسول ﷺ، لكنَّ الرجل كان راضيًا، فيكفيه أن الله ذكره، ولما ذكر الرسول ﷺ به، أرسل إليه هديته بسرعة، فحاز الهدية وذكر الله لرضاه.

*- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه معروف أنه كان مستجاب الدعوة، وكان قد كُفَّ بصره في آخر عمره، قال له ابنه:- يا أبت أراك تدعو للناس! هلا دعوت لنفسك أن يرد الله عليك بصرك، قال:- يا بني، قضاء الله أحب إليَّ من بصري.

*- إخوتي الأحباب الكرام:- هل أنتم راضون عن الله؟، هل فعلًا قضاء الله وقدره أحب إليكم مما أنتم فيه من بلاء وفتنة وغربة؟، إذا أردتم أن تتأكدوا، فالرضا عن الله يصح بثلاثة شروط ذكرها ابن القيم في المدارج:-

الأول:- استواء النعمة والبلية عند العبد، لأنه يشاهد حسن اختيار الله له.

الثانى:- سقوط الخصومة عن الخلق، إلا فيما كان حقًّا لله ورسولـــه ﷺ.

*- فالراضي لا يخاصم ولا يعاتب إلا فيما يتعلق بحق الله، وهذه كانت حال رسول الله ﷺ، فإنه لم يكن يخاصم أحدًا، ولا يعاتبه إلا فيما يتعلق بحق الله، كما أنه لا يغضب لنفسه، فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله، فالمخاصمة لحظ النفس تطفىء نور الرضا وتذهب بهجته، وتبدل بالمرارة حلاوته، وتكدر صفوه.

*- والشرط الثالث:- الخلاص من المسألة للخلق والإلحاح، قال الله تبارك وتعالى:- {يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا }،(البقرة:- ٢٧٣)، قال ابن عباس:- إذا كان عنده غداء لم يسأل عشاء، وإذا كان عنده عشاء لم يسأل غداء.

*- ثم يبين رحمه الله أن منع الله تعالى لعبده عطاء، وابتلاءه إياه عافية فيقول:-

*- '' فإنه سبحانه وتعالى لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، ساءه ذلك القضاء أو سره''.

*- فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء، وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كانت في صورة محنة، وبلاؤه عافية، وإن كان في صورة بلية، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذّ به في العاجل، وكان ملائمًا لطبعه، ولو رزق من المعرفة حظًّا وافرًا لعدَّ المنع نعمة، والبلاء رحمة، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية، وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنى، وكان في حال القلة أعظم شكرًا من حال الكثرة.

*- فالراضي:- هو الذي يعد نعم الله عليه فيما يكرهه أكثر وأعظم من نعمه عليه فيما يحبه، كما قال بعض السلف:- ''ارضَ عنِ اللهِ في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضى عنه طرفة عين، فتسقط من عينه ''.

*- إخوتي الكرام:- قال الثوري يومًا عند رابعة:- ''اللهم ارضَ عنا''، فقالت:- أما تستحي أن تسأله الرضا عنك وأنت غير راض عنه؟، فقال:- أستغفر الله، ثم قال لها جعفر بن سليمان:- متى يكون العبد راضيًا عن الله؟، قالت:- إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة.

*- ودخل رجل على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه، فقال:- إن أحبه إليَّ أحبه إلى الله عزَّ وجلَّ.

*- وقيل ليحيى بن معاذ:- متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟ فقال:- إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول:- إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت.

*- وعن حفص بن حميد قال:- كنت عند عبدالله بن المبارك بالكوفة حين ماتت امرأته، فسألته:- ما الرضا؟ قال:- الرضا:- لا يتمنى خلاف حاله.

*- ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال:- إني لأرحمك من هذه القرحة، فقال:- إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني.

*- بشير الطبري كان عنده مزرعة فيها أربعمئة جاموسة، ثروة تقدر بمليون جنيه اليوم، فهجم الروم يومًا عليها، فساقوا الجواميس كلها، وكان عنده مئة عبد يحرسونها، فأرسل هؤلاء العبيد إلى بشير أن قد أخذت الجواميس، فركب مع ولد له إليهم، فلما وصل إلى المزرعة لقيه العبيد يبكون، يا سيدنا، يا مولانا:- أخذت الجواميس، فقال:- وأنتم أيضًا:- اذهبوا فأنتم أحرار لوجه الله تعالى، فقال له ابنه:- أفقرتنا يا أبتاه، فقال:- اسكت يا بني، إن الله أراد أن يبتلي رضائي به، فأحببت أن أزيده، رحمك الله يا بشير، إن الله يمتحنني أأرضى بقضائه أم لا، قلت له:- لا أنا راضٍ جدًّا، وهذه الزيادة أيضًا من أجلك يا رب، اذهبوا فأنتم أحرار لوجه الله تعالى!.

العبدُ ذوْ ضجرٍ والربُّ ذوْ قــدرٍ والدهرُ ذوْ دولٍ والرزقُ مقســومُ

والخيرُ أجمعُ في ما اختارَ خالقُنَا وفي اختيارِ سواهُ اللومُ والشــومُ

*- يقول ابن القيم رحمه الله تعالى:-

*- ‘‘ وثمرة الرضا:- الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى، ورأيت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في المنام، وكأني ذكرت له شيئًا من أعمال القلب، وأخذت في تعظيمه ومنفعته لا أذكره الآن، فقال:- أما أنا فطريقتي:- الفرح بالله، والسرور به، أو نحو هذا من العبارة ‘‘.

*- إلهي:- سِسْنَا كيف شئت، فسوف نرضى يا إلهي:-

إِذَا ارتحلَ الكرامُ إليكَ يومًا ليلتمسوكَ حالًا بعدَ حــالِ

فإنَّ رحالنَا حطَّتْ لِتَرْضى بِحِلْمِكَ عنْ حلولٍ وارتحالِ

أَنَخْنَا في فنائِكَ يا إلهــي إليكَ معرضينَ بلا اعتدالِ

فَسِسْنَا كيفَ شئتَ وَلَا تَكِلْنَا إلى تدبيرِنَا يَا ذَا المعالي

*- يقول ابن الجوزي عليه رحمة الله وبركاته في " صيد الخاطر " تحت عنوان " فصل:- تذكر أحوال الرسول ﷺ ":-

*- '' من أراد أن يعلم حقيقة الرضى عن الله عزَّ وجلَّ في أفعاله، وأن يدري من أين ينشأ الرضا، فليتفكر في أحوال الرسول ﷺ ''.

*- فإنه لمّا تكاملت معرفته بالخالق سبحانه وتعالى رأى أن الخالق مالك، وللمالك التصرف في مملوكه، ورآه حكيمًا لا يصنع شيئًا عبثًا، فسلمْ تسليمَ مملوكٍ لحكيمٍ، فكانت العجائب تجري عليه ولا يوجد منه تغير، ولا من الطبع تأفف.

*- ولا يقول بلسان الحال:- لو كان كذا، بل يثبت للأقدار ثبوت الجبل لعواصف الرياح.

*- هذا سيد الرسل ﷺ بُعِثَ إلى الخلق وحده، والكفر قد ملأ الآفاق فجعل يفر من مكان إلى مكان، واستتر في دار الخيزران، وهم يضربونه إذا خرج، ويدمون عقبه، وَشُقَّ السلى على ظهره وهو ساكت ساكن.

*- ويخرج كل موسم فيقول:- من يؤويني، من ينصرني؟.

*- ثم خرج من مكة فلم يقدر على العود إلا في جوار كافر، ولم يوجد من الطبع تأفف.

*- إذ لو كان غيره لقال:- يا رب، أنت مالك الخلق، وقادر على النصر، فَلِمَ أُذَلُّ؟.

*- كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه يوم صلح الحديبية:- ألسنا على الحق؟ فَلِمَ نعطى الدنية في ديننا؟.

*- ولما قال هذا، قال له الرسول ﷺ:- '' إني عبدالله، ولن يضيعني ''، فجمعت الكلمتان الأصلين اللذين ذكرناهما.

*- فقوله:- إني عبدالله، إقرار بالملك وكأنه قال:- أنا مملوك يفعل بي ما يشاء.

*- وقوله:- لن يضيعني، بيان حكمته، وأنه لا يفعل شيئًا عبثًا.

*- ثم يبتلى بالجوع فيشد الحجر، ولله خزائن السماوات والأرض.

*- وتقتل أصحابه، ويشج وجهه، وتكسر رباعيته ويمثل بعمّه وهو ساكت.

*- ثم يرزق ابنًا ويسلب منه، فيتعلل بالحسن والحسين فيخبر بما سيجرى عليهما.

*- ويسكن بالطبع إلى عائشة رضى الله عنها، فينغص عيشه بقدفها.

*- ويبالغ في إظهار المعجزات، فيقام في وجهه مسيلمة والعنسي وابن صياد.

*- ويقيم ناموس الأمانة والصدق، فيقال:- كذاب ساحر.

*- ثم يعلقه المرض كما يوعك رجلان، وهو ساكن ساكت.

*- فإن أخبر بحاله فليعلم الصبر.

*- ثم يشدد عليه الموت، فيسلب روحه الشريفة وهو مضطجع في كساء ملبد وإزار غليظ، وليس عندهم زيت يوقد به المصباح ليلتئذ.

*- هذا شيء ما قدر على الصبر عليه كما ينبغى نبي قبله، ولو ابتليت به الملائكة ما صبرت.

*- هذا سيدنا آدم عليه السلام:- يباح له الجنة سوى شجرة، فلا يقع ذباب حرصه ألا على العقر، ونبينا ﷺ يقول في المباح:- '' مالي وللدنيا ''!.

*- وهذا سيدنا نوح عليه السلام:- يضج مما لاقى، فيصيح من كمد وجده:- { رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا }،(نوح:- ٢٦)، ونبينا ﷺ يقول:- " اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون ".

*- هذا الكليم سيدنا موسى ﷺ:- يستغيث عند عبادة قومه العجل على القَدَرِ قائلًا:- { نْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ}،(الأعراف:- ١٥٥)، ويوجه إليه ملك الموت فيقلع عينه.

*- وسيدنا عيسى ﷺ يقول:- " إن صرفت الموت عن أحد فاصرفه عنّي "، ونبينا ﷺ يخير بين البقاء والموت، فيختار الرحيل إلى الرفيق الأعلى.

*- وهذا سيدنا سليمان ﷺ يقول:- هب لي ملكًا، ونبينا ﷺ يقول:- " اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا ".

*- هذا والله فعل رجل عرف الوجود والموجد فماتت أغراضه وسكنت اعتراضاته فصار هواه فيما يجري".

*- فإذا رضيت يا عبد الله، فاعلم أن الله راضٍ عنك، فدليل عدم رضاه عنك عدم رضاك عنه، فَارْضَ عن الله تصل إليه، وتذكر دائمًا أحوال الرسول ﷺ.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الثامن عشر:- ''إياك أن تمكر به فيمكر بك''

*- تدبر معي هذه الآيات:- قال الله تبارك وتعالى:- { وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ }، (فاطر:- ١٠)، وقال الله تبارك وتعالى:- { وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}،(الأنفال:-٣٠)، وقال الله تبارك وتعالى:- { وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ }، (إبراهيم:- ٤٦)، وقال الله تبارك وتعالى:- { وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }،(النمل:- ٥٠ – ٥٢)، وقال الله تبارك وتعالى:- { قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ }،(النحل:- ٢٦)، وقال الله عزَّ وجلَّ:- {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ }،(يونس:- ٢١)، وقال الله عزَّ وجلَّ:- {وَمَا يَمْكُرُونَ إِلا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }،(الأنعام:- ١٢٣)، وقال الله عزَّ وجلَّ:- { وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }، (النمل:- ٥٠)، وقال الله عزَّ وجلَّ:- { أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ }،(النحل:- ٤٥ – ٤٧)، وقال الله جلَّ وعلا:- { سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ }،(الأنعام : ١٢٤)، وقال الله جلَّ وعلا:- { اسْتِكْبَارًا

فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ }،(فاطر:- ٤٣)، وقال الله جلَّ وعلا:- { وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ }،(فاطر:- ١٠)، وقال الله جلَّ وعلا:- { وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ }،(الرعد:- ٤٢)، وقال الله جلَّ وعلا:- { أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ }،(الأعراف:- ٩٩).

*- إن التأمل في هذه الآيات ومعاودة قرآتها بتأنٍ وتدبرٍ يغرس في القلب الخوف من المكر، فها هي عاقبة المكر تراها واضحة أمامك في الآيات، وكأن الآيات تقول لك:- ‘‘إياك أن تمكر، إياك، قال رسول الله ﷺ:- " المكر والخديعة والخيانة في النار "،[صححه الألباني]، فإياك أن تمكر فيمكر بك.

*- كثير من الناس يعيش في هذه الدنيا يعامل الله بالمكر غباء محكم، ويتعامل مع زوجته بالمكر، ومع أبيه بالمكر، ومع مديره وزميله في العمل بالمكر، ومع جاره ومن حوله بالمكر، فيظن أنه يستطيع أن يمكر بالله!.

*- كلمة خطيرة لابن الجوزي يقول فيها:- " تصر على المعاصي وتصانع ببعض الطاعات والله إن هذا لمكر.

*- فتراه قد امتلأ قلبه بالغل والحقد والحسد لأخيه المسلم، ويظن به ظن السوء، ويجلس في المسجد أمام الخطيب وهو يفكر في إيذاء أخيه والانتقام منه، أو تدبير مكيدة له للانتقام لنفسه لا لله رب العالمين، إصرارٌ على المعصية، أتمكر بربك؟!، يأكلُ الحرامَ ويواعدُ على رشوةٍ، ومع ذلك يصلى ويتصدق وحاجز في العمرة، تمكر بمن أخي الحبيب الغالي؟!.

*- وستجد من يجلس في المسجد يستغفر وهو مصرٌّ على المعصية، ويقول:- اللهم تب عليَّ!، بمن تمكر يا أخي الحبيب؟!، وأعجب من هؤلاء جميعًا من إذا سمع بهذا الكلام قال وهو مصرٌّ على ما هو فيه:- إن الله غفور رحيم، وإنه بعبادة لرؤوف رحيم، ولكن أقول لك أخي الحبيب الغالي هذا الكلام لتكن على بينة من أمرك، لكي لا تمكر بربك، فهو الذي خلقك ويعلمك.

*- فالذي قد امتلأ قلبه بالغل والحقد والحسد لأخيه المسلم، ويظن به ظن السوء، ويجلس وهو يفكر في إيذاء أخيه والانتقام منه، أو تدبير مكيدة له للانتقام لنفسه لا لله رب العالمين وجاء ليصلي يمكر، نعم:- هذا مكر، وتعجب من قوله حين يسمع بهذا الكلام استخفافًا بحق الله تبارك وتعالى وهو مصرٌّ على ما هو فيه من المعصية:- إن الله غفور رحيم، وإنه بعباده لرؤوف رحيم، فبدلًا من أن تقول:- تبتُ إلى الله، اللهمَّ تب عليَّ يا كريم، ووفقنا للتوبة، وهييء لنا أسبابها، واقبلها منها، وجنبنا اللهم المكر والخداع، تقول هذا الكلام؟!، سَلِّمْ يا ربِّ سَلِّمْ، تُصِرُّ على المعاصي وتصانع ببعض الطاعات إن هذا لمكر، فالمفترض والمتوقع حينما أقول لك هذا الكلام أن تقول:- لا للمعصية، لا للمعصية، اللهم سمعنا وأطعنا، اللهم لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

*- وفرق كبير بين الذي يعصي ثم يستغفر ويتوب ويندم ويعزم على ألا يعود، وبين من يمكر السيئات، وفرق كبير من يعمل السوء بجهالة ثم يتوب من قريب، وبين الذي يدبرُ ويمكرُ ويصرُّ ويستمرُّ.

*- هذا هو الملحوظ الخطير عند تأمل الآيات السابقة:-

*- أنك تجد التفريق بين من يتورط في المعصية عند غلبة الشهوة مع الجهلة وشدة الغفلة، وبين من يمكر للموضوع فيحتال ويدبر ويحتاط ويلف ويدور، ويبحث عن الشبهات ويتعامى عن الضوابط، لذا كانت عقوبة الماكر أشد بكثير من عقوبة العاصي.

*- لذا إذا قلت لك:- تصانع بالطاعات وأنت مصرٌّ على المعاصي، فقل ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وابكِ واندمْ على ما فرط منك، وحطَّ رأسك واستغفر ربك فهو غفار الذنوب، اللهم تب على كل عاص مسلم يا رب.

*- وتأمل معي قصة أصحاب السبت لمّا مكروا على الله، واستخفوا بزواجره، مسخوا قردة وخنازير.

*- قال الله تبارك وتعالى:- { وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ }، (الأعراف:- ١٦٣)، أي:- واسأل يا محمد يهود المدينة عن أخبار أسلافهم وعن أمر القرية التي كانت

بقرب البحر وعلى شاطئه ماذا حلَّ بهم لما عصوا أمر الله واصطادوا يوم السبت؟، ألم يمسخهم قردة وخنازير؟!، والاعتداء في السبت مجرد معصية أهون من كثير من معاصيهم، كقتل الأنبياء وطلب رؤية الله جهرة، وطلب أصنام وعبادة عجل، الاعتداء في السبت أخف من كل هذا بلا شكٍّ، وفي كل هذا لم يمسخوا، وإنما مسخوا باعتدائهم في السبت، وهذا يدلك على أن العقوبة لم تكن على مجرد المعصية، وإنما العقوبة على المكر.

*- قال الفيروزآبادي:- '' إن معصيتهم هذه كان فيها استخفاف بالله ''، إذ حفروا الحُفَرَ يوم الجمعة ونصبوا عليها الشباك فوقعت فيها الأسماك يوم السبت وهم ينظرون، ثم جمعوا السمك يوم الأحد، وجلسوا كالمستخفين بربهم يوم السبت يضعون أيديهم في جيوبهم وهم ينظرون إلى السمك يتساقط في شباكهم التي نصبوها ويقولون:- يا رب، انظر كيف نحن مطيعون لك يوم السبت فلم نصنع شيئًا مطلقًا، وهيهات هيهات.

*- وتعال معي إلى سرد القصة بالكامل:-

*- " كان بنو إسرائيل قد طلبوا أن يجعل لهم يوم راحة يتخذونه عيدًا للعبادة، ولا يشتغلون فيه بشؤون المعاش، فجعل لهم السبت، ثم كان الابتلاء ليربيهم الله تعالى ويعلمهم كيف تقوى إرادتهم على المغريات والأطماع، وكيف ينهضون بعهودهم حين تصطدم بهذه المغريات والأطماع، وكان ذلك ضروريًّا لبني إسرائيل الذين تخلخلت شخصياتهم وطباعهم بسبب الذل الذي عاشوا فيه طويلًا، ولابد من تحرير الإرادة بعد الذل والعبودية، لتعتاد الصمود والثبات، فضلًا على أن هذا ضروري لكل من يحملون دعوة الله، ويؤهلون لأمانة الخلافة في الأرض، وقد كان اختبار الإرادة والاستعلاء على الإغراء هو أول اختيار وجه من قبل إلى آدم وحواء، فلم يصمدا له واستمعا لإغراء الشيطان بشجرة الخلد وملك لا يبلى!، ثم ظل هو الاختبار الذي لابد أن تجتازه كل جماعة قبل أن يأذن الله لها بأمانة الاستخلاف في الأرض، إنما يختلف شكل الابتلاء، ولا تتغير فحواه!.

*- ولم يصمد فريق من بني إسرائيل في هذه المرة للابتلاء الذي كتبه الله عليهم بسبب ما تكرر قبل ذلك من فسوقهم وانحرافهم، لقد جعلت الحيتان في يوم السبت تتراءى لهم على الساحل، قريبة المأخذ، سهلة الصيد، فتفوتهم وتفلت من أيديهم بسبب حرمة السبت التي قطعوها على أنفسهم!، فإذا مضى السبت وجاءتهم أيام الحلِّ، لم يجدوا الحيتان قريبة ظاهرة، كما كانوا يجدونها يوم الحرم!، وهذا ما أمر رسول الله ﷺ أن يذكرهم به، ويذكرهم ماذا فعلوا وماذا قالوا.

*- على أية حال، لقد وقع ذلك لأهل القرية التي كانت حاضرة البحر من بني إسرائيل، فإذا جماعة منهم تهيج مطامعهم أمام هذا الإغراء، فتتهاوى عزائمهم، وينسون عهدهم مع ربهم وميثاقهم، فيحتالون الحيل على طريقة اليهود للصيد في يوم السبت!، وما أكثر الحيل عندما يلتوي القلب، وتقلُّ التقوى، ويصبح التعامل مع مجرد النصوص، ويراد التفلت من ظاهر النصوص.

*- إن أوامر الشريعة ونواهيها لا يحرسها مجرد وجود النصوص في الكتب أو على ألسنة الدعاة والوعاظ، بل ولا السيف ولا المدفع، إنما تحرسها القلوب اليقظة التقية التي تستقر تقوى الله فيها وخشيته، فتحرس هي شريعتها وتحميها، قال رسول الله ﷺ:- " إنَّ الحلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحرامَ بَيِّنٌ وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه "، ثم عقب على ذلك بقوله:- " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"،[متفق عليه].

*- فمهما قلنا:- حلال، حرام، يجوز، لا يجوز، يجب، يكره، فلن يجدَ هذا الكلام صدىً إلا عند أصحاب القلوب التقية النقية والنوايا الطيبة.

*- " من أجل ذلك تفشل الأنظمة والأوضاع التي لا تقوم على حراسة القلوب التقية، وتفشل النظريات والمذاهب التي يضعها البشر للبشر ولا سلطان فيها من الله، ومن أجل ذلك تعجز الأجهزة البشرية التي تقيمها الدول لحراسة القوانين وتنفيذها، وتعجز الملاحقة والمراقبة التي تتابع الأمور من سطوحها!.

*- وهكذا راح فريق من سكان القرية التي كانت حاضرة البحر يحتالون على السبت، الذي حرم عليهم الصيد فيه، وروي أنهم كانوا يقيمون الحواجيز على السمك ويحوطون عليه في يوم السبت، حتى إذا جاء الأحد سارعوا إليه فجمعوه، وقالوا:- إنهم لم يصطادوه في السبت، فقد كان في الماء وراء الحواجيز غير مصيد ".

*- وأنى لهذا أن يدخل على الله، والله سبحانه وتعالى يراقب خلجات النفوس وأسرار القلوب، فمهما قالوا:- " غير مصيد " بألسنتهم، فقد اصطادوا بقلوبهم ونياتهم.

*- فيا من تصيدوا المعاصي والسيئات مكرًا وخداعًا، الله يراكم ويعلم نواياكم، فاتقوا الله واحذروا مغبة ذنوبكم وعاقبة فعلكم، ومهما خدعتم الناس ومكرتم على الخلق ودخل ذلك عليهم، فلن تخدعوا الله، وإذا مكرتم، فاعلموا أنه:- { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا }،(فاطر:- ٤٣).

*- يا من تملأ قلبك بالهموم وتدنسه بالمعاصي عامدًا، ثم تسأل الله سلامة القلب!، إن هذا لمكر مستمر في شحن قلبك بالهموم ومتعمد، تحمل همَّ المال، وهمَّ اللبس، وهمَّ الصيف، وهمَّ الشتاء، وهمَّ العيال، وهمَّ البنات، وهمَّ المرتب، وهمَّ الشغل، وهمَّ وهمَّ....، وتقول:- يا رب:- طهر قلبي، وأنت المداوم على تدنيسه!، إن هذا لمكر، اللهم طهر قلوبنا يا رب.

*- حريص على الدنيا، غافل عن الآخرة، كثير الذنوب، بطيء التوبة، ثم تشكو قسوة القلب!، إن هذا لمكر، إياك أن تمكر، كن صادقًا مع الله، لا تكن ثعلبًا، فالطريق وعرة، الطريق إلى الله وعرة، ولن تصل إلا بتوفيقه، أَفَبِهِ تمكر وهو دليلك الوحيد؟!.

*- ولذا إذا أردت الوصول إلى الله، فتب من المكر، واجعل همومك همًّا واحدًا هو الله، والهموم نجسة فطهر قلبك منها، اللهم طهر قلوبنا يا رب.

*- أسباب تطهير القلب من الهموم:-

*- ولكي أساعدك، ساعدني واستعن بالله بالله تعالى، فمن أسباب تطهير القلب من الهموم سبعة:-

***- أولًا:- الصـــــلاة علـــــــى النبـــــــــــــي ﷺ:-**

*- لما قال رجل:- يا رسول الله، اجعل كل دعائي صلاة عليك؟، قال:- " إذا يكفك الله ما أهمك " [حديث حسن].

*- وفي الرواية الثانية:- " يُغْفَرُ ذَنْبُكَ وَتُكْفَ ما أهمك "،[حسنه الألباني] .

*- أحد مشايخنا ذهب إليه رجل سُرِقَتْ سيارتُهُ، فقال له:- اذهب واجلس في المسجد وصلِّ الصلاة الإبراهيمية:- " اللهم صلِّ على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد "، وسبحان الله العظيم! ما ارتفعت الشمس بعد صلاة الفجر إلى الضحى إلا وعادت إليه سيارته، ولا شكَّ في ذلك، فهذا كلام النبي ﷺ:- صلِّ عليه يكفك الله ما أهمك،. أي شيء تحمل همه فأكثر من الصلاة على النبى ﷺ يفرج ويقضى ويحل.

***- ثانيًا:- قـــــــــراءة المعوذتيـــــــــــــــن:-**

*- قال رسول الله ﷺ:- من قرأ " قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق حين يصبح وحين يمسي كفاه الله كل ما أهمه " [حسنه الألباني]، ولكن الشرط أحبتي في الله:- اليقين والاحتساب، وهو أن أقرأها وأنوي بقرآتها أي يكفيني الله همومي، فأقرؤها وأنا أعلم يقينًا بأن الله قادر أن يكفيني همومي، وأن النبي صلى الله عليه وسلم صدق، اقرأها باليقين والاحتساب يكفك الله ما أهمك.

***- ثالثًا:- أكثـــــــر مـــــــن قـــــــول حسبـــــــــــي الله:-**

*- قال رسول الله ﷺ:- " من قال حين يصبح وحين يمسي حسبي الله لا إله ألا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، سبع مرات، كفاه الله كل ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة "،[أخرجه أبو داود].

*- أثناء قولك:- حسبي الله، تدبر معناها، حسبي الله، كفيلي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، تخيل القبر حتى يكفيك هم القبر، والصراط حتى يكفيك هم الصراط، وتطاير الصحف حتى يكفيك تطاير الصحف، والميزان حتى يكفيك هم الميزان، والعرض على الله حتى يكفيك هم العرض عليه.

***- رابعًا:- ذكـــــــــر دعـــــــــــاء الهـــــــــــمّ:-**

*- قال رسول الله ﷺ:- " من قال:- اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، وشفاء صدري، وجلاء همي وغمي، إلا أبدله الله مكان الهم فرجًا "، قالوا:- يا رسول الله:- أنتعلمها؟، قال:- " ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها "،[صححه أحمد شاكر]، إذًا فليلزم كل واحد منكم حفظ هذا الحديث.

***- خامسًا:- الاستغفـــــــــــــــــــــــــــــار:-**

*- قال رسول الله ﷺ:- " من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب "،[صححه أحمد شاكر].

***- سادسًا:- جعـــــل الهمـــــوم همّـــــــًا واحـــــدًا:-**

*- قال رسول الله ﷺ:- "من جعل الهموم همًّا واحدًا همَّ الآخرة كفاه الله ما أهمه، ومن تشعبت به الهموم لم يبالِ الله به في أي أودية الدنيا هلك "،[حسنه الألباني].

*- إذًا فليكن همك ليل نهار هو:- يا ترى هل الله راضٍ عني أم لا؟، هل لو متُّ الآن سأدخل الجنة أم النار؟، يا ترى سأقع على الصراط أم سأمر بسلام؟، يا ترى الميزان أي كفتيه ستخف؟، عند تطاير الصحف سآخذ باليمين أم بالشمال؟، هذا همك الرئيس والأساس:- الآخرة، أما هموم الدنيا فكثيرة وهينة على الله، ومن تشعبت به عاش شقيًّا ومات شقيًّا.

***- سابعًا:- الدعـــــــــــــــــــــــــــــاء:-**

*- الدعاء سلاحك، فادع الله أن يجمع عليك شملك ويكفيك ما أهمك، اضرع إليه وقل:- اللهم فرغ قلبي لك حتى لا يحول بيني وبينك شيء، اللهم اجعل همومي همًّا واحدًا هو لك، واجعل أشغالي شغلًا واحدًا هو بك، واجعل أفكاري فكرة واحدة هي فيك، ارحمني يا ربي وجمع شتات قلبي، اكفني ما أهمني

وغمني:- قل:- اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، ادع الله وهو سبحانه وتعالى قريب يستجيب دعاء المهموم المضطر.

*- وهكذا يا أخي في الله يا طالب الوصول فليكن همك همًّا واحدًا، فطهر قلبك من هموم الدنيا، وكن صادقًا، ولا تمكر بالله حتى لا يمكر بك فتكون من الهالكين الخاسرين، اجعل همك الذي تعيش له وتعيش به:- هو الدار الآخرة، رضا الله وفقط، فلا تمكر وإلا فلن تصل إلى الله على الإطلاق.

*- امتلأ قلبه بالغل والحقد والحسد لأخيه المسلم ويجلس في المسجد أمام الخطيب وهو يفكر في إيذاء أخيه والانتقام منه، أو تدبير مكيدة له للانتقام لنفسه لا لله رب العالمين.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل التاسع عشر:- اجعل نصب عينيك قوله تعالى:- ‘‘وأتـــــوا البيـــــــــوت مـــــــــن أبوابهـــــــــــــــا’’

*- إن الحقيقة التي لا شكَّ فيها ولا مراء، ولا جدال أن لكل باب مفتاحًا، فأتوا البيوت من أبوابها.

*- فبعض الناس إذا أراد أن يحصل على عسل من خلية النحل كسر بابها برجله ليأخذ منها العسل، مهلًا مهلًا فإن لباب الخلية مفتاحًا، فإذا كنت لا تعرف فأتِ بمن يعرف حتى تأكل عسلًا، وتترك الخلية تخرج العسل مرة ثانية، لا تكسر ولا تحطم باب الخلية.

*- أيها الإخوة الحباب الكرام:- إن بعضنا حينما يسير في الطريق إلى الله ويريد أن يجني شيئًا من الخير، تراه يهجم عليه بدون وعي ولا معرفةٍ لكيفية الوصول إليه، فهو لا يملك مفاتيح الوصول، سيكسب

عسلًا ولكن لآخر مرة، فافهم ولا تهجم، وادع الله أن يرزقك الفهم في دينك، اللهم فهمنا ما تحبه وترضاه لنفعله، اللهم بلغنا رضاك يا رب.

*- وقد ذكر ابن القيم فى كتابه القيم " حادي الأرواح الى بلاد الأفراح ":- ‘‘ اللهم بلغنا بلاد الأفراح يا رب ذكر مجموعة مفاتيح، فقال رحمه الله تعالى:-

***- " وقدْ جعلَ اللهُ سبحانهُ وتعالى لكلِّ مطلوبٍ مفتاحًا يفتحُ بهِ، فمفاتيحُ الخيرِ كثيـــــــرةٌ ومنهـــــــــا":-**

*- ‘‘فجعل مفتاح الصلاة الطهور، كما قال في كتابه:- ‘‘مفتاح الصلاة الطهارة، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له، والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق والسعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل ‘‘.

*- قال ابن القيم:- " مفتاح الصلاة الطهور "، فلكي تصلي كما ينبغي يجب عليك أن تتوضأ كما ينبغي، يقول العلماء:- وإذا أخطأ الإمام ولبس عليه في الصلاة، فإن هذا دليل على أن من خلفه لم يحسن الوضوء.

*- فانظر كيف تؤثر طاعة أو معصية المأموم على الإمام، وإذا كان تأثيره يصل إلى الإمام فما بالك على صلاته هو، إذًا حينما تقول لي:- أنا أشرد بذهني في الصلاة، أقول لك توضأ وضوءًا بحقٍ، نريد ونحن نتوضأ أن نحس بمعنى كل حركة، فإذا غسلت يديك فانظر للمياه واستشعر نزول الذنوب معها

التي جنتها يداك، قال رسول الله ﷺ:- " فإذا غسل العبد يديه خرجت كل خطيئة بطشتها يداه حتى تخرج من تحت أظفاره، فإذا تمضمض خرجت كل خطيئة بطشها لسانه حتى تخرج الخطايا من بين أسنانه " [أخرجه مسلم].

*- تخيل وأنت تغسل وجهك، تخيل الخطايا وهي تخرج من تحت أشفار عينك، عينك هذه التي كم جنت، فتوضأ بحقٍ، فالوضوء مفتاح الصلاة، " ومفتاح الحج الإحرام "، فإذا أحرمت كما ينبغي، استمتعت بالحج ، فحججت بحقٍ، فالمفاتيح كثيرة، ولكل باب مفتاح.

*- فأمسك المفاتيح يفتح لك الباب، أما إذا تركت المفاتيح وكسرت الباب، فستدخل، ولكن ستفقد العسل باقي عمرك.

***- وللشرِ أيضًا مفاتيـــــــــــــــــــــــح:-**

*- فمفتاح الزنا النظر، ومفتاح النار الإعراض عن الله، ومفتاح النفاق الكذب، ومفتاح الرياء الجدل، ومفتاح كل إثم الخمر، ومفتاح العشق الاختلاط، هذه مفاتيح الشر فاعرفها جيدًا.

*- قال ابن القيم:- " كما جعل الله سبحانه وتعالى الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحًا للنار، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم، وجعل الغنى مفتاح الزنا، وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي مفتاح الكفر، وجعل الكذب مفتاح النفاق، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة ".

*- فلذلك أيها الإخوة الأحباب:- ايتوا البيوت من أبوابها، فإذا أتيت الباب فاملك المفتاح تدخل وتصل.

*- أيها الإخوة الأحباب:- إننا بحاجة إلى أن نملك المفاتيح التي نفتح بها أبواب الخير إلى الله تبارك وتعالى.

*- قال ابن القيم:- " وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حقه وتوفيقه، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحًا وبابًا يدخل منه إليه ".

*- ثم يعقب رحمه الله في نهاية كلامه عن المفاتيح قائلًا:-

*- "وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر، فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له، والله من وراء توفيقه وعدله، له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ".

*- أخي في الله:- هذا أصل إياك أن تنساه، لكل خير باب، ولكل باب مفتاح، فإن أتيت الباب فقد أهلت للخير فاستعد، وكما يقول أهل الأمثال:- " إنما يسقط التفاح لمن يبحث عنه تحت الشجرة "، فهل الذي يبحث عن التفاح تحت عمود الكهرباء سينزل عليه تفاح؟!، لا يمكن، وإنما ينزل التفاح للذي يبحث عنه في مكانه المناسب، فلذلك لكل خير باب إذا أتيته فقد أهلت للخير، ولم يبقَ لك الا أن تفتح الباب، وإذا كان فتح الباب بالمفتاح، فالمفتاح لابد أن يكون له أسنان، قال رسول الله ﷺ:- " مفتاح الجنة لا إله إلا الله "،[أخرجه أحمد والبزار]، فكل مفتاح له أسنان، وأسنان لا إله إلا الله شرائع الاسلام وسنن المصطفى ﷺ، إذًا فلا تقل:- ربنا غفور رحيم، وتترك العمل، لأنك بذلك تكسر الخلية، فأين مفاتيحك وأين أسنانها؟!.

*- قال وهب بن منبه حين قيل له:- أليس قد قال رسول الله ﷺ:- مفتاح الجنة "لا إله إلا الله؟ "، قال:- " بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان، فتح لك، وإلا لم يفتح لك "، [أخرجه البخاري].

*- فلذلك فإن " لا إله إلا الله " لها " أسنان "، وشروط، حققها ليفتح لك باب الجنة، فللجنة باب، وللباب مفتاح، وللمفتاح أسنان، وكذلك كل أنواع الخير لها أبواب.

*- والقضية الخطيرة أن بعضنا يأتي باب الخير ثم يرجع، اللهم ثبتنا على الإيمان يا رب، كثير من الناس أكرمه الله وتاب عليه بعد أن كان يعمل في الذنوب والمعاصي، ثم عاد وآثر المعصية وترك الطاعة وابتعد عن طريق الله تعالى، اللهم تب علينا توبة ترضيك، اللهم إنا نسألك توبة من عندك تصلح بها قلوبنا، وتهدي بها أفئدتنا، وتنور بها بصائرنا.

*- أحبتي في الله:- تجد بعض الشباب الذين عرفوا طريق الخير قد وصل إلى الباب فدخل المسجد وحضر الدروس وسمع الشرائط، فوقف بهذا على الباب، وفجأة تجده قد أعطى الباب ظهره!، قال الملك تبارك وتعالى:- { وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }، (آل عمران:- ١٤٤)، وسبب هذا الرجوع إخوتي الكرام أننا في زمان التزيين، فتنة التزيين، نعم:- التزيين فتنة خطيرة جدًا في هذه الأيام، إننا في زمان يزين فيه الباطل، ويجمل، ويظهر في صورة الحق فتقبله النفوس فتفتن.

*- ومن أخطر أسباب التزيين:- الهوى، اللهم إنا نعوذ بك من الهوى، وأخطر ما فى الهوى أن سلطانه قويٌّ، ومكره خفيٌّ، الهوى هو المزاج، مزاجك الشخصي، كم من أناس من حولنا تابوا يا رب ثبتنا على التوبة يا رب، فبدأ الواحد منهم يصلي وانتهى عن المشي في طرق الهوى والمنكر والباطل والضلال، وداوم على حضور مجالس الذكر صباحًا ومساءً، والتزم مع إخوانه في المسجد، وحافظ على صلاة الجماعة، إلا أنَّ في داخله هوى، في نفسه هوى:- أنه لا يزال يود أن يعصي ليستمتع بالمعصية، فإذا سمع فتوى لشيخ وما أكثر الشيوخ في هذا الزمان الذين يضلون الناس بفتاوى لهم، فيقولون عن الحلال والصواب بدعة، ويقولون عن الشبهة حلال، ولا بأس بذلك، اللهم ابعدنا عن علماء السوء والباطل يا رب العالمين، فما أكثرهم في هذا الزمان! فماذا نتوقع منه؟!، لا شك أنه سيفتن بفتوى مضلة ملبسة باطلة لا أصل لها في الشرع.

*- فالشاهد في هذا:- أن الإنسان الذي لا زال في قلبه هوى، وميول للباطل، فبمجرد أن يسمع هذه الفتاوى والبلاوى عن الشبهات، يقول:- إذًا فهي حلال، ويبدأ في متابعتها ومعاودتها لغلبة الهوى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لطفك بنا يا رب لطفك بنا يا رب.

*- ولا ننسى قول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه في هذا المعنى الجميل وهو يقول:- '' واجعل هواكم هواهم كيفما كانا، لم ينطوِ في هواهم غير من عانا، وباع من أجلهم مالًا وولدانًا''، وقوله أيضًا:- '' طرد الهوى بالهوى منهاج دعوتهم، شرفهم الله في محكم التنزيل، وألزمنا بصحبتهم ''.

*- نعم والله:- إن سلطان الهوى على القلب والعقل قويٌّ وخفيٌّ، تجد صاحب الهوى يقول:- سأمتع نفسي بعض الشيء وبعض الوقت يقصد بالمعصية!، ثم إنني أعود إلى الله، إذًا فلن أتضرر كثيرًا، أقول لك:- أنت لا تضمن، فقد يسخط الله عليك وقت معصيتك هذه التي تستصغرها فتنحرف وتنجرف لتعيش في الطين، فلا تستصغر من المعاصي شيئًا، ولا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت، فالمعاصي كل وبال وكلها قطيعة عن طريق الحق تبارك وتعالى.

*- اللهم ثبتنا على الإيمان يا رب، اللهم إنا نسألك الثبات على الحق، والعزيمة على الرشد، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، اللهم اصرف عنا مكر الهوى والنفس والشيطان.

*- والشاهد:- أن بعض الناس بل الكثير يأتون الباب وهذا فضل الله عليهم، ولكنهم لا يريدون وُلُوْجَهُ، لا يريدون أن يدخلوا في الطاعة، ويستمروا فيها ويثبتوا عليها، لا يريدون ذلك، لأن قلوبهم قد أشربت الهوى، فتراهم يرجعون فيولون الخير ظهورهم، لأنهم لم يمتلكوا من البداية مفاتيح الخير، بل حرصوا على مفاتيح الشر كالهوى الذي هو مفتاح كل مصيبة، فتجده قد أتى الباب، وها هو الباب سيفتح، فإذ به فجأة قد ولى وترك الباب!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*- فيا من تأتون الأبواب وليس معكم مفاتيحها، يا من لم تعرفوا مفاتيحها فلم تستطيعوا أن تصنعوا شيئًا، دعوني أعطكم مجموعة مفاتيح اجعلوها معكم واحتفظوا بها، وإياكم أن تستعملوا هذه المفاتيح في باب أحد غير الله.

*- هل لديك استعداد الآن لتأخذ هذه المفاتيح؟، وفيم ستأخذها؟، خذها في قلبك، أريدك أن تعلق هذه المفاتيح في قلبك وتربطها به اللهم افتح قلوبنا يا رب، لأن هذه المفاتيح إذا دخلت على قلبك بالحق، سيفتح، ويفتح بها أيضًا قلوبًا أخرى مغلقة.

***- وإليكم أحبتي الكرام هذه المفاتيـــــــــــــــح:-**

***- أولًا:- ''مفتـــــــــــــاح الإجابـــــــــــــة الدعـــــــــــــــاء''**

*- قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:- " أنا لا أحمل همَّ الإجابة، وإنما أحمل همَّ الدعاء، فإني إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه ".

*- إخوتي الأحباب الكرام:- وأنت ساجد في الصلاة ماذا طلبت من الله؟ ، وأي الدعاء حضر في قلبك؟.

*- اللهم ارزقنا حضور القلب يا رب، هل طلبت من ربك الدوام على صحبة الصالحين، ومحبتهم، ورفقتهم، وأن يجمعك الله تعالى في زمرتهم، وتحت رايتهم، وتحت لوائهم في معية سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ، هل طلبت منه أن يرزقك الفردوس الأعلى من الجنة؟ هل طلبت منه أن يرزقك قيام الليل؟ والخشوع في الصلاة؟ هل طلبت منه أن يرزقك الحلم؟ طلبت منه التوبة؟ طلبت منه الإنابة؟ طلبت منه النجاة من الفتن؟ وأن يصرف عنك الأذى؟ ماذا سألته؟!.

*- للأسف الشديد، إن أكثرنا يدعو الله وهو في غفلة، قال رسول الله ﷺ:- " إن الله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه "،[حسنه الألباني]، فلذلك إذا أردت شيئًا أو حزبك أمر فالدعاء مفتاحك، فادعُ ليفتح لك، إذًا فالإجابة باب، ومفتاحها الدعاء، والدعاء باب ومفتاحه حضور القلب، وأسنان المفتاح الإخلاص، وإذا لم يفتح الباب فلا تنصرف ولكن ظل واقفًا وحاول الفتح، حرك المفتاح، حرك قلبك بالإخلاص، لا تعجل ولا تيأس فَبِسِنَّةٍ واحدةٍ للمفتاح يمكن الفتح، ولكن المهم أن تديم الإخلاص فلا تتعجل، قال رسول الله ﷺ:- " يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول:- دعوت فلم أرَ يستجاب لي "،[متفق عليه].

***- ثانيًا:- ‘‘مفتـــاح الرغبـــة فـــي الآخـــرة الزهـــد فـــي الدنيـــــــــا’’**

*- اللهم إنا نعوذ بك من الدنيا وما فيها، الدنيا فتنة، وفتنة الدنيا مصيبة، وإن الخطر الأكبر في الدنيا تزيينها، تزيين الدنيا، قال الملك جَلَّ جلاله:- { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} }،(آل عمران:- ١٤).

*- وقال تعالى:- {وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }،(الزخرف:- ٣٥).

*- " دنيا " ماذا تعني هذه الكلمة؟، تعني:- سيارة أغلى وأفضل، وأحسن، وشقة فارهة وملايين ونساء، ثم ماذا بعد؟!، دخول جهنم، وهذه هي الحقيقة.

*- فيا من لا تركب إلا سيارة جديدة لتلفت أنظار الناس إليك، فتنتك الدنيا وتريد أن تفتن الآخرين؟! هذه فتنة على فتنة، ومصيبة على مصيبة، أن تُفْتَنَ فَتَفْتِنَ الآخرين، فتذكرْ آخرتك، تذكرْ يوم الحساب يوم الوقوف والعرض على الله يوم يجاء بجهنم:- { يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ }،(الفجر:- ٢٣)، تذكر يوم تقول:- { يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ}،(الفجر:- ٢٤ - ٢٦).

*- ولكي يكون لديك رغبة في الآخرة، ازهد في حطام الدنيا الزائل، الدنيا زائلة فألقها وراء ظهرك، بل ضعها تحت قدميك، ونظرة واحدة إلى مآلك تهونها عليك، فتأمل حالك يوم وضعك في التراب، يوم أن تترك الأهل والأحباب، يوم أن تخلع أحسن الثياب، وترتدي ثياب الموتى، وتذكر فقط القبور، فأهوالها كافية لجعلك تقبل على الآخرة، فتزهد في الدنيا.

*- إن الميت إذا وضع في قبره كَلَّمَهُ القبر، وهذا هو أول هول " تكليم القبر "، تكلمه جدران القبر فتقول له أي المؤمن:- ‘‘أما إنك كنت أفضل من يمشي على ظهرى، أما إذ وليتك اليوم وصرت إليَّ في بطني فسترى صنيعي بك، ثم يضمه القبر ضمة الأم الحنون لولدها الغائب’’، اللهم اجعلنا منهم يا رب مثلما

تكون راجعًا من سفر فتضمك أمك إلى حضنها، أخذتك بشدة وضمتك بقوة لكنها ضمة جميلة، ضمة مريحة، إنها أمك الأرض، إنها أمك وأبوك، أصلك وفصلك.

*- أما الآخر يارب استرنا يا رب، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة، اللهم لا تتوفنا إلا وأنت راضٍ عنا فيكلمه القبر فيقول له:- ‘‘أما إنك كنت أبغض من يمشي على ظهري’’، فتدبر أخي الحبيب الغالي حال هذين الرجلين، فكرْ في اليوم الذي يضعونك فيه في القبر ويقفلون عليك.

*- كنت حاضرًا دفن أحد الإخوة اللهم ارحمه وارحم موتى المسلمين يارب، اللهم ارحم كل ميت مسلم يا حى يا قيوم، ونحن نرى الرجل الذي دفنه وهو يضع ترابًا وطوبًا وطينًا وجبسًا!.

*- ويؤكد القفل عليه!، سبحان الله هل سيجري ويترك القبر؟!، اتركه يا أخي لقد أوجعت قلبي، سيفعلون بك مثل هذا في يوم من الأيام.

*- الكل سيتركك، لن تنفعك زوجتك ولا حبيبتك وروح قلبك، " حياتك " التي ضيعت عمرك من أجلها، وعصيت ربك لترضيها لن تسأل عنك، هم يغلقون عليك القبر لن تجد أحدًا يجلس معك، ولا أحدًا يمسك بك، أمك، أبوك، إخوانك، أصدقاؤك، أحبابك، أموالك، كلهم سيسلمونك ثم يذهبون للراحة، سيسدون عليك ويحكمون الغلق ويتركونك لتظل وحدك؟، فتوهم نفسك، وتخيل حالك.

*- ظلمة، وحشة، خوف، رعب، عريان، وتفاجأ بأن أحدًا يقول لك:- ‘‘أما إنك كنت أبغض من يمشي على ظهري، من أنت؟، ماذا جرى؟!، تجد جدران القبر تكلمك!، ثم بعد ذلك تأتيك الملائكة لتسألك:- من ربك وما دينك ومن نبيك؟، وبعد انصرافهم تفاجأ برجل أسود الوجه أسود الثوب، منتن الريح، فتقول له:- من أنت؟!، فوجهك الوجه الذي لا يجيء بالخير، يقول لك:- ألا تعرفني، أنا حبيبك، عملك، آه، آه، آه، والله يكاد القلب يقف نبضه حينما أتخيل هذا الموقف، والعجب إخوتي الأحباب أننا نسمع بهذا الكلام ونقرأه ونستوعبه ونفهمه ونعجب به، ثم نعمل أعمالًا ستدخل علينا سوداء:- تحقد وتحسد الآخرين، تحتقر الغير، تكذب، تنام عن الصلاة، تغتاب، تنمُّ، تؤذي، تعمل أعمالًا سيئةً، ستدخل عليك وأنت في قبرك وحدك.

*- ففي أهوال القبر وظلمته تنظر وتسأل:- من أنت؟، يقول لك:- أنا عملك الأسود، أنا معاصيك، ألا تعرفني؟!، أنا حبيبك الذي عشت معك طول عمرك، أنا عملك السيييء.

*- لكن المصيبة الكبرى أنه سيظل معك إلى يوم القيامة، فلو كان معك وقتًا محدودًا لهان الأمر شيئًا، لكن لا ليس غيره معك إلى يوم القيامة، لذلك فإن مفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، فالذي تحب أن يكون معك في قبرك من هذه الدنيا فاعمله الآن.

*- أقول لكم شيئًا جميلًا:- الذي يريد أن يكون قبره " مكيفًا "، كما " يكيف " لنا هذا المسجد، الذي يريد لمبة نور في قبره يتصدق على الفقراء بلمبة كهرباء، الذي يريد أن يأكل ويشرب في قبره يطعم اليوم خمسين مسكينًا، شغل جوارحك في طاعة الله، المصنع الذي وهبه الله لك، شغله في انتاج الحسنات، ولا تشغل نفسك بجمع الدنيا، فالدنيا لن تنفعك، ولن ينفعك ما فيها إلا العمل الصالح، فازهدها ترغب في الآخرة.

*- ولله در فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وعنا به إذ يقول:- '' ازهدِ الدنيا تأتِ إليك خادمةً، ويكن فراقها عليك هَيِّنًا، ولازم أهل طاعة الله ورسوله يغفر لك الله خطاياك، والزم مجالس أهل القناعة يملأ الله بالغنى حناياك، وادخل في حمى الأخيار، واصبر نفسك معهم بالعزم والإصرار، يفتح الله عليك وتعرف الأسرار، ألم تعلم بأن الله تعالى أخفى ثلاثًا في ثلاث، أخفى المغفرة في الطاعة، وأخفى الغنى في القناعة، وأخفى أسراره في أهل الضعف والوداعة، الذين استضعفوا له دون سواه، فجعلهم بين خلقه أهل العز والجاه، وألبسهم ثوب عنايته وولايته، وحفظهم في أرضه وسماه، ورغم أنف كل مكابر جعلهم للخلق مرشدين هداة''.

*- ويقول أيضًا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- '' الدنيا بنت إبليس نعوذ بالله من حبها وحبِّ من يحبها، لأن حبها يشقي أهلها في بور الظلمات، بل يفرق بين أولاد الأمهات، وينسيهم حبَّ من بيده الموت والحياة، '' يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ''،''فاطر:- ٥''.

*- أخي في الله:- والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، لن تستقيم لك رغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، اللهم إنا نعوذ بك من الدنيا.

*- سيدنا أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه كان له بستان من نخيل وأعناب، لم تعرف المدينة بستانًا أعظم منه شجرًا، ولا أطيب ثمرًا، ولا أعذب ماءً، وفيما كان أبو طلحة يصلي تحت أفيائه الظليلة، أثار انتباهه طائر غرد أخضر اللون أحمر المنقار مخضب الرجلين، وقد جعل يتواثب على أسنان الأشجار طربًا مغردًا متراقصًا، فأعجبه منظره، وسبح بفكره معه، ثم ما لبث أن رجع إلى نفسه، فإذ هو لا يذكر كم صلى؟،:- ركعتين؟ ثلاثًا؟، لا يدري فما إن فرغ من صلاته، حتى غدا على رسول الله ﷺ، وشكا له نفسه التي صرفها البستان وشجره الوارف، وطيره المغرد عن الصلاة، ثم قال له:- اشهد يا رسول الله:- أني جعلت هذا البستان صدقة لله ، فضعه حيث يحب الله ورسوله [متفق عليه].

*- يذكرنا سيدنا أبو طلحة في تصرفه هذا بالنبي سليمان عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام، الذي راح يعقر خيله بسيفه في سوقها وأعناقها، لما شغله تفقدها عن صلاته وتسبيحه، قال تعالى:- { وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ }،(ص:- ٣٠-٣٣)، وهكذا تأمل أخي في الله أبا طلحة وكيف أنه رضي الله عنه لما وجد الحديقة وطيورها " الدنيا " قد شغلته وألهته عن الله، سارع بتركها والزهد فيها، نعم:- فمفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، فاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، اللهم اجعل الآخرة هي دارنا وهمنا، واجعل منانا رضالك عنا، اللهم ولا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك الكريم آمين.

***- ثالثًا:- ''مفتـــــاح الإيمـــــان التفكـــر فـــي آلاء الله ومخلوقاتـــه''**

*- التفكير في النعم هو مفتاح الإيمان، قال الله تبارك وتعالى:- { فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }، (الأعراف:-٦٩)، قلت لأخ بكلية الهندسة:- لقد أعطاك الله عقلًا، هذا العقل نعمة أم لا؟، نجحت في

الثانوية العامة بمجموع ٩٨%، ودخلت كلية الهندسة بحبك لها، واجتهدت فتفوقت وعينت معيدًا، ثم حصلت على الماجستير والدكتوراه، كل هذا بهذه الدماغ التي وهبها الله لك.

*- أعطاك هذه النعمة العقلية المتفكرة هذه، فهل استعملتها في الوصول إليه سبحانه وتعال؟!، استعملتها في الدنيا كثيرًا، ولكن نراك لا تشغلها مطلقًا مع الله تعالى!، لماذا عطلتها في التجارة مع الله تعالى؟!، يا بني، إن سكة الله تحتاج إلى هندسة، تحتاج إلى عقل، فشغل عقلك في التفكير في النعم والتأمل في المخلوقات لتزداد عظمة الله في قلبك.

*- تعلمون إخوتي في الله أن أنواع التوحيد ثلاثة:-

*- توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات.

*- أما توحيد الربوبية:- فهو توحيد الله بأفعال الله، فالله هو الذي ينزل المطر، ويحيي ويميت، يعطي ويمنع، يضر وينفع، يعز ويذل، لم يعارض فيه أحد من الخلق، فلم يقل أحد:- إنه هو الذي خلق السماوات والأرض، والمشركون كانوا يقرون بذلك، ولم ينكره إلا الملاحدة والشيوعيون في زماننا، الذين انتكست فطرتهم فلم يعملوا عقولهم.

*- ودائمًا أقول جملة:- " إن عين أصغر نملة تفقأ عين أكبر ملحد ".

*- نقول له:- خذ النملة وسل نفسك:- من الذي وضع عينها هنا وجعلها ترى؟!، تفكر في خلقها حتى لا تقول:- خلقت صدفة.

*- أما توحيد الألوهية:- فهو توحيد الله بأفعال العباد، يعني ألا نسجد إلا لله، ولا ندعو إلا الله، ولا ننذر إلا لله، ولا نخاف إلا من الله، وأن نصرف جميع أنواع العبادة لله.

*- وأما النوع الثالث فهو توحيد الأسماء والصفات:- وهو أن نثبت لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسول الله ﷺ.

*- فالربوبية كما قلت:- لم يخالف فيها أحد، ولذلك تجد كثيرًا من الإخوة لا يهتم ولا يعبأ بتوحيد الربوبية، يقول:- ليس هناك مشكلة، أهم شيء توحيد الألوهية، نعم:- هذا صحيح، ولكن الربوبية هي

المدخل وهي الموقد للألوهية، فكلما ازداد القلب تأملًا وتفكرًا في نعم الله، في النفس والكون، ازداد شكرًا وعبادةً لله.

*- ولذا أسأل:- متى كانت آخر مرة نظرت فيها إلى السماء؟!، لذلك يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي الجليل:- ‘‘عبدي انظر إلى السماء وارتفاعها، وإلى الشمس وشعاعها، وإلى الأفلاك ومدارها، وإلى الأرض واتساعها، وإلى البحار وأمواجها، انظر إلى كلِّ ظاهرٍ وكامنٍ، وإلى كلِّ متحركٍ وساكنٍ، وإلى كلِّ قائمٍ وقاعدٍ، وراكعٍ وساجدٍ، الكل يشهد بجلالي، ويقر بكمالي، ولا يغفل عن ذكري، ويعلن بشكري، عبدي أذكرك وتنساني، وأسترك ولا تخشاني، عبدي لو أمرت الأرض لابتلعتك في بطنها، ولو أمرت البحار لأغرقتك في معينها، ولكن أؤخرك إلى أجل أجلته، وإلى وقت وقته، ولا بد لك ولكل نفس من المرور عليّ، والوقوف بين يدي، أُذكرك أفعالك، وأحصي عليك أعمالك، حتى إذا أيقنت بالبوار، وأدركت أنك من أهل النار، أوليتك غفراني، ومنحتك رضواني، وقلت لك لا تحزن فلقد غفرت لك الذنوب والأوزار، ومن أجلك سميت نفسي العزيز الغفار‘‘.

*- يارب استرنا من هذا الموقف يارب بصرنا بعيوبنا يا رب اجعل لساني رطبًا بذكرك فأين المتأملون المتدبرون بحق، أين أصحاب العقول اللبيبة المتفكرة ؟!.

*- إخوتي الكرام:- البحر من آيات الله، فهل تأملتموه؟!، إن ولدًا على البحر ذاق المياه فوجدها مالحة جدًّا، فسأل أمه:- من الذي وضع ملحًا في البحر؟!، فجلست أفكر:- من الذي وضع ملحًا في البحر؟!.

*- وصدق الله تعالى إذ يقول:- { هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ }،(الفرقان:- ٥٣)، أجاج:- ملح، من الذي فعل هذا؟، سبحانه هو الملك الذي لا إله إلا هو، انظر إلى نهر النيل وذق ماءه، سبحان الله الفرق شاسع، ماء وماء لكن الطبيعة مختلفة!، مَنِ اليومَ ينظر إلى البحر نظرة تأمل وتدبر وتفكر ليرى عظمة الله تبارك وتعالى في خلقه، والتى تدل على عظيم صنعه؟!، ولله در القائل:- ‘‘ وفي كل شيء له آية... تدل على أنه الواحد‘‘ لا أحد، سوى أصحاب العقول السليمة النقية التقية الذين لا همَّ لهم إلا التفكر في عظمة الخالق جلَّ شأنه، وعظمت قدرته، سبحانه وتعالى، أو أصحاب مصائف السوء أعاذنا

الله تعالى منهم الذين ينظرون نظر عصيان وخيانة، حولوا الطاعات إلى معاصٍ، فهم ينظرون إلى ما حَرَّمَ الله تبارك وتعالى، فالكل منهم يعصي أمام نعمة وآية عظيمة تبهر العقول وترقق القلوب، ولا يعني هذا أن نقف معهم، بل ينبغي أن نبحث عن أماكن أخرى خالية من المعاصي نتأمل فيها نعم الله.

*- اخرج إلى حديقة أو إلى الغيطان الواسعة وتأمل أنواع الزهور والزروع، وسبح الله، أمسك بزهرة وتأملها، تأمل أنواع الطيور، تأمل أنواع الزروع واختلافها في الأحجام والألوان والثمار، فهذا مر علقم بجوار آخر حلو لذيذ، وهذا أخضر بجوار آخر أحمر، سبحان الله العظيم، مع أن الكل يروى من ماء واحد وفي أرض واحدة، إنها يد الله التي تضبط وتسير وتقدر كل شيء بقدره بالغة، وحكمة سابغة، فسبحانه سبحانه، سبحانه من إله عظيم، سبحانه من خالق عظيم قدير جليل جميل.

*- وفي هذا المعنى العظيم البديع الجليل يقول بعض العارفين وقد تجلى الحق تبارك وتعالى قلبه فنقل كلام الحق جلَّ وعلا:-

أقبلْ علينا تحظَ منا بالمنـــــــــى ... واشددْ يديك بالعزيمة وأتنـــــــــا

وادخلْ حمانا واحتـــمِ بجنابنـــــــا ... واتركْ سوانا ان أتيت لحينـــــــــا

واعلمْ بأنَّ الالتفاتَ قطيعـــــــــةٌ ... عن شرعتي فاقصدْ بوجهك وجهنـــــا

واعملْ لرضواني ولا تكُ معرضـــــًا ... عن رؤيتي فاسمعْ هواتف حقنـــــــا

واشهد جمالي بالبصيرة ساطعـــــًا ... متجملًا بجلال عزة قدسنـــــــــا

متفانيًا فينا تبارك وجهنـــــــــا ... وتشعشعت أنواره لذوي الفنـــــــــا

لا تحتجب عني بنفسك والـــــورى ... فالكون والتكوين صنع جنابنـــــــا

والعرش والكرسي وباهر ما تـــــرى ... فجميع هذا فائض من عندنـــــــــا

وانظر لأزهار تخالف لونهـــــــا ... والنخل والأعناب من إبداعنـــــــا

والروض والجنات ظاهر أمرهـــــا ... تسقى بماء واحد فاعقل بنـــــــــا

إياك دعوى الوصل في بيت الســوى ... فمظاهر الأغيار تحرم وصلنـــــــا

إياك ترجو حاجة من غيرنـــــــــا فيكون مشهودًا لديك فتفتنـــــــــــا

واعلم بأني حاضر لك ناظـــــــــر وبذات صدرك عالم فاخلص لنـــــــا

واعمل بما ترضاه منك شريعتـــــــي والزم معي الآداب تعط شهودنـــــــا

هل أنت للأفعال تخلق فاستـــــــحِ فالزم حدوك فالبقاء لوجهنـــــــــا

واحذر هداك الله كل معانـــــــــد واطرح وجودك في سبيل وصالنـــــــا

*- والله الذي لا إله إلا هو أحبتي الكرام:- يقول بعض الصالحين لقد كنت فى سفر قطعت فيه أربعمائة وخمسين كيلو مترًا لم يكف لساني عن التسبيح، مما أرى من بديع خلق الله، عظيم خلق الله، جميل خلق الله، جمال من جمال!، سبحان الله، لذا أريدك أن تنظر وتتأمل، فاصعد إلى سطح منزلكم الليلة واستلقِ على ظهرك، ولا تنظر يمنة أو يسرة، انظر إلى السماء فقط، انظر إلى النجوم والكواكب وأجزاء الكون، يزيد هذا في قلبك عظمة الله، فتحس بأنوار عظيمة تملأ قلبك، أريدك أن تذهب إلى مكان فيه جبال وتنظر للجبال، انظر يمينها وشمالها وفوقها وتحتها.

*- جرب وقل:- سبحان الله!، جرب، ولا تعصِ الله بنعم الله، فلا تذهب إلى البحر في الصيف، بل اذهب في الشتاء حيث لا أحد، اذهب لعمل عمرة، وهذه دعوة إلى مصيف جديد في مكة المكرمة، اللهم ارزقنا الحج والعمرة، وتابع لنا بين الحج والعمرة، اللهم لا تحرمنا من الحج والعمرة.

*- يذهب العصاة إلى الشواطىء في الصيف، فاذهب أنت إلى الكعبة، اذهب إلى المدينة، اجلس أمام الكعبة وتأمل الجلال والبهاء، تأمل وأنت مسافر بالطائرة أو الباخرة أو بالحافلة برًّا، تأمل خلق الله.

*- استمتع بالبحر وأنت مسافر، استمتع ببلاد الله وبساتينها الجميلة، تأمل لتزداد عظمة الله في قلبك، لتذوق حلاوة الإيمان، ولذة الإيمان وطعم الإيمان.

*- ولله در الأعرابي الذي سئل كيف عرفت ربك؟ فأجاب:- ‘‘الأثر يدل على المسير، والبَعْرَة تدل على البعير، فسماء ذات أبراجٍ، وأرضٌ ذات فجاجٍ، وبحارٌ ذات أمواجٍ، ألا تدل على السميع البصير’’.

***- رابعًا:- ‘‘مفتـــــاح الدخـــــول عـــــلى الله إســـــلام القـــــلب’’**

*- نريد أن ندخل على الله، فمن منكم يريد أن يدخل؟، لازلنا واقفين منذ زمن ننتفرج، ودائمًا أقول:- أنا دلال على بضاعة الله، ولكن الزبائن من نوعية أهل عصرنا يتفرجون ولا يشترون، فمن يشتري الجنة؟، من منكم يا أحبتي الكرام يريد أن يدخل على ربه.

*- قال الله تبارك وتعالى حاكيًا عن الخليل إبراهيم عليه السلام:- { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }،(البقرة:- ١٣١)، أسلم، أسلمت، هذه هي القضية، قال الله تبارك وتعالى:- { وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ }،(البقرة:- ١٢٤)، هذه هي قضية الدخول على الله، أنك تسمع للأمر فتقول:- أسلمت، وتسمع للنهي فتقول:- أسلمت، تنفذ المطلوب، أسلمت، تمام الاستسلام، أن تكون مع الله بادىء الرأي، قال الملك تبارك وتعالى:- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ }، (الحجرات:- ١).

*- أحد الناس كان مستجاب الدعوة، وكان عليه دين فقال له ابنه: هلا دعوت الله أن يقضي دينك، فرفع يديه إلى السماء، وقال:- اللهم اغفر لي وتب عليَّ، فقال له ابنه:- يا أبتِ، ادعُ الله بقضاء الدين، فقال:- " يا بنى إذا غفر ذنبي قضى ديني "، اللهم اغفر ذنوبنا، واقضِ ديوننا، هذه هي القضية:- تعلق القلب بالله ، كما قال تعالى:- { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }، فأسلموا إخوتي الأحباب فمفتاح الدخول على الله إسلام القلب لله.

*- كثير من الشباب الذين يرجعون عن كلامهم فيتركون طريق الوصول إلى الله تعالى، إنما رجعوا وتركوا الطريق، لأن قلوبهم لم تسلم بعد، قلبه لا يزال مشغولًا بالملذات الفانية، والدنيا الزائلة، بالهموم، بالمال، بالزواج، باللعب، بالفسح، بالتنزه، باللبس، لكن إذا أسلم القلب لله، أصبح أحب شيء إليه طاعة الله.

*- إن الشباب إذا التزم وكان لا يزال في قلبه هوى نعوذ بالله تعالى من الهوى، فلابد أن يقع في المعاصي مرة أخرى.

*- قيل لابن الجوزي:- ما بالنا إذا ملأنا الكوز لا يبرد، وإذا أنقصناه يبرد، قال:- " لتعلموا أن الهوى لا يدخل إلا على ناقص "، فلا تكن ناقصًا، كن ممتلىء القلب بالإيمان حتى لا يدخل عليك الهوى، زد في إيمانك ليسلم قلبك لله، فمفتاح الدخول على الله إسلام القلب لله وسلامته له، اللهم ارزقنا قلوبًا سليمة يا رب.

*- كثير منا قلبه مفتت، مقطع، مكسر، معلق مع غير الله تعالى، فمع الزوجة والشقة والسيارة واللبس والمظاهر، مع " تسريحته " والكلية والأصحاب والجيران، إنها والله دنيا دنية، بعضنا قلبه مشتت بين الشغل والشركة والديون والأموال والرصيد وتأمين المستقبل، و.. و..، قال رسول الله ﷺ:- " من كانت الدنيا همه فرق الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له "،[صححه الألباني].

*- نعم إخوتي الأحباب:- سلامة القلب لله، وأنا لا أقول لك-: لا تلبس حسنًا، لا بل البس وتعطر واركب سيارة واثنتين وثلاثة، ليست هذه القضية، القضية أن يكون قلبك مشغول بالله لا بالسيارات، تزوج واحدة ومثنى وثلاث ورباع، لكن لا يكن قلبك مشغولًا بالنساء، احصل على شهادات وماجستير ودكتوراه، لكن لا يكن قلبك مشغولًا بالمناصب، اجعل قلبك مشغولًا بالله تعالى، اللهم لا تشغلنا إلا بك.

*- انظر ماذا يقول ربك آية تشيب منها النواصي:- { إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ }،(يونس:- ٧ - ٨)، تدبر هذه الآية وأعد قراءتها مرات لتعرف حقيقة ما أنت فيه، فإياك أن ترضى بالدنيا، وتركن إليها وتغفل عن الله.

*- كثير من الناس اليوم يقول:- الحمد لله ، ماذا ينقصني؟!، أنا لا أريد من الله شيئًا، يا مسكين، أنت محتاج إلى الله تعالى في كل شيء، فما أنت فيه دنيا، فافهم هذا جيدًا، ولذلك لا يرائي بها إلا الأدنى منها، أما الموحد فلا يرضيه إلا رؤية وجه الله تبارك وتعالى في الجنة، اللهم اجعلنا من الموحدين، اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، اللهم لا تحرمنا من النظر إلى وجهك الكريم، اللهم آمين.

*- نعم أيها الإخوة الأحباب:- مفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته لله، والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، وهذا مفتاح كبير جدًّا، الإخلاص لله في الحب والبغض، فأنت تحب الأخ الفلاني لماذا تحبه؟، هذه هي القضية، فأحبب لله واكره لله، فبتحقيق هاتين الكلمتين يكون قلبك قد أسلم لله وسلم لله.

*- إذًا فإسلام القلب لله وسلامته له من الغير يكون بالإخلاص له سبحانه وتعالى في الحب والكره، فعندما أكره أكره لله وعندما أحب أحب لله، وكذلك الفعل والترك، فحينما أفعل أفعل لله، وحينما أترك أترك لله، هذا هو مفتاح الدخول على الله، فاجعل جميع أعمالك خالصة لوجه الله تبارك وتعالى، لأن الله عزَّ وجلَّ لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا صوابًا، والعمل الخالص هو ما ابتغي به وجه الله الكريم، والعمل الصواب هو ما كان مطابقًا لسنة الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد ﷺ.

***- خامســـــًا:- ‘‘مفتـــــــاح حيـــــــــاة القلـــــــــوب ثلاثـــــــــة’’**

*- أولها:- ترك الذنـــــــــوب.

*- وثانيها:- التدبر للقـــــــرآن.

*- وثالثها:- التضرع بالأسحار.

***- أولًا:- ‘‘تـــــــرك الذنـــــــــــــــوب’’**

*- يقول ابن القيم في " الفوائد " تحت عنوان " ترك الذنوب أولًا ":-

*- " العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا، فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم، فترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة، فكيف يؤمر بالفضيلة من لم يقم الفريضة!، فإن صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطروة على محبته، فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والإصرار عليها والاستقلال منها، وقد قال يحيى بن معاذ:- طلب العاقل للدنيا خير من ترك الجاهل لها".

*- إن الذنوب تخنق القلوب، والمعاصي تقتل القلوب، والذنوب تميت القلوب، قال ابن القيم عن نتائج المعصية:- " قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال، وتتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار، وأضداد هذه تتولد عن الطاعة ".

*- إن الأخ الحبيب الغالي الذي فتنته الدنيا ببهرجها وزخرفها وزينتها وزهرتها، فَفُتِنَ، اللهم رده إلى الالتزام ردًّا قريبًا، اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان، علاجك أخي الحبيب في دوام ملازمة مجالس الذكر، والحضور في معية الصالحين صباحًا ومساءً.

*- ولأنه كما يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وعنا به في حرمة الإخوان وفضلهم، وعظيم شأنهم، ورفعة درجتهم، وفضيلة الاجتماع بهم:- { ‘‘بكم بلغت نجاتي’’، ‘‘بكم عرفت واهتديت’’، ‘‘يسأله بكم الرضا’’، ‘‘وفي الدجى مصباح قد شعَّ في مشكاتي’’، ‘‘وفي الصلاة إمامي، وفي الوصال سقاتي’’، ‘‘وفي الصبابة قلبي، وفي الحقيقة ذاتي’’}، اللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

*- يقول ابن القيم رحمه الله:- " ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله ".

*- ويوضح رحمه الله تعالى الطريق إلى صفاء القلب فيقول:-

*- " من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهواته، القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها، القلوب آنية الله في أرضه، فأحبها اليه أرقها وأصلبها وأصفاها، شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة، ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وأطراف الفوائد، وإذا غُذِّيَ القلبُ بالتذكر وَسُقِيَ بالتفكر وَنُقِّيَ من الدغل، رأى العجائبَ، وَأُلْهِمَ الحكمةَ، ليس كل

من تحلى بالمعرفة والحكمة وانتحلها كان من أهلها، بل أهل المعرفة والحكمة الذين أحيوا قلوبهم بقتل الهوى، وأما من قتل قلبه فأحيا الهوى فالمعرفة والحكمة عارية على لسانه ".

*- نعم إخوتي الأحباب الكرام:- ترك الذنوب حياة القلوب، اترك الذنب فالذنب يقتل القلب، يقتله، أقول لأحدهم:-

*- لماذا لا تقوم بالليل؟، يقول:- أنام مقتولًا لا أستطيع حراكًا، قلت له:- من الذنوب.

*- قيل لأحد السلف:- كيف أستعين على قيام الليل؟، قال:- " لا تعصه بالنهار يقمك بالليل "، إذا رأيت قيام الليل ثقيلًا عليك، فاعلم أنك محروم مكبل، كبلتك خطاياك، مكتف، قيدتك ذنوبك، فاتركها وتب منها ليحيا قلبك.

***- ثانيًا:- ‘‘التدبـــــــــــــــــــــر للقـــــــــــــــــــــرآن‘‘**

*- يا أخي في الله يا طالب كلية الهندسة:- ويا حبيبي في الله يا طالب كلية الطب، ويا أخي في الله يا طالب كلية التجارة، يا من تحل أصعب المسائل، عقلك الجميل هذا ماذا فهمت به من القرآن؟!.

*- وفي هذا المعنى الجميل يقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- ‘‘ ولا يوحد العبد ربه حقًّا إلا تدبر القرآن، وعمل بما يقول، وسار على نور من هدي الرسول، وطهر بيت الحق مما يفنى ويزول، آه عجز لساني ماذا أقول، شغلني حب الرسول، اغتنمت الفرصة معه ساعة الوصول‘‘.

*- أحد الإخوة قال لي:- قرأت في الجريدة لكاتب يقول:- إن الله أمر الرجال بإدناء الثياب مثل النساء، فقال الله تبارك وتعالى:- {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ }،(الأحزاب:- ٥٩)!، قلت:- أعاقل هذا؟!.

*- هذه نون النسوة يا أخي!، أين العقل؟!، ألا يوجد فهم؟!، حتى عقولهم لا يعملونها!! ولذا أريدك أن تفهم وتتدبر القرآن:- { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }،(ص:- ٢٩)، تدبر، تدبر القرآن، لقد قام رسول الله ﷺ بآية يرددها:- { إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }،(المائدة:- ١١٨).

*- وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية:- { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }،(الجاثية:- ٢١).

*- وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية:- { وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ }،(يس:- ٥٩)، أي تميزوا وانفردوا عن المؤمنين.

*- ومحمد بن المنكدر يسأله أبو حازم عن البكاء طيلة ليله، فيقول:- آية من كتاب الله أبكتني:- { وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ }،(الزمر:- ٤٧).

*- وقال بعضهم:- إنى لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر.

*- وكان بعضهم يقول:- آية لا أتفهمها، ولا يكون قلبي فيها لا أعد لها ثوابًا.

*- ويقول أبو سليمان الداراني:- إنى لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها، قال الله تبارك وتعالى:- { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }،(ق:- ٣٧).

*- يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في " الفوائد " تحت عنوان "قاعدة جليلة:- شروط الانتفاع بالقرآن ":-

*- " إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك لتلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضرْ حضور من يخاطبه به من تكلم به المولى سبحانه وتعالى منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال الله تبارك وتعالى:- { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }،(ق:- ٣٧).

*- وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفًا على مؤثر مقتضٍ، ومحلٍّ قابلٍ، وشرطٌ لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد، فقوله:- { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ }، إشارة إلى ما تقدم أول السورة من ها هنا، وهذا هو المؤثر، وقوله:- { لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ }، فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال الله تبارك وتعالى:- { إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ }،(يس:- ٦٩ - ٧٠)، أي:-

حيٌ القلب، وقوله:- { أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }،(ق:- ٣٧)، أي:- وَجَّهَ سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام.

*- وقوله:- ‘‘وَهُوَ شَهِيدٌ ’’، أي شاهد القلب حاضر غير غائب.

*- قال ابن قتيبة:- " أي يستمع إلى كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحيُّ، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر ".

*- ويواصل ابن القيم حديثه الممتع فيقول:- " فصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن، فيجدها كأنها قد كتبت فيه، فهو يقرؤها عن ظهر قلب، ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد، واعي القلب، كامل الحياة، فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وذكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الحيّ الواعي، فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام، وقلبه لتأمله والتفكر فيه، وتعقل معانيه، فيعلم حينئذ أنه الحق ".

*- إخوتي الأحباب الكرام:- افهموا القرآن وتدبروه، افتحوا قلوبكم وأسماعكم وأبصاركم له لقد كان المدرس يقول لنا:-

*- إذا ذاكرت الموضوع من الكتاب فأغلقه ثم اكتب في ورقة خارجية ما فهمته، فهل سألت نفسك مرة بعد أن فرغت من التلاوة:- ماذا فهمت؟، ما الذي انغرس في قلبك من معاني القرآن؟، بماذا خرجت اليوم من القرآن؟.

*- إن أكثرنا اليوم أيها الإخوة الكرام:- يأتي إلى القرآن وهو مغلق القلب تمامًا، لا يريد أن يفتح قلبه، فلا ينتفع بالقرآن، لأنه لا يريد أن يتعب نفسه في التدبر، ومن كانت حاله هكذا فإنه يأتي القرآن فلا

يخرج منه بشيء، بل وربما خرج من جلسته وقد أصابه الملل من القرآن، لأنه يأتيه في أوقات لا يكون قلبه فيها متهيئًا، وفي ظروف لا تكون نفسه فيها هادئة.

*- إخوتي الأحباب الأفاضل الكرام:- إن أردتم الحياة لقلوبكم، فلابد أن تفهموا مجمل القرآن وموضوع القرآن، ومراد القرآن، لابد أن تتأملوا كلام الله وما يحويه، لتخرجوا منه بمعرفة الله وحب الله، وتقوى قلوبكم في السير إلى الله.

*- يقول ابن القيم تحت عنوان " فائدة:- محتوى خطاب القرآن ":-

*- " تأمل خطاب القرآن تجد ملكًا له الملك كله، وله الحمد كله، أزمّة الأمور كلها بيده ومصدرها منه ومردها إليه، مستويًا على سرير ملكه، لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته، عالمًا بما في نفوس عبيده، مطلعًا على أسرارهم وعلانيتهم، منفردًا بتدبير المملكة، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق ويميت، ويقدر ويقضى ويدبر، الأمور نازلة من عنده، دقيقها وجليلها، وصاعدة إليه لا تتحرك في الكون ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه.

*- فتأمل كيف تجده يثني على نفسه ويمجد نفسه، ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه، ويحذرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه والآئه، فيذكرهم بنعمه عليهم ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويحذرهم من نقمه ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه وكيف كان عاقبة هؤلاء وهؤلاء.

*- ويثنى على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويذم أعداءه بِسَيِّءِ أعمالهم وقبيح صفاتهم، ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين، ويجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة، ويصدق الصادق ويكذب الكاذب، ويقول الحق ويهدي السبيل.

*- ويدعو إلى دار السلام، ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها، ويحذر من دار البوار ويذكر عذابها وقبحها وآلامها، ويذكر عباده فقرهم إليه وشدة حاجتهم إليه من كل وجه، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة

عين ويذكر غناه عنهم وعن جميع الموجودات، وأنه الغني بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بنفسه، وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته.

*- ويشهد من خطابه عتابه لأحبابه ألطف عتاب، وأنه مع ذلك مقيل عثراتهم، وغافر زلاتهم، ومقيم أعذارهم، ومصلح فسادهم، والدافع عنهم، والمحامي عنهم، والناصر لهم، والكفيل بمصالحهم، والمنجي لهم من كل كرب، والموفي لهم بوعده، وأنه وليهم الذي لا ولي لهم سواه، فهو مولاهم الحق ونصيرهم على عدوهم، فنعم المولى ونعم النصير.

*- فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكًا عظيمًا رحيمًا جوادًا جميلًا هذا شأنه، فكيف لا تحبه وتنافس في القرب منه، وتنفق أنفاسها في التودد إليه، ويكون أحب إليها من كل ما سواه، ورضاه آثر عندها من رضا كل ما سواه؟!، وكيف لا تلهج بذكره ويصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها بحيث إن فقد ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها؟! ".

***- ثالثًا:- ''التضـــــــــــــــــــــرع بالأسحـــــــــــــــــــــار''**

*- أريدك أن تقوم سحرًا، وتتوضأ والدنيا سكون والكل نائم، سبحان الله العظيم!، كم منكم من يود أن يقابل الشيخ فلانًا ويجلس معه ويكلمه ويملأ عينيه منه، ألا تود أن تقابل ربك، وتجلس معه وحدك قبل الفجر؟!، لتقول له:- اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، بعد أن تملأ قلبك بـ " الله أكبر ".

*- والله يا إخوتي الأحباب الأفاضل:- إن للمناجاة في جوف الليل لذة لا تضاهيها لذات الدنيا بأسرها، أن تنادي ربك سبحانه وتعالى حينما تقف بين يديه فى ذل وخشوع وانكسار وهيبة لتقول دعاء الاستفتاح كما قال الله تبارك وتعالى:- { وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَأوَاتِ وَالأَرْضَ، حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ }، (الأنعام:- ١٦٢ – ١٦٣).

*- صلِّ وأسمع نفسك التلاوة، في غرفتك، في الشرفة فوق السطوح، أو في المسجد تحت البيت عندكم، ستحس أنك تكلم الله وتناديه، وتناجيه، وتشعر بأن هناك سرًّا بينك وبينه، وستحسُّ بوجود علاقةٍ، علاقةِ ودٍّ وحبٍّ وقربٍ، ما أجمله من لقاء، ما أعظمه من وقوف، وأبهاه من حديث، إنه لقاء مع الملك الرحمن حين تستشعر ذلك الموقف وأنك مع الله، سيفيض عليك ساعتها بالرحمات، فتضرع بالأسحار، فهذا الوقت غالٍ لا تعوضه أموال الدنيا، تضرع لتحمي قلبك، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:- قال رسول الله ﷺ:- " من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين "،[صححه الألباني]، والمقنطرون:- هم من كتب لهم قنطار من الأجر، والقنطار كما جاء في حديث فضالة بن عبيد وتميم الداري عند الطبراني:- " خير من الدنيا وما فيها ".

*- فهذا عبدالعزيز بن سلمان، كانت رابعة رحمها الله تسميه:- " سيد العابدين "، كان رحمه الله يقول:- ما للعابدين والنوم!!، لا نوم والله في دار الدنيا إلا نوم غالب، ويقول عنه ابنه محمد:- كان أبي إذا قام من الليل ليتهجد، سمعت في الدار جلبة شديدة، واستقاء للماء الكثير، قال:- فنرى أن الجن كانوا يستيقظون للتهجد فيصلون معه.

*- وهذه عجردة العمية رحمها الله تعالى، قال عنها رجاء بن مسلم العبدي:- كنا نكون عند عجردة العمية في الدار، فكانت تحيي الليل صلاة، وربما قال:- تقوم من أول الليل إلى السحر، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون:- إليك قطع العابدون دجى الليالى، بتكبير الدلج إلى ظلم الأسحار، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، ثم تخر ساجدة، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها، حتى يطلع الفجر، فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة.

*- وقيل لعفيرة العابدة:- إنك لا تنامين الليل، فبكت وقالت:- ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو يقدر على النوم من لاينام عنه حافظاه ليلًا ولا نهارًا ؟!.

*- هؤلاء نساء!!، فأين أنتم يا رجال؟!!، يا حسرة على الرجال!!.

*- وخلاصة ما سبق:- اترك ذنوبك أولًا، ثم أقبل على كتاب الله تلاوة وفهمًا وتدبرًا، فَاتْلُهُ بخشوع وتحزن لتصهر قلبك فينفي خبثه، ثم تضرع إلى ربك بالأسحار لتعيش النعيم وتذوق لذة المناجاة، فيحيا بذلك قلبك، فيصمد في السير إلى الله تعالى، فاملك هذا المفتاح ولا تفرط فيه، حتى لا تنقطع في الطريق ويحبط عملك.

*- وهكذا أخي السائر على طريق الوصول إلى الله تعالى:- ينبغي عليك أن تعتني كل الاعتناء بمعرفة " علم المفاتيح "، لتجني رضا الله تبارك وتعالى، وتحظى بمحبته، ومحبة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتفوز برضا الصالحين، والله إن رضاهم في رضا الله رب العالمين.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلٌ وأعلم.

*- الأصل العشرون:- '' وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَفِرُّوا إِلَى اللهِ ''

*- قال الله تبارك وتعالى:- { وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }،(الذاريات:- ٤٩ – ٥٠)، قال ابن كثير رحمه الله تعالى:- أي:- جميع المخلوقات أزواج:- سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وحياة وموت، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال الله تبارك وتعالى:- { لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ }، أي:- لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له، { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ }، أي:- الجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه { إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }.

*- وقال صاحب الظلال رحمه الله تعالى:- " وفي ظل هذه اللمسات القصيرة العبارة، الهائلة المدى:- في أجواز السماء، وفي آماد الأرض، وفي أعماق الخلائق، يهتف بالبشر ليفروا إلى خالق السماء والأرض والخلائق، متجردين من كل ما يثقل أرواحهم ويقيدها، موحدين الله الذي خلق هذا الكون وحده بلا شريك.

*- { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }،(الذريات:- ٥٠ - ٥١)، والتعبير بلفظ الفرار عجيب حقًّا.

*- وهو يوحي بالأثقال والقيود والأغلال والأوهاق، التي تشد النفس البشرية إلى هذه الأرض، وتثقلها عن الانطلاق، وتحاصرها وتأسرها وتدعها في عقال، وبخاصة أوهاق الرزق والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرة للنصيب الموعود، ومن ثم يجيء الهتاف قويًّا للانطلاق والتملص والفرار إلى الله من هذه الأثقال والقيود!، الفرار إلى الله وحده منزهًا عن كل شريك، وتذكير الناس بانقطاع الحجة وسقوط العذر:- { إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }، وتكرار هذا التنبيه فى آيتين متجاورتين، زيادة في التنبيه والتحذير! ".

*- إخوتي الأحباب الكرام:- ففروا إلى الله، اقتربوا من طريق الله، تعالوا خطوة واحدة إلى الله، ضعوا أرجلكم على أول الطريق، أعينونا على أنفسكم بالوقوف على رأس الطريق والله يأخذ بأيديكم.

*- أَرُوْا اللهَ منْ أنفسكم خيرًا، فلقد كتب الله ﷻ سنة من سننه في خلقه:- أن من تقرب إليه تقرب سبحانه وتعالى إليه ومن ابتعد عنه ابتعد سبحانه وتعالى عنه، كما قال تبارك وتعالى:- { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ }، (التوبة:- ٦٧).

*- وقوله تعالى:- { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ }،(الصف:- ٥)، فمن تاب تاب الله عليه وأحبه، ومن بذل جهده واستفرغ وسعه في طاعة الله، أعانه الله وسدده، وهذه قاعدة، وسنة مسلّمة، فلا تنم عن الطاعات ثم تقول:- لو كان الله يحبني لهداني، لا بل تعالَ وهو يهديك.

*- وقد سمى ابن القيم رحمه الله تعالى هذا الأصل لقاحًا مثل حبوب اللقاح فقال عليه رحمة الله:- " في الفوائد ":-

***- الطلب:- لقاح الإيمان، فإذا اجتمع الإيمان والطلب أثمرا العمل الصالح.**

***- وحسن الظن بالله:- لقاح الافتقار والاضطرار إليه، فإذا اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء.**

***- والخشية:- لقاح المحبة، فإذا اجتمعا أثمرا امتثال الأوامر واجتناب المناهي**

***- والصبر:- لقاح اليقين، فإذا اجتمعا أورثا الإمامة في الدين، قال تعالى:- { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }،(السجدة:- ٢٤).**

***- وصحة الاقتداء بالرسول ﷺ:- لقاح الإخلاص، فإذا اجتمعا أثمرا قبول العمل والاعتداد به.**

***- والعمل:- لقاح العلم، فإذا اجتمعا كان الفلاح والسعادة، وإن انفرد أحدهما عن الآخر لم يفد شيئًا.**

***- والحلم:- لقاح العلم، فإذا اجتمعا حصلت سيادة الدنيا والآخرة، وحصل الانتفاع بعلم العالم، وإن انفرد أحدهما عن صاحبه فات النفع والانتفاع.**

***- والعزيمة:- لقاح البصيرة، فإذا اجتمعا نال صاحبهما خير الدنيا والآخرة، وبلغت به همته من العلياء كل مكان، فَتَخَلُّفُ الكمالات إما من عدم البصيرة، وإما من عدم العزيمة.**

***- وحسن القصد:- لقاح لصحة الذهن، فإذا فقدا فقد الخير كله، وإذا اجتمعا أثمرا أنواع الخيرات.**

***- وصحة الرأي:- لقاح الشجاعة، فإذا اجتمعا كان النصر والظفر، وإن فقدا فالخذلان والخيبة، وإن وجد الرأي بلا شجاعة فالجبن والعجز، وإن حصلت الشجاعة بلا رأي فالتهور والعطب.**

***- والصبر:- لقاح البصيرة، فإذا اجتمعا فالخير في اجتماعهما، قال الحسن:- ''إذا شئت أن ترى بصيرًا لا صبر له رأيته، وإذا شئت أن ترى صابرًا لا بصيرة له رأيته، فإذا رأيت صابرًا بصيرًا فذاك''.**

***- والنصيحة:- لقاح العقل، فكلما قويت النصيحة قوي العقل واستنار.**

***- والتذكر والتفكر كل منهما:- لقاح الآخر، إذا اجتمعا أنتجا الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.**

***- والتقوى:- لقاح التوكل، فإذا اجتمعا استقام القلب.**

***- وقصر الأمل:- لقاح أخذ أهبة الاستعداد لِلِّقَاءِ، فإذا اجتمعا فالخير كله في اجتماعهما والشر في فرقتهما.**

***- ولقاح الهمة العالية:- النية الصحيحة، فإذا اجتمعا بلغ العبد غاية المراد.**

*- فالقضية إذًا تحتاج إلى تلقيح، أقصد قضية السير إلى الله والوصول إليه، نعم:- الوصول يحتاج إلى لقاحات، وتعالوا الآن إخوتي في الله تعالى لنشرع في شرح أهم هذه اللقاحات:-

*- الأول:- لقـــــاح الاستعـــداد للقـــاء الله قصـــر الأمـــــل:-

*- قال ابن القيم:- " ولقاح أخذ أهبة الاستعداد للقاء قصر الأمل، فإذا اجتمعا فالخير كله في اجتماعهما والشر في فرقتهما ".

*- وأسألك:- لو خيرت، متى تحب أن تموت؟، سؤال ينبغي أن يفرض نفسه عليك، متى تحب أن تموت؟، قال أحدهم:- الآن، فقلت له:- أمتأهب؟!، أخاف عليك، لأن الله تعالى يقول:- { وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ }،(الزمر:- ٤٧)، وقال آخر:- أخاف أن أقابله فأجد أمورًا لم أكن أتوقعها، وأشياء لم أضعها في حسباني، ولم أكن أنتظرها، هناك قضايا ومشاكل تنتظرني سيحاسبني الله عليها لا أعرفها، ولذلك فأنا خائف.

*- سيدنا معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه وأرضاه لما جاءه الموت قال:- " مرحبًا بالموت، مرحبًا زائرٍ مغبٍّ وحبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم "، فمعاذ إذًا متأهب ومستعد.

*- وهذا سينا حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه لما جاءه الموت قال:- " يا موتُ غُطَّ غَطَّكَ، يا موتُ شدَّ شَدَّكَ أبى قلبى إلا حبك".

*- يحب الموت لأنه متجهز ومستعد، فهل أنت متجهز؟!، هل أنت مستعد لمقابلة الله الآن؟!.

*- { وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ }،(الزمر:- ٤٧)، { وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }،(الزمر:- ٤٨)، وجدوا المكسب سيئات!.

*- فلقاح أخذ الأهبة أن تكون سائرًا في الطريق إلى الله بحذر وتيقظ، فتخشى أن يأتيك الموت بغتة، فعش يومك الذى أنت فيه معتقدًا وجازمًا أنه آخر يوم لك على الدنيا، عش الدنيا كما عاشها رسول الله ﷺ، عش كما عاش ومت كما مات، قال النبى ﷺ:- " ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل بظل شجرة ثم راح وتركها "،[صححه الألباني]، ولذلك " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل "، وهذا شعاره ﷺ.

*- واعلم أن الأماني بحر المفاليس، نعم:- إن الذي يبيت ظانًّا أنه سيقوم غدًا، طويل الأمل وغير مستعد للقاء الله تعالى، ولذلك إذا قصر أملك في الدنيا فقد لقحت استعدادك للموت، فيحصل الصدق وتسير إلى الله بذلك، وبهذا تكون مستعدًا.

*- الثاني:- لقـــــاح الهمـــــة العاليـــــة النيـــة الصحيحـــــة:-

*- اللهم ارزقنا علو الهمة، أحد إخواننا كان يحفظ القرآن، ثم بدأ في الصيف في دورة علمية فالتزم فيها، وفجأة ترك الدورة قال:- لقد وجدت أن الاهتمام بالدورة قد شغلني عن القرآن، ولماذا يا بني لا يكون الاثنان معًا؟!، أين الهمة العالية؟!، أنت في الكلية تدرس ست مواد أو ثمانية في الفصل الواحد وتذاكرها جميعًا بل وتحصل على امتياز، لماذا لاتكون همتنا عالية أيضًا في طلب علم الكتاب والسنة وفي العبادة والدعوة إلى الله تعالى؟!.

*- ثم إن الهمة العالية وحدها لا تكفي، بل كثيرًا ما تجني على أصحابها فتجرهم إلى الوراء،. فالذي لديه همة عالية بدون نية صالحة تجده مبتلى بالعجب والغرور والرضا عن النفس، والكبر والازدراء للآخرين واحتقارهم، إذًا فلقاح الهمة وزوجها:- النية الصالحة،. اللهم ارزقنا حسن النية.

*- والهمة نعمة، واستقلالك لنعم الله عليك يسقطك من عين الله، لذلك إذا رزقك الله همة عالية فلقحها بنية صالحة، لتحفظ النعمة وتستقيم على الطريق.

*- يقول ابن القيم:- " ولقاح الهمة العالية:- النية الصالحة، فإذا اجتمعا بلغ العبد غاية المراد "، أحسن نيتك في همتك تكن الهمة صالحة، فتصل إلى الجنة العالية.

***- الثالث:- التقـــــــــوى لقـــــــــاح التوكـــــــــــل:-**

*- قال ابن القيم:- " والتقوى:- لقاح التوكل، فإذا اجتمعا استقام القلب ".

*- التقوى:- ترك ما تهوى لما تخشى، فالذي يمشي في الشارع فلا ينظر يمنة أو يسرة، بل آخر حدود عينه خطوة أو خطوتان، هذه تقوى، لأنه سلك طريقًا كلها أشواك، فإذا نظر في أي اتجاه وجد بلوى ومصيبة، ولذلك فهو دائمًا يمشي على الشوك بالتقوى، فإذا وجد اثنين يتكلمان فلا يحاول أن يعرف فيما يتكلمان، فهذا ورع وتقوى.

*- قيل لأحدهم:- هل سلكت طريقًا ذا شوك؟، قال:- نعم، قيل:- ماذا صنعت؟، قال:- شمرت واجتهدت، قيل له:- فتلك التقوى:- التشمير والاجتهاد، أن تعيش هذه الحياة ماشيًا على الشوك، فتكون شديد الحذر، ولقاح هذه التقوى وزوجها التوكل، أن تتوكل على الله وأنت تسير على الشوك، قال الله تعالى:- { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }،(الطلاق:- ٣).

*- ويتحدث ابن القيم عن حقيقة التوكل في إحدى درجاته العالية فيقول:-

*- " اعتماد القلب على الله، واستناده إليه، وسكونه إليه، بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب، ولا سكون إليها، بل يخلع السكون إليها من قلبه، ويلبسه السكون إلى مسببها.

*- وعلامة هذا:- أنه لا يبالي بإقبالها وإدبارها، ولا يضطرب قلبه ولا يخفق عند إدبار ما يحب منها وإقبال ما يكره، لأن اعتماده على الله، وسكونه إليه، واستناده إليه، قد حصنه من خوفها ورجائها، فحاله حال من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به، فرأى حصنًا مفتوحًا، فأدخله ربه إليه وأغلق عليه باب الحصن، فهو يشاهد عدوه خارج الحصن، فاضطراب قلبه وخوفه من عدوه في هذه الحال لا معنى له.

*- وقد مثل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده، وسكونه، وطمأنينته بثدي أمه لا يعرف غيره، وليس في قلبه التفات إلى غيره، كما قال بعض العارفين:- ‘‘المتوكل كالطفل، لا يعرف شيئًا يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه ".

*- إذًا فلقاح التقوى التوكل، فلابد للمتقي من صدق التوكل على الله تعالى، وإلا فهي حذر مجرد دون نية صالحة، فيقع في المحذور وهو أتقى ما يكون، فتجد هذا المغبون الذي فقد التوكل مع التقوى رغم تحريه وشدة اتقائه يقع في كبائر يعافها الفساق، [ألم ترَ إلى مصلٍّ قوامٍ صوام] يأكل أموال الناس بالباطل!، وأمثال ذلك كثير لاعتماده على التقوى وعدم توكله على الله، فلابد منهما مع، فبهما معًا يكفيك الله ما أهمك من عقبات الطريق، فيوصلك ويبلغك إليه.

***- الرابع:- التذكـــــر والتفكـــــر كـــــلٌّ منهمـــا لقـــــاح الآخـــــــر:-**

*- قال ابن القيم:- " والتذكر والتفكر كل منهما لقاح الآخر، إذا اجتمعا أنتجا الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة "، فالتفكر في مخلوقات الله مع الذكر زوجان لا يفترقان، تأمل وقل-: سبحان الله!، فإذا ذكرت الله تفكرت، وإذا تفكرت ذكرت، نعم:- الذكر يصفي القلب، فيجعله لا يمر على شيء إلا تعقله وتأمل فيه، وكذلك التفكر يقوي القلب فيجعله هائمًا دومًا بذكر الله، فاحرص أخي الحبيب الغالي على هذين اللقاحين في طريق السير إلى الله يزهداك في الدنيا ويرغباك في الآخرة ويساعداك كثيرًا في الوصول إلى الله تعالى.

*- فالنظر والتدبر والتأمل في عظيم خلق الله تعالى عبادة، ولهذا لما سئل أعرابي:- بم عرفت ربك؟ فقال:- الأثر يدل على المسير، والبَعْرَة تدل على البعير، فسماء ذات أبراجٍ، وأرضٌ ذات فجاج، وبحارٌ ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟ الجواب:- بلى، هذا أعرابي استدل على أن هذه الحوادث العظيمة تدل على خالقٍ عظيم عزَّ وجلَّ، هو السميع البصير، فالحوادث دليل على وجود المحدث، ثم كل حادثٍ منها يدل على صفةٍ مناسبةٍ غير الوجود، فنزول المطر يدل لا شك على وجود الخالق، ويدل على رحمته، وهذه دلالةٌ غير الدلالة على الوجود، وجود الجدب والخوف والحروب تدل على وجود الخالق، وتدل على غضب الله عزَّ وجلَّ وانتقامه، فكل حادثٍ له دلالتان:-

*- دلالةٌ كلية عامة:- تشترك فيها جميع الحوادث وهي وجود الخالق وجود المحدث.

*- ودلالةٌ خاصة:- في كل حادثٍ بما يختص به كدلالة الغيث على الرحمة ودلالة الجدب على الغضب وهكذا.

*- وهناك دلالة أخرى:- النوازل التي تنزل لسبب دالة على وجود الخالق، مثل:- دعاء الله عزَّ وجلَّ ثم استجابته للدعاء دليل على وجوده، وهذه وإن كانت من باب دلالة الحادث على المحدث لكنها أخص، لما دعا النبي ﷺ الله أن يغيث الخلق قال:- (اللهم أغثنا اللهم أغثنا) ثم نشأ السحاب وأمطر قبل أن ينزل من المنبر، هذا حديث أنس يدل على وجود الخالق وهذا أخص من دلالة العموم.

***- الخامس:- الصبـــــــــر لقـــــــــاح البصيـــــــــرة:-**

*- قال ابن القيم:- " الصبر:- لقاح البصيرة، فإذا اجتمعا فالخير في اجتماعهما"، قال الحسن:- ‘‘إن شئت أن ترى بصيرًا لا صبر له رأيته، وإذا شئت أن ترى صابرًا لا بصيرة له رأيته، وإذا شئت أن ترى صابرًا بصيرًا فذاك ’’ فذاك الرجل، اللهم اجعلنا من رجالك.

*- صبر مع بصيرة، أن ترى الحق فتعرفه، وترى الباطل فتعرفه، أن تعرف الحق من الباطل وتصبر عليهما حتى تصل إلى الله عزَّ وجلَّ.

***- السادس:- العزيمـــــــةُ لقـــــــاحُ البصيـــــــــــــــرةِ:-**

*- يقول ابن القيم:- " والعزيمة:- لقاح البصيرة، فإذا اجتمعا نال صاحبهما خير الدنيا والآخرة، وبلغت به همته العلياء كل مكان، فَتَخَلُّفُ الكمالات إما من عدم البصيرة وإما من عدم العزيمة ".

*- البصيرة:- أن يرى قلبك الحق فيعرفه، فإذا رأى الحق عزم عليه فعاش عليه، ثم تحدث لك عزيمة ثانية على ترك الباطل فتبتعد عنه.

***- السابع:- حسن الظن بالله لقاح الافتقار والاضطرار إليـــــــــــــه:-**

*- يقول ابن القيم:- " وحسن الظن بالله لقاح الافتقار والاضطرار إليه، فإذا اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء".

*- حسن الظن، وتأمل هذا الحديث:- " إن رجلًا بعث فحوسب فثقلت موازين سيئاته، فقال الله:- خذوه إلى النار، فصار يلتفت، فقال الله:- ردوه، فقال الله:- عبدى هل وجدت سيئة في صحيفتك لم تعملها،

قال:- لا يا رب قال:- فما بالك تلتفت، قال:- ما هذا ظني فيك يا رب، فقال الله:- خذوه إلى الجنة ".

*- اللهم ارزقنا الجنة، لم يكن ظني بك يا رب أنك ستدخلني النار، بل كان ظني أنك سترحمني وتدخلني الجنة، كان هذا ظني فيك يا رب.

*- قال الله عزَّ وجلَّ في الحديث القدسي:- " أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي ما شاء "،[صححه الألباني]، فما ظنك بالله، العذاب أم الجنة؟، اللهم استرنا يا رب، وإذا كنت تظن به خيرًا فهل عملت خيرًا؟!، وهل تصلح وهل تستحق لأن يدخلك الجنة؟!، اصدق مع الله يرحمك وينجك.

*- حاول أن تكون مستحقًّا لأن يحبك الله، فاضبط نفسك على طاعته، فحسن الظن مع سوء العمل لا ينفع صاحبه، فضلًا عن أنه سوء أدب مع الله، قال الحسن:- " إن قومًا غرتهم الأمانى قالوا:- نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ".

*- وفي هذا المعنى الجميل يقول فضيلة شيخنا الجليل:-

فاضبط على الشرع والتحقيق ميــزانًا وسلم الأمر إيثارًا وإذعانـــــــــــــًا

وقدم النفس للتوحيد قربانـــــــــــًا واجعل غياب السوى لحال عنوانـــــــًا

ولا توهم له حولًا وسلطانـــــــــــًا وارجع لمولاك كل الأمر عرفانـــــــــًا

وارضَ به معطيًا أو شاء حرمانـــــًا ولذ بأهل التقى حسًّا ووجدانـــــــــــًا

واجعل هواك هواهم كيفما كانـــــــا لم ينطوِ في هواهم غير من عانـــــــا

وباع من أجلهم مالًا وولدانـــــــــا وذاق نار الهوى سهدًا وأشجانـــــــــا

وصاغ من عنفوان الوجد ألحانـــــا وجاءهم من ثياب الفرق عريانـــــــا

فاصبر على محن التمحيص حسبانا تنل عطايا الرضا من فضل مولانـــــا

وتحظَ بالفوز إن الفوز سرعانـــــا ما يقتفي الصبر والإقبال سرعانـــــا

*- فكيف تحسن ظنك بالله وأنت تحاربه، وتعاديه بالمعاصي؟!، كيف وأنت مُوَلِّهِ ظهرك؟! كيف وأنت لا تذكره؟! كيف وأنت لا تقرأ كلامه ولا تنفذ أوامره وأحكامه؟! وكيف وأنت لا تطيعه؟! كيف تحسن الظن

بالله وأنت تفعل كل ما نهاك عنه؟! إن الأمر إخوتي في الله تعالى ليس لعبًا، قال الله تبارك وتعالى:- {وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ }،(الطارق:- ١٤).

*- فأحسنِ الظنَّ بحقٍ واعمل، أحسنِ الظنَّ أخي الحبيب الغالي، فَحُسْنُ الظنِّ لقاحُ الافتقارِ والاضطرارِ، قال الله تعالى:- { أمّن يجيب المضطر إذا دعاه }،(النمل:- ٦٢).

*- يا رب:- ليس لي إلا أنت، افتقار واضطرار، يا رب:- لو وكلتني إلى نفسي فسأضل، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدًا ولا أقل من ذلك، خذ بيدي، يا رب لا تسلط عليَّ أعدائك فأنا ضعيف، لا تسلمني للعصاة والمذنبين فأنا مفتون وضعيف، يا رب!.

*- فهذا الصديق سيدنا يوسف عليه السلام افتقر إلى ربه فقال:- { وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ }،(يوسف:- ٣٣)، فقل:- يا رب، قل:- { أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ }،(القمر:- ١٠)، افتقر إلى الله في كل شيء، يا رب لا أعرف أصلي فعلمني.

*- يا رب:- القرآن ثقيل عليَّ فسهله لي، يا رب:- لا أقوم الليل ولا أصلي الفجر فبأي وجه أقابلك، فخذ بيدي، يا رب:- المعاصي تملأ الأرض، وكلما مشيت وقعت، فخذ بيدي، يا رب يا رب:- هذا هو حال المؤمن، كمثل رجل في البحر على خشبة يقول:- يا رب يا رب، فاللهم سلمنا وارض عنا، اضطرار وافتفار مع حسن ظن أنه لن يخيب رجاءك فيه، فيأخذ بذلك يدك ويبلغك المطلوب.

***- الثامن:- الخشيـــــــــة لقـــــــــاح المحبـــــــــــــة:-**

*- قال ابن القيم:- " والخشية لقاح المحبة، فإذا اجتمعا أثمرا امتثال الأوامر واجتناب المناهي ".

*- قال سهل:- خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال:- { وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ }،(المؤمنون:- ٦٠).

*- لمّا احتضر سيدنا سفيان الثوري جعل يبكي، فقيل له:- يا أبا عبدالله، عليك بالرجاء، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال:- أو على ذنوبي أبكي؟!، لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبالِ بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا.

*- وقال ثابت البناني:- ما شرب داود عليه السلام شرابًا بعد المغفرة إلا ونصفه ممزوج بدموع عينيه.

*- وهذا الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو بن العاص يقول:- " لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بألف دينار ".

*- وقالت ابنة الربيع بن خثيم:- " كنت أقول لأبي:- يا أبتاه، ألا تنام؟! فيقول:- يا بنية، كيف ينام من يخاف البيات؟!.

*- وقال الحسن رحمه الله:- يحق لمن يعلم أن الموت مورده، وأن الساعة موعده، وأن القيامة بين يدي الله تعالى مشهده أن يطول حزنه.

*- " وقال يوسف بن أسباط:- كان سفيان الثوري إذا أخذ في ذكر الآخرة يبول الدم ".

*- وعن زيد بن أبي الزرقاء قال:- حمل ماء سفيان إلى طبيب في علته فلما نظر قال:- هذا ماء رجل قد أحرق الخوف جوفه.

*- إخوتي الكرام:- طوبى لقلوب ملأتها محبة الله فخافته.

*- وهذا سيدنا حكيم بن حزام سيد شعاره الحب:- كان رضي الله عنه يطوف بالبيت ويقول:- ‘‘لا إله إلا الله، نعم الرب ونعم الإله، أحبه وأخشاه’’.

*- وقال هرم بن حيان:- المؤمن إذا عرف ربه عزَّ وجلَّ أحبه، وإذا أحبه أقبل إليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة، ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة، وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة.

*- قال خليد العصري:- يا إخوتي:- هل منكم من أحد لا يحب أن يلقى حبيبه؟!، ألا فأحبوا ربكم عزَّ وجلَّ وسيروا إليه سيرًا جميلًا، لا مصعدًا ومميلًا.

*- ولله در القائل:-

كانت لقلبى أهواء مفرقـــــــــــة فاسجمعت مذ رآك القلب أهوائـــــــــي

فصار يحسدني من كنت أحســـــده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائـــي

تركت للناس دنياهم ولـهوهـــــــم شغلًا بحبك يا دينـــي ودنيائـــــــــي

*- وقال الشاعر:-

أروح وقد ختمت على فـــــــؤادي بحبك أن يحل به سواكـــــــــــــا

فلو أني استطعت غضضت طرفـي فلم أنظر به حتـى أراكـــــــــــــا

أحبك لا ببعضـي بل بكلـــــــــي وإن لم يبقِ حبك لي حراكـــــــــــا

وفي الأحبـاب مختص بوجـــــــد وآخر يدعي معه اشتراكـــــــــــا

وكلًّا يدعي حبًّا لربـــــــــــي وربـي لا يقرُّ لهم بذاكـــــــــــــا

إذا اشتبكت دموع فـي خـــــــدود تبين من بكـى ممن تباكـــــــــــى

فأما من بكى فيذوب وجـــــــــدًا وينطق بالهوى من قد تباكـــــــــى

*- وقال مسمع بن عاصم:- سمعت عابدًا من أهل البحرين يقول في جوف الليل:- قرة عيني وسرور قلبي!، ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم، ثم صرخ وبكى، ثم نادى:- طوبى لقلوب ملأتها خشيتك، واستولت عليها محبتك، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك والاجتهاد في خدمتك، وخشيتك قاطعة لها عن سبيل كل معصية خوفًا لحلول سخطك، ثم بكى وقال:- يا إخوتاه:- ابكوا على فوت خير الآخرة، حيث لا رجعة ولا حيلة.

*- وعتبة الغلام القائل:- ‘‘تراك مولاي تعذب محبيك وأنت الحي الكريم’’.

*- " قال عنه سليم النحيف:- ‘‘رمقت عتبة ذات ليلة، فما زاد ليلته تلك على هذه الكلمات:- إن تعذبني فإني لك محب، وإن ترحمني فإني لك محب، فلم يزل يرددها ويبكي حتى طلع الفجر’’.

*- وقال عنبسة الخواص:- بات عندي عتبة الغلام ذات ليلة، فبكى من السحر بكاءً شديدًا، فلما أصبح قلت له:- قد فزعت قلبي الليلة ببكائك، ففيمَ ذاك يا أخي؟ قال:- يا عنبسة، إني والله ذكرت يوم العرض على الله، ثم مال ليسقط فاحتضنته،. فناديته-: عتبة عتبة، فأجابني بصوت خفيٍّ:- قطع ذكر يوم

العرض على الله أوصال المحبين، وقال:- ويردده، ثم جعل يحشرج البكاء ويردده حشرجة الموت ويقول:- تراك مولاي تعذب محبيك أنت الحي الكريم؟! قال-: فلم يزل يرددها حتى والله أبكاني.

*- وقال عتبة رحمه الله:- ‘‘من سكن حبه قلبه لم يجد حرًّا ولا بردًا، وقال عبد الرحيم بن يحيى الدبيلي:- ‘‘يعني من سكن حب الله قلبه، شغله حتى لا يعرف الحر من البرد، ولا الحلو من الحامض، ولا الحار من البارد’’.

*- وقال عتبة رحمه الله:- من عرف الله أحبه، ومن أحب الله أطاعه، ومن أطاع الله أكرمه، ومن أكرمه أسكنه في جواره، ومن أسكنه في جواره فطوباه وطوباه، وطوباه وطوباه، فلم يزل يقول:- وطوباه حتى خر ساقطًا مغشيًا عليه.

*- والخلاصة:- لَقِّحْ الحُبَّ بالخشية، تقوَ على طريق السير إلى الله.

***- التاسع:- الصبـــــــــر لقـــــــــاح اليقيـــــــــــن:-**

*- أنا على يقين بأن الله سينصر أمة محمد ﷺ، فهل أنت على يقين؟، يأتي اليقين بالصبر، قال الله تبارك وتعالى:- { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }،(السجدة:- ٢٤)، بالصبر واليقين تبلغ الإمامة في الدين.

*- الصبر على البلاء، والصبر عن المعصية، والصبر على الطاعة، الصبر مع الله وبالله ولله، الصبر لقاح اليقين، فاصبروا إخوتي الأحباب الكرام صبرًا جميلًا.

*- علامات اليقين:-

*- قال الفيروزآبادي:- ثلاثة من أعلام اليقين:-

١ – قلة مخالطة الناس في العشرة.

٢ – ترك المدح لهم في العطيـــة.

٣ – التنزه عن ذمهم عند المنـــع.

*- ومن علاماته أيضـــــــــــًا:-

*- النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال.

***- العاشر:- صحـــة الاقتـــداء بالرســـول ﷺ لقـــاح الإخـــلاص:-**

*- صحة الاقتداء بالرسول ﷺ تورث الإخلاص، فإذا اجتمعا أثمرا قبول العمل ووجود أثره.

*- شروط قبول العمل شرطان:- الإخلاص والمتابعة، فإذا لم تكن مخلصًا فأكثر من أعمال السنة يأتك الإخلاص، وإذا كنت لا تعمل، إذا كنت بطيئًا وضعيفًا وخاملًا، فأكثر من الإخلاص يضعك الله في الخدمة فتكون من خدامه، إذًا فلابد من وجود أحد الشرطين لديك ليتوفر الآخر، وآه ممن فقد الشرطين!! كيف يكون حاله؟!، وماذا يصنع؟!، ليس له إلا أن يقول:- يا رب.

*- إذًا فلا بد من الإخلاص في العمل، وصدق المتابعة لهدي رسول الله ﷺ الاثنان معًا، يجلب أحدهما الآخر، هذا هو اللقاح، فلو كنت مخلصًا فلابد أن تكون حالك متابعة النبى ﷺ، ولو كنت متبعًا فلابد أن تكون حالك الإخلاص.

*- وثمرة الإخلاص والمتابعة قبول العمل، ووجود ثمرة العمل أن تجد نتيجة العمل، فلو كنت مخلصًا متبعًا وخرجت إلى الشارع فإنك بالتأكيد ستغضُّ بصرك بالكلية عن كل ما حرم الله تبارك وتعالى، ولا تنظر مطلقًا إلى كل ما يغضب الله تبارك وتعالى، مطلقًا وهذا نتيجة وثمرة العمل الصالح، أنك لا تعصي، لو كنت مخلصًا أو متبعًا لوجدت أنك تستيقظ قبل الفجر تنتظر الصلاة فتجلس حاضر القلب، ثمرة ونتيجة فتجد من نفسك اخباتًا وخشية في قلبك.

*- قال العلماء:- " بين العمل وبين القلب مسافة وبين القلب وبين الرب مسافة وبين تلك المسافات قطاع طرق "، فترى الرجل كثير الصلاة، كثير الصيام، كثير ذكر الله وقراءة القرآن ولم يصل إلى قلبه من ذلك شيء، نعم:- قطاع طرق قطعوا الطريق عليه، لكن لو عمل بإخلاص ومتابعة فلابد أن يصل إلى القلب أثر العمل.

*- الحادي عشر:- العمـــــــــل لقـــــــــــاح العـــــــــــلم:-

*- العلم والعمل وجهان لعملة واحدة وزوجان لا ينفصلان في الأصل، ولذلك إذا اجتمعا كان الفلاح والسعادة، فإذا تعلمت ولم تعمل كنت منافقًا، وإذا عملت بدون علم كنت مبتدعًا، والذي يعلم ولا يعمل فيه شبه من المغضوب عليهم اليهود، والذي يعمل بدون علم فيه شبه من الضالين النصارى، إذًا فلابد أن يقترن العلم بالعمل، قال الإمام علي رضى الله عنه:- " العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل "، فاعمل بما علمت تزدد علمًا وتقىً وخشيةً، ولقح العلم بالعمل.

*- قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في " الموافقات ":-

*- " كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعًا "، ويبين رحمه الله أن الدليل على ذلك استقراء الشريعة، فيذكر جملة من الآيات والأحاديث الدالة على أن الشارع يعرض عما لا يفيد عملًا مكلفًا به.

*- ومن هذه الأدلة باختصار:- قوله تبارك وتعالى:- { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ }،(البقرة:- ١٨٩)، فوقع الجواب بما يتعلق به العمل، إعراضًا عما قصده من السؤال عن الهلال:- لما يبدو في أول الشهر دقيقًا كالخيط، ثم يمتلىء، ثم يصير بدرًا ثم يعود إلى حالته الأولى.

*- وقال الله تبارك وتعالى بعد سؤالهم عن الساعة:- { فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا }، (النازعات:-٤٣)، أي إن هذا سؤال عما لا يعني، إذ يكفي من علمها أنه لابد منها، ولذلك لما سئل ﷺ عن الساعة قال للسائل:- " ما أعددت لها "، إعراضًا عن صريح سؤاله، إلى ما يتعلق به مما فيه فائدة ولم يجبه عما سأل.

*- وقد كان مالك بن أنس يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، ويحكي كراهيته عمن تقدم.

*- ويؤكد الإمام الشاطبي رحمه الله على أن كل علم طلب الشارع له، إنما يكون حيث هو وسيلة إلى التعبد به إلى الله، قال الله تبارك وتعالى:- { وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ }،(يوسف:٦٨)، قال قتادة:- يعنى لذو عمل بما علمناه.

*- وروي عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله تبارك وتعالى:- { فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ }، (الشعراء:- ٩٤)، قال:- قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم وخالفوه إلى غيره.

*- وعن أبي الدرداء:- إنما أخاف أن يقال يوم القيامة:- علمت أم جهلت؟، فأقول:- علمت، فلا تبقى آية من كتاب الله آمرة أو زاجرة إلا جاءتني تسألني فريضتها، فتسألني الآمرة-: هل ائتمرت؟، والزاجرة:- هل ازدجرت؟، فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع.

*- وذكر مالك أنه بلغه عن القاسم بن محمد قال:- أدركت الناس وما يعجبهم القول إنما يعجبهم العمل.

ويواصل الشاطبي حديثه قائلًا:-

*- والأدلة على هذا المعنى أكثر من أن تحصى، وكل ذلك يحقق أن العلم وسيلة من الوسائل ليس مقصودًا لذاته من حيث النظر الشرعي وإنما هو وسيلة إلى العمل، وكل ما ورد في فضل العلم فإنما هو ثابت للعلم من جهة ما يتوسل به إليه، وهو العمل.

*- وإنما يكون العلم باعثًا على العمل إذا صار للنفس وصفًا وخلقًا، وهنا ينصح الشاطبي رحمه الله المشتغلين بالعلم، والذين لم يصلوا بعد إلى مرتبة الذين صار العلم لنفوسهم وصفًا وخلقًا بعدم ترك العلم لعدم عملهم به بداية أو لسوء نيتهم فيه، عليهم بمواصلة الطلب، فإنه سيلجئهم حتمًا إلى العمل.

*- يقول رحمه الله:- { على أن المثابرة على طلب العلم والتفقه فيه، وعدم الاجتزاء باليسير منه، يجر إلى العمل به، ويلجىء إليه، وهو معنى قول الحسن:- كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا الآخرة، وعن حبيب بن أبي ثابت:- طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية، ثم جاءت النية بعد، وعن أبي الوليد الطيالسي قال:- سمعت ابن عيينة منذ أكثر من ستين سنة يقول:- طلبنا هذا الحديث لغير الله فأعقبنا الله ما ترون} ".

*- وإذا كان لقاح العلم العمل به، وأن زكاة العلم العمل، هذا في حق كل الناس، فهم مكلفون بالعمل، فإذا كان ذلك فالعمل في حق من هم مظنة الاقتداء بهم أحرى وأولى.

*- وفي نهاية هذا البحث الماتع يقول الشاطبي رحمه الله:- " فالحاصل أن الأفعال أقوى في التأسي والبيان إذا جامعت الأقوال، فمن انفراد الأقوال، فاعتبارها في نفسها لمن قام فى مقام الاقتداء أكيد لازم، بل يقال:- إذا اعتبر هذا المعنى في كل من هو مظنة الاقتداء ومنزلة التبيين، ففرض عليه تفقد جميع أقواله وأعماله، ولا فرق في هذا بين ما هو واجب وما هو مندوب أو مباح أو مكروه أو ممنوع وهذا البيان الشافي المخرج عن الأطراف والانحرافات هو الراد إلى الصراط المستقيم ".

*- الثاني عشر:- الحـــــــــــــلم لقـــــــــــــاح العمـــــــــــــل:-

*- الحلم أن تكون حليمًا في شرع الله، وحليمًا مع خلق الله.

*- والحلم في شرع الله:- أن تشفق على العصاة والمذنبين وتنظر إليهم بعين الرحمة والعطف، تتحملهم وتحاول أن تأخذ بأيديهم لتنقذهم من الغرق، لتدفعهم إلى طريق الله، تبذل نفسك لتنتشلهم من نيران المعاصي المحرقة، ويساعدك تذكر حالك قبل، وأن الله منّ عليك ونجاك، وقديمًا قالوا:- لا يضحك في وجه العاصي إلا عالم، نعم:- كلما ازداد الإنسان علمًا ازداد حلمًا.

*- قال منصور بن محمد الكريزي:-

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منـه إليَّ الجرائـــــــم

فما النـاس إلا واحد من ثلاثـــــة شريف ومشروف ومثل مقـــــاوم

*- والحلم يبدل العداوة محبة، قال الله تبارك وتعالى:- { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }، (فصلت:- ٣٤ – ٣٥)، وفي ذلك يقول معين بن أوس المزني:-

فأبرأت غل الصدر منه توسعـًا بحلمي كما يشفى بأودية كلـــم

وأطفأت نار الحرب بيني وبينه فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلـم

*- إخوتي الأحباب:- الحلم طريق العمل، فإذا كنت لا تعمل فكن حليمًا يأتك العمل، كن حليمًا يحبك الله، قال رسول الله ﷺ لأشج عبدالقيس:- " إن فيك خصلتين يحبهما الله:- الحلم والأناة "،[أخرجه مسلم].

*- وقال رسول الله ﷺ:- " إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله "،[أخرجه البخاري].

*- وقال رسول الله ﷺ:- " إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه "،[أخرجه مسلم].

*- وقال رسول الله ﷺ:- " ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟، تحرم على كل قريب هين لين سهل "،[صححه الألباني].

*- أخي في الله، حبيبي في الله:- كن حليمًا مع خلق الله، واقتدِ بنبيك ﷺ وصحابته الأكرمين وسلفك الصالحين.

*- عن أنس رضى الله عنه قال:- " كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه بردائه جذبة شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال:- يا محمد مر لي، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء"،[متفق عليه].

*- وشتم رجل أبا ذر رضي الله عنه، فقال له:- يا هذا لا تستغرق في شتمنا، ودع للصلح موضعًا، فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكبر من أن نطيع الله فيه.

*- وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صائمة فأمرت جاريتها بريرة أن تصنع لها طعامًا، لتفطر به، فتشاغلت عن ذلك حتى مضى النهار، وجاء المغرب، فلم تجد أم المؤمنين طعامًا، فالتفتت إليها وقالت وهى تكتم غيظها:- " لله در التقوى لم تدع لذى غيظ شفاء ".

*- " وقيل للأحنف بن قيس:- من أين تعلمت الحلم؟، فقال:- من قيس بن عاصم، قيل:- وما بلغ حلمه؟ قال:- بينما هو جالس فى داره، إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء، فسقط من يدها، فوقع على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية، فقال لها:- لا روع عليك، أنت حرة لوجه الله تعالى ".

*- " وقيل:- إن أويسًا القرني كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة، فكان يقول لهم:- يا إخوتاه:- إن كان ولابد فارموني بالصغار، حتى لا تدموا ساقي، فتمنعوني عن الصلاة ".

*- " وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء، فقيل له:- لِمَ تمسكه؟!، فقال:- لأتعلم الحلم عليه ".

*- وكان لمعاوية رضي الله عنه قطعة أرض وبجوارها أخرى لعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما كان يجلس فيها هو وأهله، فكان عمال معاوية يدخلون عليه، فكتب إلى معاوية يقول:- يا ابن آكلة الأكباد، امنع عمالك عني، والا كان لي ولك شأن والسلام.

*- فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه لولده يزيد وقال له:- ما ترى؟، قال:- أرى أن تبعث إليه جيشًا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه، فقال له معاوية:- غير هذا خير، ثم قلب الكتاب وكتب على ظهره:- أما بعد:- فقد وقفت على كتابك يا ابن حواري رسول الله ﷺ، ويا ابن ذات النطاقين، وساءني ما ساءك، ووالله لو كانت الدنيا بأسرها بيني وبينك لسلمتها إليك، ولو كانت مزرعتي من المدينة إلى دمشق لدفعتها إليك، وقد نزلت عن أرضي لك، فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال والسلام، فإن جنة الله عرضها السماوات والأرض.

*- فلما قرأها ابن الزبير رضي الله عنه بكى، وكتب إليه:- قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ولا أعدمه الرأي الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام.

*- فلما وقف معاوية عليه تهلل وجهه وأسفر، وقال لابنه:- يا بنى، من عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب، فإذا ابتليت بشيء من هذه الأمور فداوه بمثل هذا الدواء.

*- نعم إخوتي الأحباب الكرام:- وصل هؤلاء إلى الله تعالى بترويض أنفسهم على طاعته ولزوم أوامره واجتناب نواهيه وهذا أيضًا من الحلم في شرع الله، حيث قال جَلَّ جلاله:- { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ }، (الحجر:- ٨٥)، وقال جَلَّ جلاله:- { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}،(النور:- ٢٢)، والعفو:- ترك المؤاخذة على الذنب، والصفح:- ترك التأنيب عنه، وقال جَلَّ

جلاله:- { وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }،(آل عمران:- ١٣٤)، وقال عزَّ وجلَّ:- { وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }،(الشورى:- ٤٣).

*- والخلاصـــة:- لَـقِّـــــــــــحِ العمـــــــــــلَ بالحـــــــــــلمِ.

*- وبعد إخوتي الكرام:- فهذه لقاحات على الطريق، لقاحات على طريق السير والوصول إلى الله، تقويك وتهيىء لك أسباب الوصول، فالزم كل زوج من هذه اللقاحات تجنِ ثمار خير كل منهما، لتقطع الطريق بقوة وسرعة وسهولة، وتذكر دائمًا قول الله تعالى:- { وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) }،(الذاريات:-٤٩-٥٠)، ففروا إلى الله، الجأ إلى الله، واعتمد عليه، واستعن به، وانطلق.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الحادي والعشرون:- ‘‘مـــن صفّى صُفِّيَ لـــه، ومـــن كدّر كُدِّرَ عليـــه’’

*- اللهم إنا نسألك أن تصفي لنا أعمالنا من الكدر، وقلوبنا من الرياء، وأعيننا من الخيانة، وألسنتنا من الكذب، اللهم إنا نسالك أن تصفي لنا حياتنا لتكون خالصة لك، فمن صفى صفي له، ومن كدر كدر عليه.

*- أيها الأخ الكريم:- اسمح لي أن أقول لك:- إن العلاقة مع الله علاقة ذات حساسية بالغة، وبعض الشباب لا يلتفت لتلك العلاقة، فتراه يلتزم، اللهم ارزق شبابنا الالتزام، اللهم ثبتهم على الإيمان، اللهم نجهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويبدأ الطريق، ومع ذلك لا يزال يتلون، لا يزال تافهًا وفارغًا، لا يزال ماء قلبه معكرًا، تراه يمكر بالله، يحاول أن يخدع الله، وإنما أُتِيَ هذا المسكين من جهله، لأنه لم يعرف الله.

*- إخوتي الأحباب الأعزاء يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- '' المحبة إذا دخلت القلب الأجرد الخالي من الأغيار وقعت في الأرض الطيبة فكانت أعظم زرعة، وهي المشار إليها بقوله تعالى:- {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةًۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ}، (النمل:-٣٤)، فالمحبة إذا تملكت قلب المؤمن أفسدت وأزالت كل ما سوى الله منه، وما يعقل شيئًا من يكون مشغولًا بحب الشيء الزائل، فغاية أمره أن ينال هذا الزائل، وهيهات ويكون الثمن الباهظ ضياع حياته في متاهات الدنيا وأوحال الغفلة ورجس الضلال، أما الذي تملكت قلبه محبة الخالق فرضي به ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن هاديًا، وبسيدنا محمد ﷺ نبيًا وقائدًا، فهو حقًّا سعيد الدارين، والفائز صدقًا بالحسنيين، فكيف نترك محبة الرب الكامل وننشغل بمحبة الشيء الزائل، والله إن ذلك لا يليق بأمة قال الله في حقها:- {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ }، (آل عمران:-١١٠)، وأكبر منكر عند الله تعال ان تجذبنا محبة الشيء الزائل، ونترك محبة الكامل جلَّ شأنه، كم والانا بالفضل الشامل، ونحن نقابل ذلك منه بالإعراض والفغل الشائن، ويا بني أنصحك الحذر كل الحذر، بل الخوف كل الخوف من محبة الشيء الزائل، يا بني لا غيرة من زائل، ألا كل ما سوى الله زائل، يا بني فرغ قلبك لمحبة الواحد الكامل، ورسوله الأعظم العامل، واحرسه حتى لا يعقل، فعندها لك البشرى، فقد تولى الله أمرك، وعلى طريق الحق حفظ سيرك، وكفاك هموم الدنيا وسخر لك غيرك وناداك للقائه فقال:- '' من كان همه يوم لقائي كفيته شر ما أهم وجعلت له الدنيا خادمة''.

*- ولذلك عندما أقول لك:- تب فتقول:- تبت من كل شيء فأنت إذًا كذاب، حدد من أى شيء تبت، تبت من ماذا؟، فذنوبك كثيرة؟!، ينبغي أن تسمي الأشياء بمسمياتها لتكون واضحًا، تعامل مع الله بصراحة وإياك أن تخادع أو تمكر.

*- أخي في الله:- إذا التزمت فَصَفِّ، صَفِّ، لابد أن نصفي أعمالنا مع الشيطان، نصفى حساباتنا مع النفس والهوى، لابد أن نبدأ في تصفية أحوالنا مع الشهوات، لتبقى حياتنا صافية تمامًا لله وحده.

*- بعض الشباب ينظر إلى المحرمات، ويطلق لبصره العنان، فهل هذا يصفي أم يكدر؟، يقول:- أشعر بقسوة في قلبي لا أعرف لماذا؟!، عجيب أمرك! أتمكر؟!، أنت تعرف ما سبب هذه القسوة، فحينما تكدر يكدر عليك.

*- والعلماء يستدلون على هذا الأصل:- " من صَفَّى صُفِّيَ له، ومن كدر كدر عليه " يقول الله تبارك وتعالى:- { إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}،(الإنسان:- ٥ - ٦)، عينًا يشرب بها من؟ " عباد الله "، فهم أبرار، عباد الله أولًا، ولذلك استحقوا النعيم والتكريم.

*- قال العلماء:- الناس ثلاث درجات:-

*- الدرجة الأولى:- أصحاب الشمال نعوذ بالله منهم، وهؤلاء هم أهل النار، وإن كانوا في النهاية سيدخلون الجنة.

*- والدرجة الثانية:- الأبرار، وهم من أهل الجنـــــــــــــة.

*- والدرجة الثالثة:- المقربون وهم أفضل وأعلى من الأبرار.

*- إذًا فأهل الجنة درجتان:- أبرار ومقربون، ولذلك يقول عزَّ وجلَّ:- {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ }، (الرحمن:- ٤٦)، وفي قوله:- {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ }،(الرحمن:- ٦٢)، جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من ورق (فضة) لأصحاب اليمين، وفي هؤلاء جميعًا يقول الله عزَّ وجلَّ:- { فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ }،(الواقعة:- ٨ - ١١).

*- أصحاب اليمين والسابقون أو الأبرار والمقربون، درجتان:- ممتازة وعادية، فأي الدرجتين تفضل؟!، ولذلك فإن الناس الأبرار يقول الله فيهم:- { إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا }، (الإنسان:- ٥)، مزاجها أي ممزوجة، أي إنهم سيشربون ماءً كافورًا، " مزاجها كافورًا " ، أي:- رائحتها

كافور، أما عباد الله المقربون فسيشربون كافورًا خالصًا، كافورًا صافيًا، لأنهم صَفَّوا، ومنْ صَفَّى صُفِّيَ له، ومن كدر كدر عليه.

*- نعم والله إن نعمة حلاوة الإيمان ولذة الطاعة والإحسان، نعمة لا يدركها ولا يعرف قيمتها إلا من ذاقها وأحس بها وعاش معها، ولذة لا يستشعر أثرها إلا من تذوق طعمها وأنس بوجودها.

*- وحلاوة الإيمان تسري سريان الماء في العود، وتجري جريان الدماء في العروق، فيأنس بها القلب وتطمئن بها النفس، فلا يحسُّ معها المرءُ بأرقٍ ولا قلقٍ ولا ضيقٍ، قال تعالى:- { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)}،(سورة الأنعام:-١٢٥-١٢٧).

*- ووالله لو ذاق الملوك ما نحن فيه من لذةٍ لجالدونا عليها بالسيوف.

*- إن بعض الناس في الجنة، اللهم ارزقنا الجنة يا رب ينظر إلى وجه ربه بكرة وعشية، وبعض الناس لا يرى الله إلا كل جمعة، كل أسبوع مرة فماذا تنوي أنت؟ هل تحب أن ترى الله مرتين في الأسبوع أم مرة كل يوم؟، إذا كنا في الدنيا نتمنى أن نأتي درس العلم كل يوم، فما بالنا في الجنة برؤية الملك!!.

*- إخوتي الأحباب الكرام:- لو أنكم كنتم في الجنة، وحرمت أنت من النظر إلى وجه الله الكريم كل يوم، ولم تتمتع برؤيته كما يتمتع أهل الفردوس، فكيف تتصور حالك؟!. نعم:- ستكون سعيدًا في الجنة ولكن ليس كسعادة أهل الفردوس، هذه هي القضية، أن تفكر في حالك، وهل أنت صافٍ مع الله أم لا؟ هل لو متَّ اليوم ستكون مع النبي محمد ﷺ؟ أجب!، إذًا فاعمل للفردوس الأعلى، ابدأ وصفِّ ولا تلتفت، فإن الذي يضع الفردوس في ذهنه يظل يعمل لها طوال عمرها لينالها.

*- نعم:- لن تستطيع السير في الطريق إلى الفردوس إلا إذا صفيت، فصفِّ ليصفي الله لك قلبك، ويصفي لك عبادتك، صفِّ ليصفي لك حياتك، صفِّ ليصفي لك طريقك إليه، خلِّ عنك مشاكلك ومشاغلك ولا تفكر إلا في الله، عش لله خالصًا صافيًا، لا تنشغل إلا بالله وحده، وكلما صفيت لله صفى

لك، ومن كَدَّرَ كدرَ عليه، فإذا وجدت فى حياتك كدرًا، كأن تجد والدك يضايقك حين التزمت أو زوجتك أو زملاءك في العمل، فاعلم يقينًا أن هذا الكدر منك أنت، فلو كنت صافيًا لله لأراح قلبك، نعم:- السبب أنك لست بخالص، كدرت فكدر الله عليك حياتك، فصفِّ يصفَ لك.

*- إذا وجدت أنك تقف في الصلاة فيشرد ذهنك، وتقرأ القرآن فلا تركز ولا تتدبر وتذكر الله وفكرك شارد، فاعلم أنك كدرت العبادة، لم تصفُ بعد لله، فالكدر آتٍ منك أنت.

*- ولذلك يقول العلماء:- " من رأس العين يأتي الكدر "، فالكدر خارج من داخلك أنت، من أعماق قلبك فاصفُ قلبك لله، فرغ قلبك لله وحده، ليصفي لك حياتك، فتصل إليه بأمان واطمئنان.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الثاني والعشرون:- '' إيـــاك أن تتجاهــل جانبًا واحدًا من جوانب الديــن''

*- الدين .. ما هو الدين؟!

*- بعض الناس يرى أن الدين هو الدعوة، وكل همه الدعوة إلى الله، يجمع الناس ويدخلهم المساجد ويجلس يكلمهم ويهديهم ويدعوهم، ونسي كل شيء في الدين إلا هذه، وبعض الناس يرى أن الدين مجرد عبادة:- صيام وقيام وذكر وصلاة، ففرغ نفسه للعبادة تمامًا وترك كل الدين، وبعض آخر يرى أن الدين هو العلم، فتراه جالسًا للعلم ليل نهار، علم علم، ونسي بقية جوانب الدين، وبعض آخر يظن أن الدين إقامة الدولة، فتراه يدأب ويحارب ليقيم دولة الإسلام، ونسي بقية الدين وفرط فيه من أجل هذه الجزئية.

*- ليس هذا هو الدين، الدين كلٌّ لا يتجزأ، فكل هذا هو الدين، الدين هو العلم والعمل والعبادة والدعوة والجهاد للتمكين، الدين كل هذا جملة واحدة، وكثيرًا ما أقول هذه الجملة:- الدين لا يؤخذ بالقطاعي، ولا

يؤخذ بالتقسيط، لا يؤخذ بالقطعة، الدين كلٌّ، ولذلك يقول ربي وأحق القول قول ربي:- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً }،(البقرة:- ٢٠٨)، أي خذوا الإسلام بكلياته، واعملوا بكل ما فيه من برٍّ.

*- ولذلك يجب علينا أن نأخذ كله، لا نأخذ منه على ما يوافق هوانا، وندع ما لا يعجبنا، لا يا أخي الحبيب الغالي، ليس هكذا الدين، الدين ليس لعبة، الدين ليس تهريجًا، قال الله تعالى:- { وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا }،(الأنعام:- ٧٠).

*- وتأمل معي هذا الحديث العظيم الذي ينبغي ألا يقرأه أحد قط إلا ويرتجف قلبه ويشيب شعره، حديث الثلاثة الذي رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول:- " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال:- فما عملت فيها؟ قال:- قاتلت فيك حتى استشهدت، قال:- كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال:- جريء فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال:- فما عملت فيها؟ قال:- تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال:- كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال:- عالم، وقرأت القرآن ليقال:- قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها قال:- فما عملت فيها؟ قال:- ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال:- كذبت، ولكنك فعلت ليقال:- هو جواد، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار ".

*- انظر كيف سعرت جهنم بهؤلاء الثلاثة بعد ما سحبوا على وجوههم إليها، إنه والله شيء مخيف، شيء رهيب، عالم شهد الله له أنه علّم فقال:- علّمت ليقال، ثم يكون أول من يسحب على وجهه إلى جهنم، عالم معلم، شيخ داعية، مشهور مؤثر له أتباع ومع ذلك يدخل جهنم، لأنه فقد الإخلاص لله سبحانه وتعالى.

*- وأظن أن ذلك أيضًا نتيجة أحادية النظرة، فلعله كان إذا دعى إلى جهاد أو صدقة أو قيام ليل أو مجلس ذكر أو إعانة فقير محتاج، فإنه كان يقول:- إنني عالم، فهدم كل جوانب الدين ظانًّا أنه يكفيه هذا الجانب الذي هو فيه، اختل به هذا الجانب أيضًا، فهوى به في هوة سحيقة من جهنم.

*- ومثله المتصدق:- كان يعمل الليل النهار ليحوز المال الذي يتصدق به، وقصر في كل جوانب الدين، وإذا ذكرته يقول:- أنا أفتح بيوتًا وأعول فقراء وأقيت جوعى، إنما أعمل ليقوم بي ناس كثير، فلما سقط هذا الجانب أيضًا ولم يكن له غيره هوى في بئر جهنم.

*- فإياك أخي الحبيب الغالي:- أن تغتر بجانب تقوم به، وإنما كن للدين كله عافانا الله وإياك من اتباع الهوى.

*- الدين حين يأتى بالأمر، فلابد أن تلتزم به كله في الحال، قال رسول الله ﷺ-: " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا "،[متفق عليه].

*- يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في منظومته في أصول الفقه وقواعده:-

والأمر للفور فبادر الزمن إلا إذا دل دليل فاسمعن

*- " ومعنى هذا أن الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ إذا أمرا بشيء فإنه للفور، يعني يجب على الإنسان أن يفعله فورًا من حين أن يوجد سبب الوجود ويكون قادرًا على ذلك، " فبادر الزمن " يعني أن الزمن يمضي ويمشي، فبادر قبل أن يفوت، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ أمر أصحابه عام الحديبية أن يحلقوا ويحلقوا، ولكنهم تأخروا رجاء أن يحدث لهم نسخ، فغضب النبي ﷺ لذلك، فكان هذا دليلًا على أن الأمر المطلق يكون للفور، ولو أننا قلنا:- يجوز التأخير لتراكمت المأمورات وكثرت وعجز الإنسان عنها ".

*- فاذا التزمت اليوم علي طريق الله، فاستعن بالله تبارك وتعالى، وابدأ في تطبيق ما شرع الله تعالى به، وما أمر به رسوله ﷺ، ولا تتردد في شرع الله تبارك وتعالى، فالله تبارك وتعالى ينظر إلى القلوب، فإذا علم صدق النية منك وصدق التوجه الحقيقي إليه سدد خطاك، ووفقك لما يحبه ويرضاه، فأخلص النية

واصدق الله تعالى، وتوكل عليه فنعم الرب سبحانه وتعالى يعطي الكثير، ويثيب الكثير على العمل القليل، وما ذلك على الله بعزيز.

*- أحد الإخوة أراد أن يلعب تنسًا، فذهب إلى المدرب وقال له:- ما المطلوب في لعب التنس، فقال له المدرب:- مضرب تنس و " كاب " أبيض وفانلة بيضاء و " شورت " أبيض وجورب أبيض و " بوت " أبيض، فقال له الأخ:- لا يصح التنس إلا بهذا اللبس؟ قال له:- نعم، لا يكون التنس إلا بهذا الشكل، فذهب الإخ وأحضر اللبس، فأتى وهو يحمل المضرب فقابله أحد من يعرفه فقال له:- أتلعب تنسًا؟! لماذا تلعب؟!، فانظر إلى تعجب الناس منه، لأنهم يظنون في الأصل أنه رجل دين لا يلعب ولا يلهو!!.

*- والشاهد من هذا الموقف:- أن من يريد الدين فلابد أن يلبس ثوب " الدين "، قال المدرب-: لا يصح التنس إلا بهذا الشكل، وأقول لك:- لا يصح الدين إلا إذا التزمت به كليًا، فإذا أردت السير فى طريق الله فلابد أن يكون شكلك بالدين، وحياتك بالدين، لتكون من أهل الدين الفائزين بالوصول إلى الله.

*- فإذا دخل أحد بيتك يعلم من أول وهلة ومن أول نظرة:- أنك رجل دين، فعش بالدين وللدين وعلى الدين، إن الناس اليوم إخوتي الأحباب الكرام لا يلعبون التنس، بل يلعبون بالدين، فأمسك على الدين ولا تلعب به، فالدين ليس تهريجًا، إنه حقٌ جدٌ حقٍ، وما هو بالهزل.

*- فإذا أردت أن تغني فلا تغنِ باسم الدين، إذا أردت أن تلعب فالعب بعيدًا عن الدين، ولا تُلَبِّسْ على الناس دينهم بهواك، فتأخذ من الدين ما يعجبك وتترك ما يخالف هواك، إذا أردت أن تدخل في الدين، وإذا أردت أن تكون من أهله، فالشرط أن تتمسك بالكل، فلا تتجاهل جانبًا واحدًا من جوانب الدين.

*- فالرسول ﷺ لما رجع من الطائف وجلس بمكة بدأ يعرض نفسه، أي يعرض الدين على القبائل، فيقول لهم:- " قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا "، كما كان يعرضه عليهم قبل الطائف، ولكن العرض بعد الطائف كان عرضًا للحماية فكان ﷺ يقول:- " هل من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني (أى يحميني) كي أبلغ رسالة ربي، فإن قريشًا قد منعتني أن أبلغ رسالة ربي "، نعم:- كان يطلب الحماية من القبائل العربية، فأتى بني عامر بن صعصاع، فعرض عليهم نفسه، فقام رجل منهم يقال له-: بحيرة بن فراس

فقال:- والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له:- أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟، يقصد:- نحن معك، ولكن عندما تموت سأكون أنا الرئيس المطاع، فقال رسول الله ﷺ:- " الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء "، ومعنى هذا الكلام:- أنك إذا أردت أن تدخل في الدين فلا تشترط على الملك، أنت عبد، فالرسول ﷺ يريد أن يعلمه ويعلمنا:- أنك تبايعني وتحميني لتعبد ربك، تبايعني وتحميني لأجل الجنة، لا لشيء من الدنيا.

*- بعض الشباب يلتزم حتى يعطيه الله المال وغيره، لا، قال الرسول ﷺ:- " إن الأمر لله يضعه حيث يشاء "، لذلك تجد بعض الناس يعيشون الدين بالغش، يدخلون إلى الالتزام من أجل مصالح دنيوية، فإن كنت قد فعلت، فصحح نيتك، يصحح الله لك عملك.

*- فاجعل أخي الحبيب الغالي كل عملك لله تعالى بنية والتزام، ولا تشرك معه فيه أحدًا غيره، فالله تبارك وتعالى غيور، ولا يقبل من عمل عبده مثقال ذرة لغيره، فاحذر الشرك يا غلام، وغير ما بنفسك، وطهرها بالتوبة فإن التوبة تمحق الآثام.

*- الشاهد:- أن الرسول ﷺ عرض نفسه على مجلس فيه السكينة والوقار، فدخل سيدنا أبوبكر فقال:- ممن القوم؟- فقالوا:- شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وقال له-: بأبي أنت وأمي، هؤلاء فرد في قومهم، فقال أبوبكر:- كيف المنعة فيكم؟ قالوا:- علينا الجد والجهد ولكل قوم جد كلام جميل، فقالوا له:- إلامَ تدعو يا أخا قريش؟ قال:- " أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله "، فقالوا:- وإلامَ تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ قال:- { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}،(الأنعام:- ١٥١)، وإلامَ تدعو أيضا ، قال:- " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " (النحل : ٩٠) ، فقالوا:- دعوت يا أخا قريش والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك.

*- قال أحدهم:- ولكن ما زلت أقول:- إن آفة الناس كلمة " ولكن " أنا أرى:- إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك على مجلس واحد جلسته إلينا، فإنه لوهن في الرأي، وسوء نظر في العاقبة، إنما تكون الذلة

مع العجلة، وإن من ورائنا قومًا نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن نرجع وترجع، وننظر فتنظر، لا!! الدين ليس هكذا، الدين ليس فيه أصلّي أم لا؟، أصوم أم لا، أبتعد عن الربا وعن جميع المحرمات أم لا، الدين قرار على وفق ما يريد المولى.

*- فقام رجل منهم هو المثنى بن حارثة فقال:- إنما نحن نزلنا بين سريان اليمامة والسماوة، فقال رسول الله ﷺ:- " فما هذا السريان؟ "، فقال المثنى:- أنهار كسرى ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، يعني:- أننا لسنا نقدر على كسرى، وأما ما كان من مياه العرب فذنبه مغفور وعذره مقبول، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى:- ألا نحدث حدثًا ولا نأوي محدثًا، إن هذا الأمر تكرهه الملوك، ما هذا الدين الذي جئت به؟، وإنا نرى أن هذا الأمر تكرهه الملوك' فإن أحببت أن نؤويك وننصرك ممن يلى مياه العرب فعلنا، أما من كسرى أو قيصر فلا، فلسنا نحتمل الوقوف في وجه هؤلاء، فقال رسول الله ﷺ:- " ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه من جميع جوانبه ".

*- يا لله! انظر ماذا قال نبينا محمد ﷺ:- إنه والله فنٌّ الدعوة، قال له:- إنك رجل طيب، أثنى عليه، فقال:- " إذ أفصحتم بالصدق "، هذه الكلمة لها أثر كبير جدًّا في الدعوة.

*- ولذلك حينما يأتيني أخ ويقول:- أنا أوجه أبي إلى عدم التفرج على البرامج الساقطة في التلفاز، أقول له:- لا ليس الأمر بهذه الصورة، أنا أريدك أن تدخل على أبيك وتقول له:- ما شاء الله، وتقبل يده وتقول له:- نعم الأب أنت!، فأنت من أفاضل الناس، الحمد لله أن لي أبًا مثلك، لكن يا ليتك تبتعد عن التلفاز، فإنه لا يليق بأهل العلم والأدب والفضل الجلوس أمامه، نعم امدحه بما فيه، وهكذا يكون الدين، وهكذا تكون الدعوة، باللين والرحمة والأدب، فافهم الدين، قل له:- والله يا أبي لا أرى أحدًا يحافظ على صلاة الفجر مثلك، فجزاك الله خيرًا، أنت رجل طيب، وأنا لم أر أحدًا يكرم إخوانه مثلك، أراك من أهل الحق، فتعطي الأجير حقه، فلا تظلم أحدًا.

*- والله يا أبي أنا أحبك في الله، لأني طوال عمري ما سمعتك تكذب أو تشتم، أخي في الله، امدح أباك بما فيه تكسب قلبه ويحب الدين، ادعه بأدب، لئلا يغلظ معك القول فيقول لك مثلًا-: اخرج خارج البيت، أو يقول:- أتمثل عليَّ، ولكن قل له بأدب ورحمة كما قال الرسول ﷺ:- " ما أسأتم الرد، إذ أفصحتم بالصدق، ولكن هذا الدين لن ينصره إلا من أحاطه من جميع جوانبه ".

*- إخوتي الأحباب الكرام:- إننا نضيق بمن ندعوهم، لأننا لم نفهم الدين، لأننا متضايقون ومهمومون، أو قل:- عاصون، يأتيني أحدهم مهمومًا مخنوقًا مالك؟!، يقول:- روحي تكاد أن تخرج، أقول له:- هل تحتاج إلى مال؟ لا! المال كثير، هل زوجتك أغضبتك؟ لا! يا ليت كل النساء مثل زوجتي، أولادك؟ الحمد لله حالهم حسنة، تحتاج إلى عمل؟! لا! كل شيء على ما يرام، إذًا ما الأمر؟، يقول:- لا أعرف، فأنا مخنوق ومتعب، أقول له:- تعال، افتح صدرك لي وقل لي.

*- يقول:- والله لا أعرف، ولو كنت أعرف لقلت لك، ليس هناك سبب واضح للضيق الذي أنا فيه الآن، وأحيانًا يقول هذا الكلام أخ ملتزم، لقد كان حالي قبل أن التزم أحسن من هذا، فكنت لا أعصي الله بهذه الطريقة، ماذا جرى بعد الالتزام؟!.

*- إخوتي الكرام:- إليكم السر، السر في الضيق والهم والغم هو المعصية الكبيرة التى تعملها وتصر عليها فتسبب لك الوحشة، يقول ابن القيم في كتاب " الداء والدواء ":- " إن المعصية توقع بين العبد وبين الله وحشة، فإن زادت استحكمت تلك الوحشة ".

*- إذا زادت المعصية زادت في المسافة بينه وبين أقرب الناس إليه.

*- فترى هذا الذي استحكمت عليه الوحشة إذا قال له أحد:- مالك؟، يقول:- لا أريد أحدًا أن يقول لي:- مالك!، وإذا سأل عنه أصحابه، قال:- قولوا لهم ليس موجودًا، فإذا استحكمت الوحشة أكثر وقعت بينه وبين نفسه.

*- يقول العلماء:- وقد تقتل هذه الوحشة إن زادت، نعم:- قد يموت بسببها، فسر الوحشة معصية، وأخطر المعاصي معصية السر، أن تعصي ربك ولا يراك غيره، لأنك ساعتها تحذر أن يراك الناس ولا تحذر أن يراك الله، تخاف من الناس ولا تخاف من الله.

*- إذًا فقد يكون هناك جانب من الدين متهدم في حياتك هو هذا الجانب " المعصية في السر "، والذي يسبب لك الوحشة.

*- وقد يكون هذا الجانب هو أنك هاجر للقرآن، فلا تحفظ ولا تراجع ولا تتلو، أو هاجر له بالكلية، وقراءة القرآن للتعبد سنة مستحبة، ولكن هدمها هدم للدين، وقد يكون الجانب المنهدم من دينك هو عدم صلتك للرحم أو عدم برك بوالديك، وقد تكون إساءتك لجارك، أو ظلم أحدٍ من الناس، أو غير ذلك، فحاسب نفسك أخي الحبيب قبل أن تحاسب.

*- أخي في الله:- ابحث عن الجانب أو الجوانب التي هدمتها في دينك وسدها، أقم جوانب الدين تزل عنك الوحشة، لا تهمل جانبًا واحدًا من جوانب الدين، فالدين كلٌّ، قال الله تبارك وتعالى:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ }،(البقرة:- ٢٠٨ – ٢١٠).

*- فلابد أن تأخذ الدين كله، وإياك أن تتمسك بجزئية فيه وتترك الباقي، فبالكل لا بالجزء بإذن الله تصل.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلٌ وأعلم.

***- الأصل الثالث والعشرون:- ''أنجـــــــزْ كـــلَّ يـــــــومٍ شيئـــــــــًا جديـــدًا''**

*- قال رسول الله ﷺ:- " إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم "،[صححه الألباني]، اللهم جدد الإيمان في قلوبنا، كيف تجدد الإيمان في قلبك؟، أن تعمل كل يوم عملًا جديدًا، وذلك لأن أصل اعتقادنا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

*- بعض الناس بعد فترة من الالتزام يرقد ويقعد وينام، يقف ويتعطل، يتدهور حاله فلا يكون لديه جديد، إن ديننا أيها الإخوة الكرام أبدًا لا تنتهي جِدَّتُهُ فدومًا هناك جديد لم تعمله.

*- لقد كنت أتكلم مرة مع الإخوة عن الجديد في الالتزام فقلت:- إن العلماء يقولون:- إن الأكسجين المخلّق حديثًا في المعمل أكثر اشتعالًا من الأكسجين الموجود في الجو فما السبب؟، قالوا:- لأنه جديد، وكذلك الالتزام الجديد يكون فيه انطلاقة وحيوية وإيمانيات عالية ثم بعد ذلك يقدم ويضعف ويخفت.

*- ولذا يحتاج منك دومًا إلى تجديد، بأن يكون كل يوم في حياتك مختلفًا عن سابقه ولاحقه، فكل يوم له لون جديد في الطاعة، فلا تمل ولا تفتر، وتشعر دائمًا بالإيمان.

*- ولا تقل:- إن الدين ستنتهي أعماله، لا! فالأعمال في ديننا كثيرة ومتنوعة، والطاعة ليس لها حدود، فأنجز كل يوم شيئًا جديدًا بشرط أن تقوم به على أحسن وجه.

*- ابدأ اليوم وقل:- اليوم سأضبط الخمس صلوات، فلن أسمح لذهني بالشرود، اليوم يوم تَحَدٍّ، سأتحدى اليوم شيطان الصلاة " خنذب "، اليوم سأقرأ في الخمس صلوات سورًا جديدة لم أقرأها من قبل، بعض الناس في كل صلواته لا يقرأ إلا بسورتين قصيرتين ويظل معهما شهورًا، ولذلك يشرد فلا يعيش الصلاة، لأنه يصلي (أتوماتيك) صلاة مكررة.

*- يوم آخر، تقول:- أذكار الصلاة سأقولها اليوم بقلبي وبدموع عيني، يوم آخر:- سأتدبر اليوم صفحة جديدة من القرآن، وسأظل أغرس معانيها في قلبي طوال اليوم، وهكذا، كل يوم شيء جديد.

*- سبحان الله العظيم، حديث في " صحيح مسلم " أعرفه، قرأته وكأني أقرأه لأول مرة في حياتي، قال رسول الله ﷺ:- " ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون غنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم "،[أخرجه مسلم].

*- ومعنى ذلك:- " أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم، أو سلم ولم يغنم، وأن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم، فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر ".

*- إذًا فهناك أحاديث كثيرة أنت سمعتها وتعرفها، ولكن عند التدبر والوقوف عندها تشعر بأنها جديدة عليك، فيزيد بها إيمانك، إذًا فبالجديد يزداد الإيمان.

*- وكذلك هناك آيات من القرآن تقرؤها فتقول:- سبحان الله، هذه الآية جديدة عليَّ:- لم أسمعها من قبل، مع أنك تقرؤها ليل نهار، ولكن لأنك بدأت تتدبر وتفتح قلبك وتقف مع الآيات، فيرزقك الله المعاني الجديدة، آية في سورة الرعد:- { وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ }، (الرعد:- ٢٦)، آية جميلة وجديدة، وترددها وتكرارها وتفهمها يزيد الإيمان ويقويه، آية والله تريح القلب، وتخفف المشاكل، وتزهد في الدنيا، وتحث على السير إلى الله.

*- نعم:- نقرأ القرآن كثيرًا، ومع ذلك نجد جديدًا كلما قرأنا، ومعاني القرآن لا تنتهي، كما قال تبارك وتعالى:- { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً}،(الكهف:- ١٠٩)، فاقرأ من القرآن آية بنفسها في أوقات مختلفة وأحوال متغيرة ستخرج كلما قرأت بجديد، إذًا فالجديد كثير، وما عليك إلا أن تعزم وتجد.

*- إخوتي الكرام:- وحينما تنجزون جديدًا وتتمونه على وجهه الأكمل، ستعلمون أنكم كنتم قبل تلعبون، حين تذوقون نعيم الطاعة وطعم الإيمان ولذة الإيمان، ولله درُّ الشاعر إذ يقول:-

وكنت أظن أن قد تناهى بي الهوى وبلغ بي غاية ليس لي بعدها مذهب

فلما تلاقينا وعاينت حسنهـــــــا علمت أني كنت قبل اليوم ألعــب

*- فإذا صليت فصلِّ كما ينبغي، وإذا قرأت القرآن فاقرأه كما ينبغي، وإذا تصدقت فتصدق كما ينبغي، وإذا قمت الليل أو ذكرت أو حججت أو اعتمرت أو طفت أو سجدت فبحقٍّ أنجز الجديد في اليوم الجديد على الوجه الذي ينبغي، لتذوق حلاوة الإيمان.

*- وفي هذا المعنى يقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه في حديث التجلي على قلبه من قبل الحق تبارك وتعالى:- '' كن من شهود بحر التوحيد، ولا تلبس إلا كل جديد، واجعل حبي في قلبك كل لحظة يزيد، وادخل حزب أهل اليقين وحافظ على حالك بالدين، ولا تغفل عني أنا مولاك أنا المجيد أنا الشهيد فاطلبني تجدني''.

*- كن من شهود بحر التوحيد، فالموحد لا يرى إلا الله عزَّ وجلَّ، ولا ينظر إلا إلى الله، ولا يسمع إلا من الله، ولا يفهم إلا عن الله، ولا يجلس إلا مع الله، ولا ينطق إلا بالله، ولا يحب إلا في الله، ولا يخضع إلا لله، ولا يشكر إلا لله وابتغاء مرضاة الله، فكن يا أخيا من شهود بحر التوحيد، ولا تلبس إلا كل جديد، أي يجب عليك في كل يوم أن تتقدم وأن تترقى في ميدان الطاعة لله ورسوله المصطفى ﷺ، بعملٍ جديدٍ، وقربةٍ جديدةٍ، وطاعةٍ جديدةٍ، ومحبةٍ متزايدةٍ، واجعل حبه سبحانه وتعالى في قلبك كل لحظة يزيد، بكثرة الطاعات، ودوام المراقبة، ودوام الذكر، أي ليكن لسانك رطبًا بدوام ذكر الله عزَّ وجلَّ، واجتناب المعاصي والآثام، فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره، ومن أحب محبوبًا وافقه فيما يحب، ولله در القائل:-

تعصي الإله وأنت تظهر حبـــــــــه هذا لعمري في القياس بديـــــــــــع

لو كان حبك صادقًا لأطعتـــــــــــه إن المحب لمن يحب مطيـــــــــــع

وادخل حزب أهل اليقين، المتوكلين على الله رب العالمين، الذين عبدوا الله على التحقيق، والتزموا بمنهاج الطريق، وعبدوا الله عزَّ وجلَّ حتى أتاهم اليقين، كما قال الله سبحانه وتعالى:- { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }،(الحجر:-٩٩)،الذين عرفوا الله حق اليقين، وعلموا قدره علم اليقين، وتفانوا في حبه وطاعته عين اليقين، وحافظ على حالك بالدين، فهو والله نعم السياج الواقي، والدرع المتين، الذي يقي أتباعه ويحفظهم من كل سوء، ومن كل مكروه، ومن كل شر، ومن كل فتنة، ولا تغفل عن الله عزَّ وجلَّ، فإنه هو إلهنا

ومولانا وحبيبنا جَلَّتْ قدرته، وهو المجيد الشهيد على أفعال العباد، وبما تُكِنُّهُ صدورهم، وبما يجيش في خواطرهم، وهو النور فاطلبه تجده، سبحانه وتعالى

*- يقول ابن القيم:- " وسعادة المعطي أعظم من سعادة الآخذ "، نعم:- الطاعة بحق لها سعادة وحلاوة ومتعة ولذة، وهذا هو الدين، اللهم ارزقنا الالتزام بالدين يا رب.

*- أخي في الله:- اقرأ اليوم بابًا جديدًا في التوحيد، واقرأ غدًا في سيرة النبى ﷺ، وبعد غدٍ اقرأ في تفسير آية لم تقرأها من قبل، وهكذا أنجز كل يوم جديدًا، جديدًا في العلم، أو جديدًا في العبادة، أو جديدًا في الدعوة إلى الله.

*- جدد إيمانك يوميًّا حتى لا تفتر أو تمل في طريق السير إلى الله، فالتجديد يدفع الملل ويقوي السير ويحث عليه، فجدد إيمانك وسل الله ذلك، تصل بإذن الله، اللهم جدد الإيمان في قلوبنا يا رب.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل الرابع والعشرون:- ‘‘كُـــفَّ عَـــنِ الشكـــوى وَابْـــدَأِ العـــلاجَ’’

*- كثير من الناس ليل نهار ليس لهم هم إلا الشكوى، التبرج كثير!، والفتن! و.. و.. يقول إسماعيل الهروي:- " الزهد في الدنيا نفض اليدين عن الدنيا ضبطًا أو طلبًا، وإسكات اللسان عنها مدحًا أو ذمًا، والسلامة منها طلبًا أو تركًا ".

*- الشاهد الذي نستخرجه من هذا الكلام المهم:- أن الذي يحب الدنيا يتكلم عنها ، كذلك يعد الرجل مفتونًا بالنساء إذا أكثر من ذكرهن ولو بالذم، والذي يتكلم عن المال كثيرًا ولو بالذم فهو أيضًا مفتون، ومن هنا فالذي يشتكى كثيرًا فمفتون، قال الملك العليم سبحانه وتعالى في آية من الآيات الفاضحة:- { وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ}،(التوبة:- ٤٩).

*- تجد أحدهم يقول:- لا أريد أن أذهب إلى الدرس الفلاني لأن هناك نساء وأنا ضعيف!، يا مفتون، تقول له:- اخطب الجمعة فيقول لك:- أخاف من الرياء! مفتون، عجبًا لك!، طوال الوقت تتكلم وتقول:- حلال وحرام، ونصبت نفسك شيخًا، لماذا عند تحمل المسئولية تخاف من الرياء؟! اللهم ثبتنا على الإيمان وارزقنا الإخلاص.

*- الإمام مالك كان إذا أعطى موعظة بكى وقال:- " يحسبون أن عيني تقر بكلامي، كيف وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ماذا أردت به ".

*- إخوتي في الله:- هل تظنون أني أفرح حينما أقول درسًا أو أخطب جمعة؟! هل يوم القيامة ستكونون جالسين أمامي بهذه الصورة؟!! إن ربي سيسألني:- تحركت من هنا إلى مسجد آخر لتعظ، لماذا؟ لأجل الناس أم لأجلي؟ ، فماذا أقول له؟! اللهم ارزقنا الإخلاص واجعلنا من أهله.

*- كفَّ عن الشكوى وابدأ العلاج، تجد بعض الناس يشكو من الوسوسة وليس وليس به شيء، ولكنه يظل يقول:- الوسوسة، الوسوسة، حتى يوسوس فعلًا، بسبب كثرة شكواه، يظل يشكو:- النساء، النساء، فيقع في الفتنة، ولو كف عن الشكوى وبدأ في العلاج، لكفاه الله هذه الفتنة.

*- إن مصيبة كثير من الإخوة أنهم مشغولون بالزواج، فترى الواحد منهم يمشي في الشارع فيقول في نفسه:- أتزوج هذه أم هذه؟، لا، بل هذه، لا لا بل مثل هذه،. إذا أردت الراحة فارفع هذا الموضوع عن تفكيرك، وعش حياتك الإيمانية كما ينبغي، ووقت أن تقرر الزواج تزوج في نفس اللحظة، أما أن تعيش هكذا، مشتت الفكر، تشتكي دومًا من هذه القضية، فلن تنجو من الفتن أبدًا، فأرح دماغك الآن عن هم الزواج طالما أن ظروفك الإيمانية والحياتية لا تسمح.

*- هذا هو الحل للفتنة:- عدم الشكوى وعدم الهم وعدم الضيق والمرض بسببها.

*- بعض الناس يقول:- المال، ما لنا وللمال، المال دنيا، فكلامه المتكرر هذا عن المال دليل على أنه مفتون بالمال وبالدنيا، وفرق بين من يشكو ليعانَ وبين من يشكو ليتهرب.

- فسيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لما قال له ربه:- { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى }، (النازعات:- ١٧)، كان جوابه كما قال الله تبارك وتعالى:- { قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ }، (القصص:- ٣٣ – ٣٤)، اشتكى، ولكنه طلب العون فأعين، أعانه الله ووهب هارون النبوة وهذه من البركات أن يرزق أحد النبوة قال موسى:- يا رب، وأخي، فقال سبحانه وتعالى:- وأخوك.

*- ولذا أريد منك حينما يرزقك الله الالتزام، أريدك أن تقول:- يا رب وأخي، يا رب وأبي، يا رب وأمي، يا رب وأختي، يا رب وجاري، ادع الله أن يهديهم وانشغل بإصلاحهم بدلًا من أن تظل تشكوهم وتشتكي منهم فتكرههم ويكرهوك، ادع الله لهم وكف عن الشكوى، لينجيهم كما نجاك.

*- الرسول ﷺ لما قيل له:- نطبق عليهم الأخشبين؟، قال:- " لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله " [متفق عليه]، خرج وتعب واستفرغ وسعه.

*- فليس همنا أن يحرق الله الكفار، وإنما همنا أن يهديهم، فما بالك بأهلك الذين تشكوهم، اللهم اهدِ المسمين وغير المسلمين.

*- أيها الإخوة الأحباب:- كفوا عن الشكوى وابدأوا العلاج، كفاكم شكاوى، أنا لا أستطيع القيام للفجر، ولا أقدر على الدعوة، ولا أقدر على كذا، ولا أستطيع كذا، طالما أنك تشتكي فلن تقوم ولن تقدر ولن تستطيع.

*- الرسول ﷺ لما جاءه الرجل الموسوس وقال له:- إن أحدنا ليجد في نفسه ما يتعاظم أن يتكلم به، قال:- " الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة، إذا وجد أحد منكم ذلك فليقل:- آمنت بالله ورسوله، وليستعذ بالله ثلاثًا وَلْيَنْتَهِ "،[صححه الألباني]، " وَلْيَنْتَهِ ":- أي لا يفكر فيها مرة ثانية.

*- " الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة "، أي إن الشيطان حينما ييأس، ويخيب في إغواء الرجل، لا يجد شيئًا يكيد به سوى هذه الوسوسة فهي سلاحه الضعيف ولذا قال النبي ﷺ:- " الحمد لله ".

*- وقد قال ﷺ أيضًا في قطع الوساوس:- " اتفل عن يسارك ثلاثًا وقل:- اللهم ربي لا شريك له "، [أخرجه أحمد وابن حبان في صحيحه].

*- اتفل على الشيطان، فهذا احتقار له وازدراء وإهانة، حتى لا يأتيك مرة ثانية، ولا تعبأ به، وإنما انشغل بالله وحده فقل:- الله ربي لا شريك له، ثم انتهِ عن ذلك، أي:- لا تتكلم ولا تسأل أحدًا ولا تقرأ عن هذه المسألة ولا تبحث عنها، وإنما انتهِ ، لتنقطع الوساوس.

*- إذًا فالعلاج في أربعة أمور:-

١- قل:- آمنت بالله ورسولـــــه ﷺ.

٢- استعذ بالله من الشيطان الرجيم.

٣- اتفل عن شمالك ثلاثـــــــــــــًا.

٤- اسكت، التزم الصمت، لا تشتكِ، انتهِ، اغلق هذا الباب تمامًا.

*- كثير من الشباب يقول:- أبي يعمل كذا وكذا، وأمي تقوم بكذا وكذا، وأختي وأخي، والمسجد فيه كذا، والإمام يفعل كذا، والشيخ قال كذا، ويظل يشتكي، ارحم نفسك، ولا تكثر الشكوى، لا تكثر الشكوى، وإنما اسكت، اصمت لتستريح وتريح الناس من همك ومشاكلك، فالناس بهم ما يكفيهم، وإنما الراضي منهم من أرضاه الله، فارض بالله واشكُ همومك إليه وحده يكفيك ما أهمك فهو سبحانه وتعالى يعلم حالك.

*- إخوتي الكرام:- إن الذين يشكون الواقع لن يغيروه مطلقًا، بل ولن يتغيروا هم أيضًا، سيظلون هكذا في وحل الفتنة يقاسون المرارة والكرب طالما لم يبدأوا العلاج من عند أنفسهم.

*- إن الوصول إلى الله تعالى أحبتي في الله يحتاج منا ألا نقف أمام المشاكل والهموم مكتوفي الأيدي، واضعين أيدينا على خدودنا نشتكي إلى كل رائح وغاد، بل لابد من التحرك والعلاج، فعاهد نفسك أخي في الله من الآن ألا تشتكي مطلقًا، كف عن الشكوى وابدأ العلاج، ليعينك الله على الوصول إليه.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

***- الأصل الخامس والعشرون:- ''ليس الشأن أن تحبه، إنما الشأن أن يحبك''**

*- فهل يحبك الله تعالى؟

*- إخوتي في الله:- والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني أحبكم في الله، وأسأل الله ﷻ أن يجمعنا بهذا الحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحبتي في الله ، الحب، حب الله، وحب رسوله المصطفى ﷺ، وحب الصالحين، اللهم ارزقنا حبك وحب حبيبك المصطفى ﷺ، وحب كل عبد صالح يحبك، وحب كل عمل صالح يقربنا إلى حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أهلينا وأنفسنا ومن الماء البارد على الظمأ.

*- أحبتي في الله:- يذكر ابن القيم أن الدنيا لا تقوم إلا على الحب، فكل حركة وسكنة في الحياة إنما الدافع عليها الحب، وأصل الحب حب الله، وحب حبيبه المجتبى ﷺ، وحب الصالحين، وليست القضية أن تعزم وتظل الليل والنهار تقول:- أحبك، وإنما الشأن أن يحبك هو، ولذلك اختار الله قومًا، قدم حبه على حبهم، فقال جَلَّ جلاله:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ }،(المائدة:- ٥٤)، فقدم حبه على حبهم له، فهو سبحانه وتعالى أحبهم وبحبه لهم أحبوه، ولذلك فإن الأصل في هذه القضية أيها الأخ الكريم:- هل يحبك الله؟!.

*- هذا هو السؤال:- الله يحبك أم لا؟ سؤال يحتاج منك فعلًا إلى إجابة، هل تصلح لأن يحبك الله تبارك وتعالى؟، هل تستحق؟!

*- مثال:- لو قالوا:- إن الأمير أو الوالي أو الملك الفلاني يحبك ويثني عليك، فنراك تقول لأحد الناس:- إن الأمير أو الوالي أو الملك الفلاني يحبني كثيرًا، فينظر إليك متعجبًا ويقول لك:- يحبك

أنت!! بماذا؟، وعلى أي شيء يحبك؟!، ومن أنت؟! وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }،(الروم:- ٢٧)، فلو كنت جالسًا مع الناس وقلت:- إن الله يحبني، سنقول لك أيضًا:- وعلى أي شيء يحبك، وَلِمَ يحبك؟ وبماذا يحبك؟ ومن أنت حتى يحبك؟!، الله الكبير، الله العظيم، الله الجليل، الله الملك المتعال يحبك أنت؟! ماذا فيك يُحَبُّ لأجل أن يحبك الله؟!.

*- سهل جدًا أن تقول:- أحبه، ولكن من الصعب أن تقول:- يحبني.

*- وإذا قلت:- نعم يحبني، فما طلبت منه شيئًا إلا وأعطانيه، أقول لك:- ليس شرطًا، فقد أعطى الكفار ما يريدون، فهل معنى ذلك أنه يحبهم؟! القضية إذًا خطيرة، والكلام فيها وعنها أيضًا خطير.

*- ويستدل ابن القيم رحمه الله لذلك فيقول:- كيف وقد أعطى أبغض خلقه عنده يعني:- أن إبليس لما سأله الإنظار أعطاه له، { قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ }، (الأعراف:- ١٤ – ١٥)، إبليس طلب.. فأعطاه الله فهل يحبه؟! لا، فليس شرطًا في الإعطاء أن يحبك، قد يعطيك لأنه يكرهك، لا يريدك، خذ ولا أريد أن أسمع صوتك، ولذلك فإن من الأصول المهمة:- تمام الخذلان انشغال العبد بالنعمة عن المنعم.

*- هل يحبك الله، وهل تحب الله؟ نعم:- أحبه، إذًا فما الدليل؟، لقد رأى مجنون ليلى كلب حبيبته ليلى المشغوف قلبه بها، فمشى وراء كلبها لعله يراها، فمرَّ على قوم يصلون العصر، فلما عاد من مشواره الذي ذهب لأجله، مرَّ على نفس القوم الذين كانوا يصلون العصر أثناء ذهابه، فنادوه قائلين:- '' ويحك يا قيس لقد مررت عنا ونحن نصلي العصر، فَلِمَ لمْ تصلِ معنا، فقال لهم:- وهل رأيتموني؟ فقالوا له:- نعم، فقال لهم والله الذي لا إله إلا هو إني لم أركم، وإنما كنت مشغولًا بحب حبيبتي، وقلبي وكل وجداني متعلق بجمالها، ووالله الذي لا إله إلا هو لو كنتم مشغولين بحب الله تعالى لما رأيتموني لانشغالكم بحبه تبارك وتعالى، فهل وأنت قادم إلى الصلاة يرفرف قلبك فرحًا لملاقاة ربك؟! إن لم يكن فاعلم أنك لا تحبه، هذا كلام منطقي، إذا لم تكن سعيدًا بلقاء الله، وأنت في بيت الله، ومع الله فأنت لا تحبه.

*- ولذلك فإن من ادعى محبة الله ثم مال بلقبه إلى الدنيا فهو كذاب، نعم:- إذا لم يرفرف قلبك بحبه فأنت كذاب، فليست المشكلة في أنك تحبه، ولكن المشكلة في أن يحبك الله، اللهم أحبنا يا رب، فإذا أحبك نلت السعادة والوصول.

*- يقول ابن القيم:- " فهي محبة تقطع الوساوس، وتلذذ الخدمة، وتسلي عن المصائب ".

*- فإذا أحبك انقطعت عنك الوساوس، كثير من الشباب الملتزم اليوم مبتلى بالوسوسة، نعم:- لأنه لا يحب الله، ولو أحبه لانقطعت عنه الوساوس، وسبب آخر هو:- أن الموسوس دائمًا يسأل عن الوساوس ويشتكي منها كما قلنا في الأصل السابق، اللهم إنا نسألك أن تعافي كل مبتلى مسلم.

*- أخي في الله:- لا يوسوس إلا فارغ، أما الذي قلبه ملآن ودماغه مشغول ففيمَ يوسوس؟!، فهو منشغل بعيدًا عن هذه الوساوس، أنه مشغول بالله وبحب الله.

*- وحين يحبك الله يملأ قلبك بحبه فلا تنشغل بغيره اللهم أحبنا يا رب، فتجد نفسك مشغولًا ليلًا ونهارًا به سبحانه وتعالى، ليس لك همٌّ إلا الله سبحانه وتعالى والوصول إليه، ونيل رضاه، فتعمل لخدمته، فتظل مشغولًا به سبحانه وتعالى وحده طيلة الوقت وطيلة العمر.

*- نعم:- إذا أحبك شغل قلبك بحبه، وجوارحك بخدمته، وعقلك بالفكر فيه، ثم لا تجد في نفسك بقية لغيره، أول شيء في الحب أن المحبة تقطع الوساوس، اللهم ارزقنا حبك يا رب.

*- ثم إن الحب يلذذ الخدمة، أحد إخواننا ذهب ليعتمر فكان يومه في خدمة المعتمرين، أسأل الله أن يتقبل منا ومنكم ومنه، اللهم ارزقنا الحج والعمرة، قلت له:- اجعل قلبك وأنت تخدم إخوانك، مشغولًا بالله، واستشعر نظره إليك، لتزداد تلذذًا وحبًّا في الخدمة.

*- أخي في الله:- لو أنك أتيت برجل يشتغل عندك ليدهن لك هذه المكتبة مثلًا وأنت واقف خلفه، فسيظل يعمل بحذر وجد، فاجعل هذا إحساسك، المراقبة، واقف أنت أمام حبيبك فهو ناظرك، حبيبك الذي تشتغل له وتعمل له، استشعر مراقبته لك دائمًا، ساعتها ستعمل بحب وتلذذ، ليس على خوف وفقط، بل بحب، لأن حبيبك يراك، والمحب يحب أن يراه حبيبه دومًا وهو يعمل له، وهذا والله هو مقام

الإحسان، كما قال ﷺ:- ''الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تراه فإنه يراك''، فعبادتك له كأنه يراك هذا هو مقام ''المشاهدة''، وهو مقام حبيبنا المصطفى ﷺ، ومقام الصفوة من كبار الأولياء والصالحين، أي مقام '' خاصة الخاصة من المؤمنين'' ثم إن قوله ﷺ فإن لم تكن تراه هو نزول من مقام ''المشاهدة'' إلى مقام ''المراقبة'' وكلا المقامين ''إحسان'' وهذ هو مقام خاصة المؤمنين، فالمؤمن يجب عليه أن يستشعر دائمًا ان الله تعالى '' ناظر إليه، وشاهد عليه، وأن الله تعالى معه''.

*- ولذلك فإذا صليت فاعلم أن الله ينصب وجهه إلى وجهك في صلاتك ما لم تلتفت، إذا قمت للصلاة فاعلم أن الله ينظر إليك ويطالعك، ولذلك كان الواحد من السلف إذا توضأ اصفر لونه، وارتعش جلده، يقولون له:- ما لك؟!، يقول:- أتدرون بين يدي من سأقف؟!.

*- ولذلك فإن من الأصول المهمة أيضًا:- الاستحضار الذهني للعبادات قبل الدخول فيها هو سبيل الإخلاص فيها.

*- أيها الأخ الكريم:- الحب تلذذ الخدمة، نعم:- يلذذ الحب الخدمة، تكون الخدمة لذيذة جدًّا، قال أمير الشعراء عن قيام رسول الله ﷺ متلذذًا له:-

رضيّةً نفسُهُ لَا تَشْتَـــكِيْ سَأَمًا وَمَا مَعَ الحُبِّ إِنْ أَخْلَصْتَ مِنْ سَأَمِ

*- بكى أحد السلف عند موته، فقيل له:- ما يبكيك؟، قال:- " أبكي لأنني أموت ولم أشتفِ من قيام الليل "، أبكي لأني أموت ولم أشبع من قيام الليل.

*- وكان بعض السلف يقول عند موته:- " اللهم إن كنت كتبت لأحدٍ أن يصلي في قبره فاجعلني ممن يصلي في قبره "، لم يشبع من الصلاة ويريد أن يصلي أكثر، قالوا هذا لأنهم أحبوا الله ، فاستحضروا العبادات ذهنيًا، اشتغلوا في العبادات بمحبة، فانقطعت عنهم الوساوس وتلذذوا بالخدمة، وتسلوا بتلك المحبة عن كل المصائب والمتاعب.

*- قال رسول الله ﷺ:- " وجعلت قرة عيني في الصلاة "،[قال الألباني حسن صحيح]، وهذه هي اللذة الحقيقية، وهذا هو التلذذ في الخدمة بحقٍ، فهل أحببت ربك فعشت هذا النعيم؟ هل أحسست بحلاوة الحب ومتعته ولذته وجماله بعد أن كنت في جاهلية؟.

*- كنت تأكل وتشرب وتنام وتلهو، كنت في غفلة عن الله تبارك وتعالى، كنت مشغولًا بالحطام الزائل، وفي هذا المعنى يقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- ''اذكر كيف كنت وأنت في متاهة البور تتحكم فيك نفسك على هواها، فناداك المربي إلى ساحة النور علمك كيف تعبد ربك الفرد الشكور بعد أن انتشلك من بين مخالب حب الدنيا دار الغرور، وما أخذ من دنياك أجرًا ولا جزا، بل دعاك به وإليه ومنه يطلب الجزا، فالزم الصدق في صحبته وكن ثابت الخطا، وصن بحبه قلبك من خواطر العدا، عداك هم النفس والشيطان والهوى، اصبر نفسك معهم، وجاهد في جبهتهم وكن لهم ولهم، واستظلل بحضرتهم، من هم المشار إليهم ما أصل شرعتهم؟ هم رجال الله أحبهم وأحبوه، طرد الهوى بالهوى منهاج دعوتهم شرفهم في محكم التنزيل وألزمنا بصبتهم، ''وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا''(الكهف:-٢٨).

*- كنت في جهل، في ضلال، في جاهلية عمياء، وتاب الله عليك ودخلت باب المسجد وبدأت تحب الله، بدأت تحبه وتشتاق إلى لقائه، تحب المصحف، تحب ذكر الله، تحب الاجتماع على الطاعة مع إخوانك في الله، تشتاق إلى حلق الذكر صباحً ومساءً في معية الصالحين، وأحباب الله المقربين، بعد الغفلة والبعد عن الله تبارك وتعالى، فأحسست بالفرق، وعرفت النظافة وفهمت الطهارة، فعشت الفرق، فإذا أحسست بذلك وعشته فلا تستطيع أن تسكت، لابد أن تنقل أحاسيسك هذه لغيرك لابد.

*- ولكن للأسف الشديد كثير من الناس وخاصة من لا شيخ له حينما يلتزم ويريد أن ينقل أحاسيسه ينقلها بصورة غير لائقة فينفر الناس، ويكرههم في الدين، حرام هذا، حرام، هذا غلط، غلط شديد، تجده يقول للناس:- قال الشيخ الفلاني كذا وكذا، فيكرهون الشيخ والدين، لأنه لم يتربَ على أيدي العارفين بالله

تعالى، أطباء القلوب، وأحبة المحبوب، اللهم ألحقنا بهم وبركبهم يا رب العالمين، ففي الحقيقة أنه لا بد لك من شيخ كبير القلب عارف خبير بالطريق بصير بأغواره والمشارف، يريك مهالك السير ويقيك شر المخاوف.

*- ولكن كل من تربى على أيدي الصالحين، والصفوة المقربين، يستطيع أن ينقل لجميع الناس أحاسيسه الفعلية فيقول لمن يطمع في هدايتهم ويتوسم فيهم الخير والصلاح، لعل الله تعالى أن يصلح شأنهم:- والله منذ أن هداني الله عزَّ وجلَّ ودخلت مدرسة الحبيب محمد ﷺ على أيدي الصالحين، شعرت بفرق كبير وَتَغَيُّرٌ جذري في حياتي كلها، فأصبحت أشعر بطعم العبادة، وأحس بالسعادة، فحينما أدخل الزاوية وأجتمع بإخواني أحس بكذا، وأنا ساجد أشعر بكذا، وأنا أقرأ كلام الله أحس بكذا، حينما أذكر الله فأقول:- سبحان الله العظيم وبحمده يمتلأ قلبي راحة واطمئنانًا، وبذلك تصل إلى قلوب الناس، أما إذا لم تحس بما تقول فأنت كذاب في التزامك ولما تلتزم إلى الآن، ولذلك أحس الجمال واستشعر حلاوة الإيمان وطعم الإيمان، املأ قلبك بالمحبة لتتلذذ بالخدمة، وتتسلى بالمحبة عن المشاكل والهموم.

*- ثم إن هذه المحبة تنشأ من مطالعة المنة، كما يقول ابن القيم، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:- " أحبوا الله لما يغذوكم به، أحبوني بحب الله "،[ضعفه الألباني]،. أحب الله فهو الذي يطعمك وينفق عليك.

*- نعم:- القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، فلو أن إنسانًا أعطاك اليوم عشرة جنيهات، وغدًا أعطاك عشرة أخرى، وبعد غد أعطاك مثلها أيضًا، وهكذا كل يوم يعطيك، وبعد العشرة أعطاك مئة، وبعدها ألفًا، وهكذا كل يوم في زيادة، فلا شك أنك تحبه حبًّا شديدًا، فكيف بك لو كان المعطي هو الله؟! فالله سبحانه وتعالى أعطاك ملايين مملينة، فكم تساوي عينك وكم يساوي سمعك، وكم تساوي الدنيا إن فقدت عينيك؟!.

*- الله سبحانه وتعالى أعطاك ولا يزال يعطيك، فالهواء الذي تتنفسه لو كان النفس منه بعشرة قروش، فكم تدفع كل يوم؟!، لو كنت تدفع كما تدفع لعداد الكهرباء أو فاتورة الهاتف، فكم كنت ستدفع مقابل هذا

الهواء؟!، لو أن الله يحاسبك ويأخذ منك مالًا على أنه يمكنك من التكلم والسماع فكم كنت تدفع؟!، أنطقك وخلقكم ولا يريد منك شيئًا، { قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}،(فصلت:-٢١).

*- اللهم كما أنطقتنا بقدرتك وعظمتك امنن علينا بحبك، وامنن علينا بمطالعة نعمك لنحبك، اللهم ارزقنا حبك يا رب.

*- ماذا كنت تصنع أخي في الله:- لو كان هناك فاتورة على كل نعمة من هذه النعم؟! فطالع نعم الله، واشكره عليها، وأحبه من كل قلبك، فلا شك أن من يطالع نعم الله عليه تترى فيراها بقلبه وعينه لا شك أنه سيذوب حبًّا في الله فهو سبحانه وتعالى يعطيك ولا ينتظر منك شيئًا، عكس المخلوق تمامًا ، فالتجار جمعيًا يتعاملون معك ليربحوا منك، أما الله:- فهو سبحانه وتعالى وحده الذي يتاجرمعك لتربح عليه، يعطيك حين يجد في قلبك حبًّا له، فأحببه فهو المعطي، أحببه ليعطيك، أحببه ليحبك.

*- الشاهد:- أن المحبة تنبت من مطالعة المنة، قال الله:- { فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }، (الأعراف:- ٧٤)، ذكر النعم ينبت المحبة.

*- سبحان الله! ، هل وجدت إنسانًا تجلس معه فيقول:- عن الله تبارك وتعالى أعطاني، وأعطاني؟! هل فعلت أنت؟! هل جلست مع الناس مرة وقلت:- والله العظيم إن الله أكرمني، فقد كنت فقيرًا لا أجد لقمة فأعطاني، وأغناني، الحمد لله الذي نجاني ولم أكن أستحق، لم أكن أستاهل، ولكنه سبحانه وتعالى وهبني زوجة صالحة، وأعطاني شقة، ووهبني أولادًا، وصحتي والحمد لله ممتازة، الحمد لله الحمد لله عملي هادىء فزملائي يحبونني، والفضل لله، والمرتب كافٍ، وبفضل الله الأمور على ما يرام، هل جلس معك أحد فقال لك هذا الكلام؟!.

*- أما كل من يشتكي للناس في كل مجلس من الصداع والمشاكل والمغص والزوجة والعيال والبيت والشغل والهم والنكد، بالرغم من أن الله تبارك وتعالى أنعم وأغدق عليه نعمًا تترى لا تعد ولا تحصى، وإن

تعدوا نعمة الله لا تحصوها، ومع وأن الله تبارك وتعالى أمر بالعكس، فقال الله تعالى:- { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ، }،(الضحى:- ١١)، فأين حديثك بالنعمة؟! أين حبك؟! إن الحب ينبت من مطالعة المنة.

*- وإذا كانت المحبة تنبت بمطالعة المنة، فإنها تثبت باتباع السنة، اللهم ارزقنا اتباع السنة يارب، اللهم إنا نسألك اتباع السنة وفعل السنة، نعوذ بك اللهم من البدع وأهلها، المحبة تثبت باتباع السنة، كن خلف النبي سيدنا محمد ﷺ تصل، كن واحدًا لواحدٍ على طريقٍ واحدٍ تصلْ، كن شخصًا واحدًا ليس بوجهين فأخلص " لواحد "، أي:- الزم التوحيد، على طريق واحد هو اتباع السنة، على طريق النبي سيدنا محمد ﷺ تثبت ولا تتلون ولا تتغير ولا تحيد أو تتحول، اثبت على الطريق السني، اللهم ارزقنا الثبات على الدين.

*- وتنمو المحبة على الإجابة بالفاقة، لابد أن تظهر فقرك وضعفك وَذُلَّكَ ومسكنتك بين يدي الله، بعضنا يا شباب يظن أنه " فتوة "، ما لا يكون بالله لا يكون بغيره، قال الله تبارك وتعالى:- { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }،(الإنسان:- ٣٠)، ولذلك تنمو المحبة بإظهار الفاقة والضعف والفقر والذل والمسكنة .

*- شيخ الإسلام ابن تيمية رأى إنسانًا يقف تحت حر الشمس حاسر الرأس حافيًا، فسأل عنه فقالوا له:- إنه نذر أن لا يجلس في الظل، فقال شيخ الإسلام:- " يا جاهل، هذا تقاوي على الله "، أتتقاوى على الله؟! قال لك الله تعالى:- البس وتستر واركب، فلماذا تتقاوى عليه؟! لا تتقاوِ بنفسك على الله، قال الله تبارك وتعالى:- {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ }،(التوبة:- ٦٠)، فأظهر فقرك وذلَّك وحاجتك وافتقارك إلى الله تبارك وتعالى ليتصدق الله عليك، أظهر ضعفك ليرحمك.

*- يقول ابن الجوزي:- " تضاعف ما أمكنك، فإن اللطف مع الضعف أكثر ".

*- فكلما أظهرت ضعفك كلما لطف بك، ولا تقل:- أنا أستطيع أن أواجه كذا وأقدر على كذا، قال رسول الله ﷺ:- " لا تتمنوا لقاء العدو، لكن اسألوا الله العافية "،[متفق عليه]، اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة، فإياك أن تعتقد أنك " فتوة ".

*- فالجأ إلى الله وافتقر إليه فأنت ضعيف، { وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا }،(النساء:- ٢٨)، خلقك الله ضعيفًا لتفر إليه، قال ابن تيمية في تفسيرها:- '' ضعيفًا أمام شهوة فرجه ''، إن اعتمادك على نفسك في مواجهة الفتن أعظم عند الله وأشد إثمًا من الذنب نفسه.

*- ولقد كان رسول الله ﷺ يقول:- اللهم لا تكلني إلى نفسى طرفة عين أبدا "،[حسنه الألباني]، فاللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فتهلكنا، لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، آميـن.

*- أخي في الله، حبيبي في رسول الله ﷺ:- يا من أنت مشغوف بالوصول إلى الله إذا كنت تحب ربك فسل نفسك:- هل يحبك؟!، فليس الشأن أن تحبه، وإنما الشأن أن يحبك، والعلامة أنه إذا أحبك شغلك به وحده فعشت له وبه، إذا أحبك شغل قلبك بحبه، وجوارحك بخدمته، وعقلك بالفكر فيه، ثم لا تجد في نفسك بقية لغيره، فانظر أين قدمك، إذا أحبك وضع قدمك في المواطن التى يرضاها، نعم:- إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين أقامك؟!.

*- علامات حب الله تبارك وتعالى للعبد:-

١- اتباع النبـــــــــــــي ﷺ.

*- قال الله تبارك وتعالى:- { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }،(آل عمران:- ٣١).

٢- الذلة على المؤمنيـــــــن.

٣- العزة على الكافريـــــــن.

٤- المجاهدة في سبيـــــل الله.

٥- عدم خوف اللـــــوم في الله.

*- وجمع هذه الأربع قول الله تبارك وتعالى:- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }،(المائدة:- ٥٤).

٦- التقرب إلى الله بالنوافـــــل.

*- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:- قال رسول الله ﷺ:- " إن الله تبارك وتعالى قال:- ‘‘من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه "،[أخرجه البخاري].

٧- القبـــــول فـــــــي الأرض.

*- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:- إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء:- إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض "،[أخرجه البخاري].

*- وفي رواية لمسلم:- قال رسول الله ﷺ:- " إن الله تعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال:- إني أحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول:- إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له اللقبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول:- إني أبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء:- إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض "، [أخرجه مسلم].

٨- التعبـــد لله تعالـــى بأسمائـــه وصفاتـــه.

*- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ " قل هو الله أحد "، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال:- " سلوه لأي شيء يصنع ذلك "؟، فسألوه، فقال:- لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ:- " أخبروه أن الله تعالى يحبه "،[متفق عليه].

*- ففتش أخي الحبيب في نفسك عن علامات حب الله لك، فليست القضية في الدعاية أنك تحبه، ولكن الشأن كل الشأن في أن يحبك هو، فاعلم أن القضية يتعلق بعضها ببعض، فإنك لن تحبه حتى يحبك، فيجعلك تحبه ثم يثيبك على حبك حبًّا ثانيًا منه سبحانه وتعالى، فحبك محفوف بين حبين منه سبحانه وتعالى، حُبٌّ قبله وَحُبٌّ بعده، ولكن صلاحية المحل وأهلية الشخص، فهل تصلح أن تكون حبيب الله؟ بادر والله كريم.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

*- الأصل السادس والعشرون:- ‘‘كلُّ متاع في الدنيا يسحب من رصيدك في نعيم الآخرة’’

*- لقد أصبت بالرعب عندما قرأت حديثًا في صحيح مسلم:- قال رسول الله ﷺ:- " ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثلثى أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم "،[أخرجه مسلم]، وكأني أقرأه لأول مرة في حياتي حديث يخوف، ويرعب.

*- نفهم من هذا الحديث أن الذين يغزون فيغنمون ويسلمون استعجلوا ثلثي أجرهم، أي:- ضيعوا الثلثين من الأجر في الدنيا، فلم يبقَ لهم في الآخرة إلا الأجر القليل، فالذي أخذته من الدنيا كم ضيعت في مقابله من الآخرة، إن كل ما تأخذه من الدنيا مخصوم من حسابك في الآخرة.

*- أخذت من الدنيا مالًا أو سيارة أو أو أو، كل ذلك مخصوم من نعيم الآخرة، ولا يستوي في الآخرة الفقير مع الغني، وإن دخل الغني الجنة، لا يستويان أبدًا، قال الله تبارك وتعالى:- { أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهاَ}،(الأحقاف:- ٢٠)، وقال الله تبارك وتعالى:- { ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}،(التكاثر:- ٨)، فكل ما أوتيته من متاع الدنيا فهو بالخصم من نعيمك في الآخرة.

*- لذلك قال ربنا جَلَّ جلاله:- { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ }،(الحاقة:- ٢٤)، يقول ابن كثير رحمه الله:- " أي يقال لهم تفضلًا عليهم وامتنانًا وإنعامًا وإحسانًا، وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال:- " اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحدًا منكم لن يدخله عمله الجنة "، قالوا:- ولا أنت يا رسول الله، قال:- " ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل "،[متفق عليه].

*- فإذا كان العمل الصالح وحده لا يدخل الجنة فما بالك بالسيىء ولذلك فإن متاعك الدنيوي " السيىء " كلما كثر كلما ضيع عليك الآخرة، وإنما قال الله تعالى:- " بِمَا أَسْلَفْتُمْ "، ليرفع من همتك في السير إليه، وإلا فالأصل أنه سبحانه وتعالى هو الذي وفقك.

*- وهذا اللون من النعيم مع هذا اللون من التكريم في الالتفات إلى أهله بالخطاب، وقوله:- { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ }، فوق أنه اللون الذي تبلغ إليه مدارك المخاطبين بالقرآن في أول العهد بالصلة بالله، قبل أن تسمو المشاعر فترى في القرب من الله ما هو أعجب من كل متاع، فوق هذا، فإنه يلبي حاجات نفوس كثيرة على مدى الزمان، والنعيم ألوان غير هذا وألوان ".

*- فمن عاش نعيم الدنيا حرم نعيم الآخرة، فأقبل على الله واترك الدنيا وملذاتها وشهواتها، أقبل على الأدوم فنعيم الآخرة خير وأبقى، { وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ }، (الرعد:- ٢٦).

*- قال رسول الله ﷺ:- " بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة من نصيب "،[صححه الألباني].

*- قال ربي تبارك وتعالى:- { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ }، (الأحقاف:- ٢٠).

*- إن الذين يطلبون الدنيا ويتفانون فيها ويسعون في الزيادة منها، لابد أن نذكرهم حال نبيهم صلى الله عليه وسلم، وكيف أنه كان ﷺ، وكيف أنه ﷺ مات ولم يجد ما يملأ بطنه من الدقل (أردأ التمر) ثلاثة أيام، لم يكن يشبع ثلاثة أيام متتالية، يشبع اليوم فيجوع غدًا، ويشبع اليومين فيجوع الثالث، نعم:- لم تمر عليه ثلاثة أيام شبعها قط، فما آخر مرة جعت فيها؟ إننا لا نجوع يومًا واحدًا، ومع ذلك نتسخط ولا نشكر نعمة الله اللهم لا تعذبنا يا رب، اللهم ارزقنا شكر نعمتك يا رب، ومن هنا نفهم هذا الأصل، وأن قدوتنا فيه رسول الله ﷺ أفضل السائرين إلى الله، فكل ما تأخذه في الدنيا فهو بالخصم من حسابك في الآخرة.

*- قال بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:- أسلمنا مع رسول الله ﷺ وكان أحدنا لا يجد ما يملأ بطنه، فمنا من مات ولم يصب من هذه الدنيا شيئًا، كمصعب بن عمير، مات ولم نجد ما نكفنه فيه، إلا نمرة إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدت رأسه، فقال رسول الله ﷺ:- " غطوا بها رأسه واجعلوا عليه شيئًا من الإذخر "،[أخرجه البخاري].

*- مصعب بن عمير الذي فتح المدينة وحده، ولم يكن معه إلا عبد الله ابن أم مكتوم، قائد فتح المدينة يموت ولا يجدون له كفنًا، فكم عندك من ملابس؟! كم عدد القمص والعباءات التي عندك؟! وكم بدلة تملكها؟! وكم وكم.

*- سلمان الفارسي لما أتاه الموت بكى، قالوا:- ما يبكيك؟!، قال:- "عهد إلينا رسول الله ﷺ عهدًا وما أراني إلا تجاوزته، قالوا:- وما عهد إليكم، قال:- عهد إلينا أن يكون زاد أحدنا كزاد الراكب"،[صححه الألباني]، فلما مات حسبوا له تركته، فوجدوا عنده ستة عشر درهمًا، فأين من يتركون الآلاف والملايين؟! أين من يورثون الأراضي والفدادين؟! أين أصحاب العمارات والمحلات والدكاكين؟! أين هؤلاء من صحابة رسول الله ﷺ؟! إن هذه المتع والملذات والمسرات بالخصم من حسابك في الآخرة فانتبه، انتبه قبل أن تذهب إلى هناك فلا تجد شيئًا يسرك.

*- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:- أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال:- " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل "، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول-: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"،[أخرجه البخاري].

*- قال الإمام النووي رحمه الله:-

*- قوله ﷺ:- " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل "، أي:- لا تركن إليها، ولا تتخذها وطنًا، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه الذي يريد الذهاب منه إلى أهله.

*- وهذا معنى قول سلمان الفارسي رضي الله عنه:- أمرني خليلي ﷺ ألا تتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب.

ترجو البقاء بدار لا بقاء لها وهل سمعت بظل غير منتقل

*- " ومن حياتك لموتك "،:- أمره بتقديم الزاد، وهذا كقوله تبارك وتعالى:- {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}،(الحشر:- ١٨)، ولا يفرط فيها حتى يدركه الموت فيقول:- { رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ }،(المؤمنون:- ٩٩ - ١٠٠)، وقال الغزالي رحمه الله تعالى:- " ابن آدم بدنه معه كالشبكة يكتسب بها الأعمال الصالحة، فإذا اكتسب خيرًا ثم مات كفاه، ولم يجتمع بعد ذلك إلى الشبكة، وهو البدن الذي فارقه بالموت.

*- ولا شك أن الإنسان إذا مات انقطعت شهوته من الدنيا، واشتهت نفسه العمل الصالح لأنه زاد القبر، فإن كان معه استغنى به، وإن لم يكن معه طلب الرجوع منها إلى الدنيا ليأخذ منها الزاد، وذلك إن أخذت منه الشبكة.

*- فيقال له:- هيهات، قد فات، فيبقى متحيرًا دائمًا نادمًا على تفريطه في أخذ الزاد قبل انتزاع الشبكة، فلهذا قال:- " وخذ من حياتك لموتك "، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ".

*- أخي في الله:- زود رصيدك في الآخرة، فمستقلٌ ومستكثرٌ، ستقول:- ماذا أصنع؟! الله قد أعطاني أموالًا فهل أرميها في الشارع؟! أقول لك:- تصدق بها على الفقراء تجدها هناك.

*- " يقول ابن آدم:- مالي مالي، فيقال له:- ليس لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت "، فالمال مال الله أعطاه لك فرده إليه ولا تقل:- مالي، فهو سبحانه تعالى قادر على أن يفقرك ويسلبك هذا المال فتمشي فقيرًا محتاجًا، ألا تشكر الله أن وهبك ماله، وفوق ذلك يثيبك ويرفعك حينما ترده إليه وتنفقه في سبيله، ألا تستحي من ربك؟! فإن كان عندك مال فتصدق به.

*- ولذلك فإن النبي ﷺ قال:- " والله ما أحب أن يكون لي مثل أحد ذهبًا، فيبيت عندي منه ثلاث فأفعل بهم هكذا وهكذا وهكذا "،[متفق عليه]، أي:- يفرق هذا المال ويوزعه على الفقراء بسرعة.

*- يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى في حديث رسول الله ﷺ:-

*- " ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس "،[صححه الألباني].

*- " فالزهد ترك ما لا يحتاج إليه من الدنيا وإن كان حلالًا، والاقتصار على الكفاية "، والورع:- ترك الشبهات، قالوا:- وأعقل الناس الزهاد، لأنهم أحبوا ما أحب الله، وكرهوا ما كره الله من جميع الدنيا، واستعملوا الراحة لأنفسهم، وللشافعي رحمه الله في ذم الدنيا:-

ومن يذق الدنيا فإني طعمتهـــا وسيق إلينا عذبها وعذابهـــــا

فلم أرها إلا غرورًا وباطـــــلًا كما لاح في ظهر الفلاة سرابها

وما هى إلا جيفة مستحيلـــــة عليها كلاب همهن اجتذابهـــا

فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلهـا وإن تجتذبها نازعتك كلابهـــــا

فدع فضلات الأمور فإنـــــا حرام على نفس التقي ارتكابهـا

*- فقوله:- " حرام على نفس التقي ارتكابها " يدل على تحريم الفرح بالدنيا، وقد صرح بذلك البغوي في تفسير قوله تعالى:- { وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا }،(الرعد:- ٢٦)، ثم المقصود بالدنيا المذمومة:- طلب الزائد على الكفاية، أما طلب الكفاية فواجب.

*- قال الشافعي رحمه الله:- " طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى الله بها أهل التوحيد ".

*- وقد مدح الله المقتصدين في العيش فقال:- {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا}،(الفرقان:- ٦٧)، وكان يقال:- القصد في المعيشة يكفي عنك نصف المؤنة، والاقتصاد:- الرضا بالكفاية ".

*- فلو أن هذا المال المكنوز صرف فيما يرضي الله، لارتاح الناس وسعدوا ولاطمأنوا ورضي الله عنهم، فإياكم أحبتي الكرام من التعامل بالربا، وإياكم والبنوك، إياكم والبنوك، إياكم والبنوك، فكثير من الناس من يسأل باستمرار:- ابتعدت عن البنك ولم أضع أموالي فيه فماذا أصنع؟ أشغلها في مشروع ؟! ولكني أخاف من الخسارة! أقول:- تصدق بها على الفقراء ينفعك عند الله وهذا هو التشغيل الحقيقي لها، التصدق بها.

*- نعم:- عندك زيادة في المال تريد أن تضعها في البنك أو تعمل بها مشروعًا، لا بل تصدق بها على الفقراء، فوالله الذي لا إله إلا هو، هناك فقراء لا يجدون ما يأكلونه، والله فقراء لا يجدون " الرغيف الحاف "، فقراء لا يرون اللحم بالشهور، ولو ذهبت إليهم بدجاجة من دجاج " الجمعية " لطاروا فرحًا، فيا من لا تأكل إلا اللحم باللحم، تريد أن تحتفظ بالأموال وتكنزها، وإخوانك فيهم من لا يجد ما يسد جوعه.

*- أطعم الفقراء وأنفق عليهم مالك بسخاء، أطعمهم وكن رحيمًا بهم، فالمال مال الله وهو الذي أغناك، { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }،(فاطر:- ١٥)، اللهم أطعم فقراء المسلمين، اللهم أغنِ فقراء المسلمين بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين، اللهم وسع أرزاق المسلمين وبارك لهم بها يا رب العالمين.

*- طلحة بن عبيد الله التميمي الصحابي الجليل الذي قال عنه رسول الله ﷺ:- " من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض وقد قضى نحبه، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله "،[حسنه الألباني].

*- يقول عنه الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا رحمه الله تعالى بعد أن ذكر قصة وفاته:- " هذه هي قصة نعت طلحة بن عبيد الله " بالشهيد الحي "، أما تلقيبه بطلحة الخير، وطلحة الجود فلها مئة قصة وقصة.

*- من ذلك أن طلحة كان تاجرًا واسع التجارة عظيم الثراء، فجاءه ذات يوم مال من " حضر موت " مقداره سبعمئة ألف درهم، فبات ليلته وجلًا جزعًا محزونًا.

*- فدخلت عليه زوجته أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وقالت:- ما بك يا أبا محمد؟!. لعله رابك منا شيء!، فقال:- لا، ولنعم حليلة الرجل المسلم أنت، ولكن تفكرت منذ الليل وقلت:- ما ظن رجل بربه إذا كان ينام وهذا المال في بيته؟!، قالت:- وما يغمك منه؟!، أين أنت من المحتاجين من قومك وأخلائك؟! فإذا أصبحت فقسمه بينهم، فقال:- رحمك الله، إنك موفقة بنت موفق، فلما أصبح جعل المال في صرر وجفان، وقسمه بين فقراء المهاجرين والأنصار.

*- وروي أيضًا أن رجلًا جاء إلى طلحة بن عبيد الله يطلب رفده، وذكر له رحمًا تربطه به، فقال طلحة:- هذه رحم ما ذكرها لي أحد من قبل، وإن لي أرضًا دفع لي فيها عثمان بن عفان ثلاثمئة ألف، فإن شئت خذها، وإن شئت بعتها لك منه بثلاثمئة ألف وأعطيك الثمن، فقال الرجل:- بل آخذ ثمنها، فأعطاه إياه، هنيئًا لطلحة الخير والجود هذا اللقب الذي خلعه عليه رسول الله ﷺ، ورضي الله عنه ونور له في قبره ".

*- أخي المسلم:- عندك زيادة وليس الكلام للأغنياء فقط، فتصدق بها، ابنِ مسجدًا أو عيادة لعلاج الفقراء مجانًا، نعم أن تبنِ مشروعًا للإنفاق على الأسر اليتيمة، ساعد في زواج الشباب المحتاج المتعفف، تبنِ طالب علم شرعي ليخدم الأمة، أنفق مالك في مشاريع أخروية تكن لك عند الله، وإلا تفعل فهي بالخصم من حسابك في الآخرة.

*- وفي هذا المعنى الجميل يقول فضيلة شيخنا الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- ‘‘ واهجر الحياة التي تسوقك إلى حب المادة’’، ويقول أيضًا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- ‘‘بسم الله تعالى قم وشمر

عن ساعديكا، واستقم كما أمرت واصدع بما هو مفروض عليكا، واجعل يوم لقاءه همَّ قلبك وتجنب كل محظور عليكا، وتب لله والبس وتجرد، البس جلباب التقوى وجرد من حب الدنيا وهوى نفسك، واظمأ واشرب، اظمأ ممن سواهم، واشرب من كأس حبهم، وانعس واصحُ، انعس عما يشغلك عنهم واصحُ في رمتهم وخدمتهم، واستضعف وتقوَ، استضعف في غير ميدانهم، وتقوَ بإرادتهم، وابذل جهدك في صدق خلتهم، واعزم على أن تكون من أهل قربهم، عسى أن تفوز وتسبح وتكبر فوق منابرهم''.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

***- الأصل السابع والعشرون:- ''المرء مع من أحبَّ، فاختر حبيبك من ها هنا''**

*- إن الأصل أن يختار العبد المؤمن لنفسه مع من يحب أن يكون يوم القيامة، وفي معية من يحشر؟ أتحب أن تحشر يوم القيامة مع المتقين والصفوة المقربين ومعية سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ، أم تحب أن تحشر مع أهل البطالة واللهو والغناء والفجور؟ فأنت تحب أن تكون مع من؟ سأل أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم:- الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟، قال:- " المرء مع من أحب "،[متفق عليه].

*- لذا لما سمع أنس بن مالك هذا الحديث، قال:- فما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحنا بهذا الحديث "، المرء مع من أحب "، لأنني أحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم في الجنة.

*- ولذلك كان من إحدى رسائل بعض الصالحين لأحبابه في الله:- " اللهم إنك تعلم أني وإن كنت أعصاك، إلا أنني أحب من يطيعك، فاجعل ذلك قربة لي عندك آمين "، فهذه والله هي الرسائل النافعة،

*- فهما محلان فقط بعد الموت لا ثالث لهما، لأنه بعد الموت لا دار إلا الجنة أو النار، فاختر لنفسك أي الدار تختار، ولله در القائل:-

القبر باب وكل الناس داخلـه ياليت شعري بعد الموت ما الدار

الدار دار نعيم إن عملت بما يرضى الإله وإن خالفت فالنـــار

هما محلان ما للمرء غيرهما فاختر لنفسك أي الدار تختـــار

*- فإذا إذا أحببت الله وأحببت من يحب الله فستكون جاره في الفردوس الأعلى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- " إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة ووسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وسقفه عرش الرحمن "،[أخرجه البخاري]، فإذا أحببت الله كنت جاره، وإذا أحببت النبي ﷺ كنت معه.

*- أبو بكر الصديق وعمر وعلى وعثمان وأبو الدرداء وأنس وأبو ذر ومعاذ رضي الله عنهم جميعًا هؤلاء هم النجوم بحقٍّ، فإذا أحببتهم كنت معهم هناك في الآخرة، نعم:- هؤلاء هم الذين يستحقون الحب، فمن تحب؟!.

*- وهذا الإمام الشافعي ابن عم النبي ﷺ مع علمه، وعلو درجته، ورفيع مقامه، وعظيم شأنه يرى نفسه أنه مقصر، وأنه يسأل ربه أن يرزقه حبَّ لعله يحشر في معيتهم وزمرتهم وتحت لوائهم يوم القيامة فيقول:-

أحب الصالحين ولست منهم وأرجو أن أنال بهم شفاعـــة

وأكره من تجارته المعاصـــي وإن كنا سواء في البضاعـــة

*- فقال له من يعرف الفضل لأهله إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله:-

تحب الصالحين وأنت منهـم رفيق القوم يلحق بالجماعـــة

وتكره من بضاعته المعاصي حماك الله من تلك البضاعـة

*- ولله در رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها وأرضاها وهي تقول عن حبها لله تبارك وتعالى:-

كلهم يعبدون من خوف نـــار ويرون النجاة حظًّا جزيـــلاً

أو أن يسكنو الجنان فيحضـــوا بقصورٍ ويشربوا سلسبيـــلا

ليس لي في الجنان والنار حظ أنا لا أبتغي بحبي بديـــلا

*- فهي والله لا تحب الجنة إلا لتنعم برؤية الحبيب تبارك وتعالى، وتتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم عزَّ وجلَّ، فيا لها من محبة عظيمة، وهمة عالية جليلة، وهيام شديد في حبه سبحانه وتعالى، حتى أصبحت لا يقر لها قرار، ولا يهدأ لها بال، حتى تنعم برؤيته، وتأنس بالنظر إليه سبحانه وتعالى.

*- إننا بحاجة ماسة وشديدة للبحث عن كل كلمة جميلة مريحة رطبة، وكل إشارة مؤدبة وكل حركة مهذبة لنتعامل بها مع الناس، لنكسب حبهم ونحببهم إلى الله، لنكون معهم ويكونوا معنا على طريق الحب في الله تبارك وتعالى، وذلك امتثالًا لقوله عزَّ وجلَّ:- {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا }،(البقرة:-٨٣).

*- فانظر إلى الرقة والأدب في التعامل بين الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين:-

*- عن زيد بن أسلم عن أبيه:- " عزل عمر خالدًا، فلم يعلمه أبو عبيدة حتى علم من الغير، فقال:- يرحمك الله، ما دعاك إلى أن لا تعلمني؟، قال:- كرهت أن أروعك "، حب في الله.

*- قال الصوري:- علامة الحب لله المراقبة للمحبوب، والتحري لمرضاته.

*- ولما اشترى أبو بكر بلالًا وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهبًا، قالوا:- لو أبيت إلا أوقية لبعناكه، فقال:- لو أبيتم إلا مئة أوقية لأخذته، حب في الله.

*- قال فضيل بن غزوان:- أتيت أبا إسحاق بعد ما كُفَّ بصرُهُ، قال:- قلت:- تعرفني؟، قال:- فضيل؟ قلت:- نعم، قال:- إني والله أحبك، لولا الحياء منك لقبلتك، فضمني إلى صدره ثم قال:- حدثني أبو الأحوص عن عبد الله:-

*- { لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ }،(الأنفال:- ٦٣)، نزلت في المتحابين.

*- وكان أبو العالية إذا دخل عليه أصحابه يرحب بهم ويقرأ:- { وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ }،(الأنعام:- ٥٤).

*- وكان ابن عمر يقول:- إني لأخرج وما لي حاجة إلا أن أسلم على الناس ويسلمون عليَّ، حب في الله، يحب المسلمين ويحب رؤيتهم.

*- قال الأوزاعي:- كتب إليَّ قتادة من البصرة:- إن كانت الدار فرقت بيننا وبينك فإن ألفة الإسلام بين أهلها جامعة.

*- الحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله، الحب في الله أن تحب الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ وتحب بحبهما المؤمنين، قال الله تبارك وتعالى:- { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ }،(المائدة:- ٥٥).

*- والبغض في الله أن تكره الكفر والكافرين والشرك والمشركين والفسق والفاسقين، حتى ولو كانوا أقرب الأقربين إليك، قال الله تبارك وتعالى:- { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ }،(الممتحنة:- ٤).

*- وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح أمين هذه الأمة، حقق هذا الأصل العظيم يوم بدر، أصل الموالاة في الله والمعاداة في الله، هذا الأصل الذي يقول عنه العلماء:- الولاء والبراء هو المقياس العملي والحقيقي للتوحيد الخالص.

*- " عاش أبو عبيدة تجربة المسلمين القاسية في مكة منذ بدايتها إلى نهايتها، وعانى مع المسلمين السابقين من عنفها وضراوتها، وآلامها وأحزانها ما لم يعانه أتباع دين على ظهر الأرض، فثبت للابتلاء، وصدق الله ورسوله ﷺ في كل موقف.

*- لكن محنة أبى عبيدة يوم " بدر " فاقت في عنفها حسبان الحاسبين وتجاوزت خيال المتخيلين، انطلق أبو عبيدة يوم بدر يصول بين الصفوف صولة من لايهاب الردى، فهابه المشركون، ويجول جولة من لا يحذر الموت، فحذره فرسان قريش، وجعلوا يتنحون عنه كلما واجههم، لكن رجلًا واحدًا منهم جعل يبرز لأبي عبيدة في كل اتجاه، فكان أبو عبيدة يتحرف عن طريقه ويتحاشى لقاءه.

*- ولج الرجل في الهجوم وأكثر أبو عبيدة في التنحي، وسد الرجل على أبي عبيدة المسالك ووقف حائلًا بينه وبين قتال أعداء الله، فلما ضاق به ذرعًا ضرب رأسه بالسيف ضربة فلقت هامته فلقتين، فخر الرجل صريعًا بين يديه.

*- لا تحاول أيها القارىء الكريم أن تخمن من يكون الرجل الصريع، أما قلت لك:- إن عنف التجربة فاق حسبان الحاسبين وجاوز خيال المتخيلين؟ ولقد يتصدع رأسك إذا عرفت أن الرجل الصريع هو عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة.

*- لم يقتل أبو عبيدة أباه، وإنما قتل الشرك في شخص أبيه.

*- فأنزل الله سبحانه وتعالى في شأن أبي عبيدة وشأن أبيه قرآنًا، فقال علت كلمته، وجلَّ جلاله:-

{" لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }، (المجادلة:- ٢٢).

*- لم يكن ذلك عجيبًا من أبي عبيدة، فقد بلغ من قوة إيمانه بالله ونصحه لدينه، والأمانة على أمة محمد ﷺ مبلغًا طمحت إليه نفوس كبيرة عند الله ".

*- فاختاروا إخوتي الأحبة الكرام:- من يسركم في القيامة أن يكونوا معكم وتكونوا معهم، وابتعدوا عن طريق الصادين عن سبيل الله الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، تبرءوا من الفسقة الفجرة حتى لا يجمعكم الله بهم، اتركوا الاختلاط بهم، واتركوا التشبه بهم في الأعياد والاحتفالات والملبس والهيئة، واستعمال كلماتهم التي يكرهها الله.

*- قال الله تبارك وتعالى:- { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ }،(هود:- ١١٣)، فالآية:- " فيها دليل على وجوب هجران أهل الكفر والمعاصي، وأهل البدع والأهواء، فإن صحبتهم كفر أو معصية، إذ الصحبة، لا تكون إلا عن مودة ".

*- إخوتي الأحباب الكرام:- الطريق إلى الله لابد فيها من البعد عن المثبطين المقعدين الذين ركنوا إلى حب الدنيا والتذوا بها، فأحبوا المؤمنين الطائعين الطاهرين يعينوكم على الوصول، ويهونوا عليكم مشاق الطريق.

*- أخي في الله، وحبيبي في رسول الله ﷺ:- أحبب لله، واكره لله، فبهذا الأصل اختر حبيبك من ها هنا، واعلم أن المسافر إلى الله يحتاج ولابد إلى رفقة صالحة وصحبة طيبة، يحتاج أن يعيش في مجتمع تسوده المحبة والأخوة.

*- أحبتي في الله، المرء مع من أحب، فمن تحب ولماذا؟

*- وفي هذا المعنى الجميل يقول فضيلة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { واعلم أن الحب في الله واجب، والبغض في الله واجب، عش في حب مولاك جلَّ جلاله، ومحبة حبيبه المصطفى ﷺ، ومحبة وطنك وإخوانك، وسر على الدستور السماوي المنزل على محمد لكل البشر، وكن نصيرًا للحق، واتبع سبيل إمامك الذي يدعوك لله بأمره تعالى، ‘‘واتبع سبيل من أناب إليَّ’’، وفرغ قلبك من الشواغل التي تخالف إرشاد القرآن الكريم، وأطع ولي الأمر ما دام لا يأمر بمعصية أو فساد}.

*- اللهم ارزقنا حبك، وحب من أحبك، وحب كل عبد صالح يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ومن الماء البارد على الظمأ، اللهم واجعلنا ممن أحببتهم فرضيت عنهم، اللهم وكما جمعتنا على حبك فى الدنيا اجمعنا في جناتك جنات النعيم على سرر متقابلين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، اللهم لا تحرمنا رؤية الصالحين ولا تحرمنا اللهم من النظر إلى وجهك الكريم، اللهم آمين.. اللهم آمين.

*- فاستعن بالله تبارك وتعالى أخي الحبيب الغالي، واطلب منه العون والتوفيق والسداد والثبات على طريق الحق تبارك وتعالى، ثم توسل إليه بمدد شيخك الطاهر، فإنه مدده لا ينقطع عن أتباعه وأحبابه ومريديه، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم.

‘‘الخـــــــــاتمـــــــــــة’’

*- الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وصفوة خلق الله أجمعين، سيدنا وحبيبنا ومصطفانا ومجتبانا محمد بن عبد الله المجتبى المصطفى الهادي الأمين، عليه الصلاة والسلام.

*- الحمد لله الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، فهو سبحانه الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، وهو فوق كل شيء، وتحته كل شيء، ومنه كل شيء، ويبقى الله ويفنى كل شيء، سبحانه من إله عظيم، ورب جليل كريم، فالله تبارك وتعالى كان قبل خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان، علم ما كان وما يكون وما سيكون، وما لم يكن كيف.. لو كان كيف كان يكون، وأشهد إلا إله الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وحبيب المتقين، وبغية القاصدين، والصلاة والسلام على الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، سبب كل خير، وأصل كل نعمة، سيد الخلق وهادي الأئمة، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين، وبعد!!

*- فكيف نجترئ أحبتي الكرام بعد كل هذا على الإعراض عن جناب الحق سبحانه وتعالى، أو حتى كيف يليق بنا أن ننساه عزَّ وجلَّ، وهو يقول تبارك وتعالى في حديث التجلي على قلوب بعض أحبابه العارفين بالله تعالى:-

أطعْ أمرنَا نرفعْ لأجلكَ حجبَنَـــا ... فإنَّا منحْنَا بالرضا منْ أحبنـــــــا

ولذْ بحمانا واحتمِ بجنابنـــــــا ... لنحميك مما فيه أشرارُ خلقنـــــــا

وعنْ ذكرنا لا يشغلنك شاغـــلٌ ... وأخلصْ لنا تلقَ المسرةَ والهنـــــــا

وَسَلِّمْ إلينا الأمر في كلِّ ما يكنْ ... فما القربُ والإبعادُ إلا بأمـــرنـــــا

فيا خجلي منه إذا هو قال لـــي ... أيا عبدنـــا ما قـــرأت كتابنـــــا

أما تستحي منا ويكفيك ما جرى ... أما تختشي من عتبنا يوم جمعنـــا

أما آنَ أنْ تقلعَ عنِ الذنبِ راجعاً وتنظـــرَ ما به جـــاءَ وعدنـــــا

فأحبابنا اختاروا المحبةَ مذهبـــاً وما خالفوا في مذهبِ الحبِّ شرعنا

فلو شاهدتْ عيناك من حسننـــا الذي رأوه لَمَا وَلَّيْتَ عنـــا لغيرنـــا

ولو سمعتْ أذناك حسنَ خطابنـا خلعتَ عنك ثيابَ العجبِ وجئتنـــا

ولو ذقتَ من طعمِ المحبـــةِ ذرةً عذرتَ الذي أضحى قتيلاً بحبنـــا

ولو نَسَمَتْ من قربنا لك نسمـــةً لَمِـتَّ غريباً واشتيـــاقاً لقربنـــــا

فما حبنا سهل وكل من ادعـــى سهولته قلنا له قـــد جهلتنـــــا

فأيسر مافي الحب للصب قتلـه وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنـا

*- ولله در القائل في وصف طريق الصالحين، والموصل لله رب العالمين، وللفوز بمحبة أحكم الحاكمين ﷺ، لتحظى بالجلوس على بساط الأنس في حضرة القدس:-

طريقَتُنا للخارِقاتِ وسيلَـــــــةٌ وللكفِّ عن كلِّ الوُجوداتِ سِلَّـــــمُ

طَريقَتُنَا من أَخلصَ القلبَ ضمنَها غَدا بضمانِ اللهِ يُحْيى ويُكـــــرَمُ

طَريقَتُنَا من راحَ يحكِمُ حكمَهـــا بصدْقٍ على أَهلِ القُلُوبِ يُحكَّـــــمُ

طَريقَتُنَا تُنجي الفُؤادَ مـــن الغَوى وتحْفَظُهُ من زَيْغِهِ وتُسَلِّـــــــمُ

طَريقَتُنَا مأْمونَةُ الحـــــالِ سُنَّةٌ ومضمونُها في كلِّ نَقْلٍ مُسَلَّـــــمُ

طَرِيقَتُنَا حالُ النَّبيِّ وطـــــوْرُهُ وعن سِرِّهِ للمارِقينَ تُتَرْجـــــمُ

طَرِيقَتُنَا صِدقٌ وزُهدٌ ورَأفَـــــةٌ وذُلٌّ إلى المولى ونهـــــجٌ مُقَوَّمُ

طَرِيقَتُنَا أن لا يرَى المرءُ نفسَـــهُ وفيها أخيرُ الرَّكبِ فهـــــو المُقَدَّمُ

طَرِيقَتُنَا أن تُصلِحَ العبدَ صُحْبَـةٌ فنحنُ سُكوتٌ والهوَى يتكلّـــــمُ

طَرِيقَتُنَا أن يُجعَلَ الشَّرعُ سُلَّمـــاً أَجَلُّ وبهِ السُّلاَّكُ تَرقى وتعظُـــــمُ

طَرِيقَتُنَا قلبٌ سَليمٌ ونيَّـــــــةٌ مُطَهَّرَةٌ أنْفَ المُآمِلِ تُرغِـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا ذِكرٌ بلا عـــــددٍ على موارِدِ أَنفاسٍ تمُرُّ وتُنْظَـــــــــــمُ

طَرِيقَتُنَا أن لا نرَى الغيرَ فاعِـلاً سوى أَنَّهُ الرَّحمنُ يُعطي ويُحْـــــرِمُ

طَرِيقَتُنَا أن تشهَدَ اللهَ حاكِمـــاً لـه الأَمرُ في الأَمْرَيْنِ يُقضي ويَرْحَـمُ

طَرِيقَتُنَا حُبُّ النَّبيِّ وآلِـــــــهِ وأَصحابِهِ والذِّكرُ للخير عنهُـــــمُ

طَرِيقَتُنَا إعظامُ كلِّ مُقَـــــرَّبٍ من القومِ لكنْ شيخُنا الفردُ أَعظَـــمُ

طَرِيقَتُنَا نهجُ الجُنَيْدِ تحقُّقـــاً بمشرَبِهِ إِذْ ناكِثُ العهدِ يُقْصَـــــمُ

طَرِيقَتُنَا ذوقٌ وشوقٌ وعبـــــرَةٌ وعبرَةُ عينٍ دمعُها كلُّـــــــــهُ دَمُ

طَرِيقَتُنَا جِدٌّ وجُهدٌ ولوعَـــــةٌ وخَلوَةُ صدقٍ خالِصٍ وتكتُّـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا أن لا نرَى الشَّقَّ للعَصا فإنَّ مُوالاةَ الجَماعَةِ أَلْـــــــزَمُ

طَرِيقَتُنَا وُدٌّ لكلِّ مُوَحِّـــــــدٍ وأن نُسْدي إحْساناً لمن هو مسلِـــمُ

طَرِيقَتُنَا بالآدَميّينَ رحمَـــــــةٌ كما أمَرَ الهادي الرَّسولُ المُكَـــــرَّمُ

طَرِيقَتُنَا أن نشهَدَ الخلقَ كلُّهُـــمْ بخيرٍ وأنْ نَزوِي الأَذِيَّةَ عنهُـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا محوُ الرِّياءِ وطرحُـــهُ وحِفظُ نِظامِ الصِّدقِ إِذْ نتكلَّـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا صَوْنُ الجَوارِحِ كلِّهـــا فإنَّ سؤالَ الحَشْرِ بالصَّوْنِ ملـــــزِمُ

طَرِيقَتُنَا أنْ نجذِبَ القلبَ دائِمـــاً إلى اللهِ بل في ذِكرِهِ نترنَّـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا أنَّا نُمِرُّ زَمانَنـــــــا ونحنُ على مهدِ التَّكتُّـــــــمِ قُوَّمُ

طَرِيقَتُنَا أن نجعَلَ السِّرَّ رُقْعَـــةً وفيها سُطورُ الصِّدقِ للهِ نَرقُـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا دَومُ الهُيامِ تولُّهـــــاً وهل مُرْتَضى المحْبوبِ إلاَّ المُهَيَّـــمُ

طَرِيقَتُنَا وجهٌ مع النَّاسِ حاضِرٌ وقلبٌ بذِكرِ اللهِ لا يتلَعْثَـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا إعْظامُ شأْنِ محمَّـــدٍ كما هوَ فهو الهاشِمِيُّ المُعظَّـــــمُ

طَرِيقَتُنَا أنَّا على كلِّ رَمشَـــةٍ نُصلِّي عليه نيَّةً ونُسلِّـــــــــمُ

طَرِيقَتُنَا نهجُ الرِّفاعِيِّ أَحمـــدٍ فمنهاجُهُ من جملَةِ القومِ أَقـــــــوَمُ

طَرِيقَتُنَا أَنْ نملأَ العينَ دمعَـــةً إِذِ النَّاسُ في فُرشِ البَطالَةِ نُـــــــوَّمُ

طَرِيقَتُنَا أَنْ نُبْدِ في اللهِ شـــدَّةً ونُبغِضَ فيه من به الزَّيْغُ يُرسَـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا نصرُ المُحِقِّ وغَوْثُـــهُ وإِذْلالُ منْ للنَّاسِ يُؤذي ويظلـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا إِكرامُ شيخٍ لسِنِّـــــــهِ ورحمةُ طفلٍ إنَّما الطفلُ يُرْحَـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا الإيثارُ والبذلُ دائِمـــاً بلا ريبَةٍ واللهُ أَغنى وأَكـــــــــرَمُ

طَرِيقَتُنَا هجرُ الكَذوبِ وتركُـــهُ وحُبُّ صَدوقٍ هكذا القومُ أَلْزَمـــــوا

طَرِيقَتُنَا غسلُ الفُؤادِ من الـهَوَى ومن بعدِهِ وِفقاً لـه نتوسَّـــــــــمُ

طَرِيقَتُنَا رَدُّ الفِراسَةِ للّـــــذي به الشَّرْعُ يقضي في الأُمورِ ويُبْـــرِمُ

طَرِيقَتُنَا إن جاءَ بالصِّدقِ وارِدٌ نحكِّمُهُ في أَمرِنا ونُسَلِّـــــــــــمُ

طَرِيقَتُنَا التَّحكيمُ للنَّصِّ بالـذي به في الإشاراتِ الغَوامِضُ نُلْهَـــــمُ

طَرِيقَتُنَا من ربِّنا الأَخذُ بالرِّضـا يؤخِّرُ منَّا أَمرَنا أو يُقَـــــــــدِّمُ

طَرِيقَتُنَا التَّسليمُ للمُرشِدِ الـــذي لأَحْكامِهِ التَّسليمُ في السَّيرِ أَسلَـــــمُ

طَرِيقَتُنَا إِعْزازُ من شادَ سُنَّـــةً بها رُكْنُ زَيْغٍ في البريَّةِ يُهـــــــدَمُ

طَرِيقَتُنَا أن لا نقولَ بوحْـــــدَةٍ ولا بحُلولٍ والمُصيبَةُ أَعظَـــــــمُ

طَرِيقَتُنَا أن نحفَظَ الشَّرْعَ ظاهِراً وهذا هو السِّرُّ الخفِيُّ المُطَلْسَـــــمُ

طَرِيقَتُنَا رَدُّ الشُّطوحاتِ كلِّهـــا إذا لم يكنْ منها المُؤَوَّلُ يُفْهَـــــمُ

طَرِيقَتُنَا أن يأخُذَ القلبُ عبـــرَةً ولو من هُبوبِ الرِّيحِ إِذْ يتنَسَّـــــمُ

طَرِيقَتُنَا أن نتبَعَ النَّصَّ خُضَّعاً وإِن جاءَ طَيْشاً غيرُهُ لا نُسَلِّـــــمُ

طَرِيقَتُنَا أنَّ الكَراماتِ لم تـــزلْ بأَيدي رِجالِ اللهِ تبدو وتنظَـــــمُ

طَرِيقَتُنَا أنَّ الخَوارِقَ سَهْمُهُـــمْ لمن كانَ حيًّا والذي ماتَ منهُـــــمُ

طَرِيقَتُنَا أنَّ المُؤَيَّدَ واحِـــــدٌ ويفعَلُ دَهراً ما يُرِيدُ ويحكُـــــــــــمُ

طَرِيقَتُنَا أنَّ البِداياتِ كلَّهـــــا بتصْريفِ أَمرِ اللهِ تبدو وتُخْتَـــــــمُ

*- وهذه الوصايا العشر الجلية لكل مريد يبغي الوصول لحضرة ملك الملوك تبارك وتعالى، وهي لبعض العارفين بالله تعالى رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-

*- وهذه هي القواعد العشرة الجلية، وهي مجموعة من القواعد والأسس التي لابد لكل سالك من معرفتها والعمل بها والالتزام بمقتضاها، ونشرها بين السالكين في الطريقة، لكي تكون لهم قدوة يسيرون عليها، وهي من تدوين وجمع الفقير خادم الطريقة القادرية مخلف بن يحيى العلي الحذيفي القادري، وقد تمَّ جمعها من خلاصة أقوال الصالحين والعارفين، وهي حصيلة لصحبة المشايخ الكرام، وأهل الفضل والعرفان من الصالحين، وأحببنا وضعها بين أيديكم هنا مقتصرين على ذكر القواعد فقط، وإليكم أحبتي الكرام تلك القواعد العشرة وهي:-

*- القاعدة الأولى:- من أهم القواعد التي تقوم عليها طريقتنا هي:-

*- طريقتنا مبنيةٌ على الكتابِ والسنةِ فمن خالفهما فليس منَّا، وكلُ حقيقةٍ لا تشهدُ لها الشريعةُ فهي زندقةٌ.

*- القاعدة الثانية:- من أهم القواعد التي تقوم عليها طريقتنا هي:-

*- ملازمة السنن والنوافل والآداب مع كثرة الذكر والعبادة والمجاهدة في كل حال.

*- القاعدة الثالثة:- من أهم القواعد التي تقوم عليها طريقتنا هي:-

*- طلب العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر المحبة والرحمة بين الناس بالاستقامة على المنهج الصحيح.

*- القاعدة الرابعة:- من أهم القواعد التي تقوم عليها طريقتنا هي:-

*- حب آل البيت الأطهار والصحابة الأبرار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

*- القاعدة الخامسة:- من أهم القواعد التي تقوم عليها طريقتنا هي:-

*- عدم الاعتقاد بعصمة الشيخ بل نعتقد بأنه محفوظٌ وأنَّ العصمة للأنبياء فقط.

*- القاعدة السادسة:- من أهم القواعد التي تقوم عليها طريقتنا هي:-

*- ملازمة السالك للشيخ بقدر الاستطاعة، حتى يكتمل سلوكه بين يديه، ويصل المريد إلى رضا ربه عزَّ وجلَّ، وتنفتح عين قلبه فيستوي عنده بُعْدُ الشيخِ وَقُرْبُهُ.

*- القاعدة السابعة:- من أهم القواعد التي تقوم عليها طريقتنا هي:-

*- الجَدُّ والكَدُّ ولزومُ الحَدِّ حتى تنقدَّ، ومعنى هذا أن يكون جادًّا بالسير إلى ربه، ويخوض جميع المجاهدات، ويلزم جميع الحدود الشرعية، حتى تجف شهوة النفس وتموت.

*- القاعدة الثامنة:- من أهم القواعد التي تقوم عليها طريقتنا هي:-

*- الاجتماعٌ والاستماعٌ والاتباعٌ حتى يحصل الانتفاع، ومعنى هذا أن يحافظ على الجلوس بين يدي شيخه والصالحين ويستمع لهم ثم يعمل بما علم منهم حتى ينتفع بهم.

*- القاعدة التاسعة:- من أهم القواعد التي تقوم عليها طريقتنا هي:-

*- الصحبةُ والمحبةُ والخدمةُ ولزومُ الأعمال، ومعنى هذا أن أحافظ على صحبة الصالحين والصادقين وأحب جميع المؤمنين وأخدم إخوتي السالكين وغيرهم دون التفريط بواجباتي من العبادة والأذكار وسائر الأعمال.

*- القاعدة العاشرة:- من أهم القواعد التي تقوم عليها طريقتنا هي:-

*- حب جميع المشايخ والصالحين واحترام كل الطرق ولا نفرق ولا نفاضل بينهم بأي حال من الأحوال، ولا ينبغي لحبك لشيخك وطريقتك أن يدفعك للانتقاص من الغير، ويجب أن تعلم أن شيخك بمثابة الأب والمشايخ بمثابة الأعمام ويجب عليك احترامهم.

*- فما أجمل الشوق والوصول إلى جناب الحق تبارك وتعالى، فبالله عليكم كيف لا يشتاق قلب المحب لمحبوبه، وبعض الصالحين يقول:- '' اللهم طال شوقي إليك.. فعجِّلْ لي بالقدوم عليك''، لهذا فإن

سيدنا داود عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم سأل ربه تبارك وتعالى عن المشتاقين فقال:- يا رب من المشتاقون إليك.

*- قال:- إن المشتاقين إليَّ الذين صفيتهم من كل كدر، ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم إليَّ خرقاً ينظرون إليَّ، وإني لأحمل قلوبهم بيديَّ فأضعها على سمائي، ثم أدعو نجباء ملائكتي فإذا اجتمعوا سجدوا لي، فأقول إني لم أدعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إليَّ، وأباهي بكم أهل الشوق إليَّ، فإن قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض.

*- يا داود إني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني، وَنَعَّمْتُهَا بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي مُحَدِّثِيْ، وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض، وقطعت من قلوبهم طريقاً ينظرون به إليَّ، يزدادون في كل يوم شوقاً.

*- قال سيدنا داود يا رب أرني أهل محبتك، فقال:- يا داود ائتِ جبل لبنان فإن فيه أربعة عشر نفساً فيهم شبان، وفيهم شيوخ، وفيهم كهول، فإذا أتيتهم فأقرئهم مني السلام وقل لهم:- إن ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم:- ألا تسألون حاجة فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم.

*- فأتاهم سيدنا داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عزَّ وجلَّ فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه، فقال داود:- إني رسول الله إليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم، فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله، وألقوا أبصارهم إلى الأرض، فقال داود:- إني رسول الله إليكم، يقرئكم السلام ويقول:- لكم ألا تسألون حاجة، ألا تنادوني أسمع صوتكم وكلامكم فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي، أفرح لفرحكم، وأسارع إلى محبتكم، وأنظر إليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة، قال:- فجرت الدموع على خدودهم.

*- فقال شيخهم:- سبحانك سبحانك، نحن عبيدك وبنو عبيدك، فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا.

*- وقال الآخر سبحانك سبحانك، نحن عبيدك وبنو عبيدك، فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك.

*- وقال الآخر سبحانك سبحانك، نحن عبيدك وبنو عبيد، أفنجترىء على الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا، فأدم لنا لزوم الطريق إليك وأتمم بذلك المنة علينا.

*- وقال الآخر:- نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا علينا بجودك.

*- وقال الآخر:- من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك، أفيجترىء على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك.

*- وقال الآخر:- كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك.

*- وقال الآخر:- أنت هديت قلوبنا لذكرك، فرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك.

*- وقال الآخر:- قد عرفت حاجتنا إنما هي النظر إلى وجهك.

*- وقال الآخر:- كيف يجترىء العبد على سيده إذ أمرتنا بالدعاء، بجودك فهب لنا نوراً نهتدي به في الظلمات من أطباق السموات.

*- وقال الآخر:- ندعوك أن تُقْبِلَ علينا وتديمه عندنا.

*- وقال الآخر:- نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا.

*- وقال الآخر:- لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر إلى جمال وجهك.

*- وقال الآخر:- أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها، وقلبي عن الاشتغال بالآخرة.

*- وقال الآخر:- قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك.

*- فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم:- قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه، وليتخذ لنفسه سرباً، فإني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي.

*- فقال داود:- يارب بم نالوا هذا منك، قال:- بحسن الظن، والكف عن الدنيا وأهلها، والخلوات بي ومناجاتهم لي، وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها، ولم يشتغل بشيء من ذكرها، وفرغ قلبه لي، واختارني على جميع خلقي، فعند ذلك أعطف عليه، وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلي نظر الناظر.

*- هذا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، اللهم إنا نسألك يا رب بجاه الحبيب المصطفى سيدنا محمد أن ترزقنا متابعة هديه، وسنته، وأقواله وأفعاله، وأحواله، وحركاته وسكناته، وأن تثبتنا على محبتك وطاعتك ورضاك، فبضاعتنا والله بضاعة مزجاة لا يرجى لأمثالنا بها النجاة، فاللهم بجاه أهل الوجاهة من الأحباب نسألك أن تجعلنا من الذين سبقت لهم السعادة عندك في أم الكتاب، وأن ترفع عن قلوبنا كل حجاب، وأن تكتبنا في زمرة الأحباب، اللهم يا من إليك المرجع والمآب، اللهم إنا نسألك أن ترزقنا حب الصالحين، وأن تجمعنا في معيتهم وتحت رايتهم وفي زمرتهم يا رب العالمين.

فهرس

الرقم	الموضـــــــــــــــــــــــــــــــــــوع	صفحة رقم
١.	مقدمـــة الكتـــاب	
٢.	الباب الأول:- بابُ الدخولِ وَسُلَّمُ الوصولِ إلى طريق الله تبارك وتعالى	
٣.	أولًا:- اتخاذ شيخ عارف بالله تعالـــــــى	
٤.	ثانيًا:- أخذ البيعة المحمدية من الشيخ المربي	
٥.	الباب الثاني:- أركان الطريق ثلاثة:- ‘‘اجتماع واستماع واتباع’’	
٦.	الركن الأول من أركان السير في الطريق:- الاجتمـــــــــــاع	
٧.	الركن الثاني من أركان السير في الطريق:- الاستمـــــــــــاع	
٨.	الركن الثالث من أركان السير في الطريق:- الاتبـــــــــــاع	
٩.	الباب الثالث:- أصول السير في الطريق للوصول إلى الله تبارك وتعالى	
١٠.	الأصل الأول:- عليك البداية، وعليه التمام	
١١.	الأصل الثاني:- كُنْ واحدًا لواحدٍ على طريقٍ واحدٍ	
١٢.	الأصل الثالث:- مَا لَا يكونُ باللهِ لا يكونُ، وَمَا لَا يكونُ للهِ لا ينفعُ ولا يدومُ	
١٣.	الأصل الرابع:- الشكرُ أساسُ المزيدِ	
١٤.	الأصل الخامس:- أكثرْ منْ قولكَ‘‘اللهمَّ يا مُثَبِّتَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبي على دينكَ’’	
١٥.	الأصل السادس:- يومـــــــــكَ يومـــــــــكَ	
١٦.	الأصل السابع:- وليسعْـــــــــكَ بيتـــــــــكَ	
١٧.	الأصل الثامن:- الصـــــــادقُ حبيـــــــبُ اللهِ	
١٨.	الأصل التاسع:- تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ.. يعرفْكَ في الشدةِ	
١٩.	الأصل العاشر:- القرآنُ قائـــــدٌ وسائـــــــقٌ وحـــــادٍ	
٢٠.	الأصل الحادي عشر:- كنْ دائمًا مستعدًّا للقدومِ على اللهِ عزَّ وجلَّ	

٢١.	الأصل الثاني عشر:- في الطريـــــــقِ مواقـــــفُ للتمييـــزِ	
٢٢.	الأصل الثالث عشر:- الاعتصامُ باللهِ عقيـــدةٌ وعمـــلٌ ودعـــاءٌ	
٢٣.	الأصل الرابع عشر:- منْ استطالَ الطريقَ ضَعُـــــــفَ مشيُـــهُ	
٢٤.	الأصل الخامس عشر:- السرُّ الدفينُ لعدمِ القبولِ.. وجودُ حظٍّ للنفسِ في العملِ	
٢٥.	الأصل السادس عشر:- الأمرُ كلُّهُ بيدِ اللهِ تعالى، فَسَلِّمْ تَسْـــــلَمْ	
٢٦.	الأصل السابع عشر:- دليلُ عدمِ رضاهُ عنكَ... عدمُ رضاكَ عنهُ	
٢٧.	الأصل الثامن عشر:- إياكَ أنْ تمكرَ بـــــــهِ.. فيمكـــرَ بـــكَ	
٢٨.	الأصل التاسع عشر:- اجعلْ نصبَ عينيكَ قولُهُ تعالى‘وَأْتُوا البيوتَ منْ أبوابِهَا’	
٢٩.	الأصل العشرون:- ‘وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ فَفِرُّوا إلى اللهِ’	
٣٠.	الأصل الحادي والعشرون:- ‘‘مَنْ صَفَّى صُفِّيَ لَهُ.. وَمَنْ كَدَّرَ كُدِّرَ عَلَيْهِ’’	
٣١.	الأصل الثاني والعشرون:- إياكَ أنْ تتجاهلَ جانبًا واحدًا منْ جوانبِ الدينِ	
٣٢.	الأصل الثالث والعشرون:- أنجزْ كُلَّ يومٍ شيئًا جديدًا	
٣٣.	الأصل الرابع والعشرون:- كُفَّ عنِ الشَّكْوَى وابدأِ العلاجَ	
٣٤.	الأصل الخامس والعشرون:- ليسَ الشأنُ أنْ تُحِبَّهُ.. إنَّمَا الشأنُ أنْ يُحِبَّكَ	
٣٥.	الأصل السادس والعشرون:- كُلُّ متاعٍ في الدنيا يسحبُ منْ رصيدكَ الأخروي	
٣٦.	الأصل السابع والعشرون:- المرءُ معَ منْ أحبَّ... فاخترْ حبيبكَ منْ هَا هُنَا	
٣٧.	**الخَـــــــــــــــــاتِمَـــــــــــــــــةُ**	